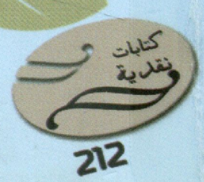


أدبيات الكرامة الصوفية

د. محمد أبوالفضل بدران





هذا الكتاب يهدف إلي دراسة الكرامات الصوفية المدوّنة والمنطوقة؛ دراسة نقدية قد تتوصل إلي وضع أساس "نظرية الكرامات" من منطلق افتراضي يرى أن الكرامات جنس أدبي مستقل بذاته؛ يتلامس مع القصة بل ربما يكون أساسها؛ بيد أنه يختلف عنها في كون الكرامة حكاية مقدسة لدى الصوفيين، وفي إطار هذه الدراسة -النقدية بالأساس- أعانت الدراسات الأنثربولوجية علي فهم بعض الظواهر الغامضة في الكرامات؛ علما بأن هذا البحث لا يهدف إلي تجميع كمّي للكرامات المدوّنة والمنطوقة ولا يهدف إلي الدخول في تيه السؤال عن حقيقة حدوث الكرامة أو عدم حدوثها؛ فالمقصد هنا النص وما يصاحبه من علاقات مرتبطة بظروف نشأته.



تصميم الغلاف: هند سمير



www.gocp.gov.eg

الثمن: ثلاثة جنيهات

أدبيات الكرامة الصوفية

د. محمد أبو الفضل بدران



سلسلة
كتابات نقدية

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

• أدبيات الكرامة الصوفية
• د. محمد أبو الفضل بدران
• الطبعة الأولى:
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - 2013 م
13,5 x 19,5 سم
• تصميم الغلاف: هند سمير
• المراجعة اللغوية:
أحمد سراج
• رقم الإيداع: ١٥٧٩٤ / ٢٠١٣
• الترقيم الدولى: 978-977-718-467-0
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى: 16 أ شارع أمين سامي - قصر العيني
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947891 (داخلى: 180)
Email:ketabat2004@hotmail.com
• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

211

تعنى بنشر النقد التطبيقى والنظرى وتهتم بإبراز نتاج المدارس النقدية العربية والعالمية

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة بل تعبر عن رأي المؤلف وتوجهه في المقام الأول.

أدبيّاتُ الكرامةِ الصُّوفيّة

3

المحتوى

إهــداء

إلى أبى رحمه الله تعالى الذى شاهدت كراماته وعلمنى أشعار ابن الفارض وحكى لى عن كرامات الشيخ محمد الطيب الحسانى وأسمعنى إنشاد الشيخ أبى بكر عطية والشيخ مبارك إسماعيل والشيخ أمين الحادى والشيخ حمدى مبشرين بوصول المدد

محمد أبو الفضل بدران

هذا الكتاب

هذا كتاب جديد بديع للدكتور محمد أبو الفضل بدران أستاذ الأدب المقارن بجامعة جنوب الوادى، يبحث فى بلاغة الكرامات الصوفية شفهية ومدونة، فى تراثنا الصوفى الخصيب راصدا ماهية الكرامات ومهمتها بوصفها نصا إبداعيا سرديا مستقلا، له مكوناته البلاغية والأسلوبية والقيمية والوجدانية، ووظائفه الجمالية والتخييلية والروحية والمعرفية، ودلالاته المتنوعة عبر شكوله الجمالية والتخييلية المتعددة، والكاتب الدكتور محمد أبو الفضل بدران ينتمى إلى ثقافة الجنوب فى صعيد مصر حيث النبع الصوفى الرائع فى ثقافتنا المصرية العربية، حيث يقع الحس الصوفى العميق موضع السنام الأعلى من ثقافة الجنوب فى مصر، وكم من دارس عربى وغربى وقع فى أسر وجدان وثقافة الجنوب.

ويهدف هذا الكتاب إلي دراسة الكرامات الصوفية المدوّنة والمنطوقة دراسة نقدية تأصيلية تحاول الوقوف على استقلاله السردى النوعى، ورصد آليات صياغاته، ووجوه دلالاته، والتوصل إلي وضع أساس معرفي "لنظرية الكرامات" من منطلق تجنيسى جديد يرى أدب الكرامات جنسا أدبيا مستقلا بذاته؛ قد يتلامس مع القصة بل ربما يكون أساسها؛ بيد أنه يختلف عنها في كون الكرامة حكاية مقدسة لدى الصوفيين، ولا يهدف هذا البحث كما يقرر المؤلف إلي الدخول في تيه السؤال عن حقيقة حدوث الكرامة من عدم حدوثها، مكتفيا بالوقوف على حقيقة وجودها فى التراث العربى يقول الكاتب ((فى إطار محاولتي المتواضعة لتجميع الكرامات الشفهية لحظت أن هذا التراث الحي أدعى بجامعاتنا ومؤسساتنا العلمية أن تتجه إلي جمعه وتدوينه ومن ثَم إلي دراسته وتحليله بحيث لا يُكتفي بتقديسه من منطلق صوفي أو نبذه من منطلق عقلاني بتحميله وِزْر بؤرة اللّاوعي في العقلية الغيبية لدى الإنسان المعاصر.وقد بات واضحاً في مجال المعرفة أن المنتج غير العقلاني يلعب دوراً كبيراً في صنع التاريخ، وفي تحريك مجرياته ومن هنا فإن إهماله بدعوى إغراقه في الغيبيات يُفقد الباحث جانباً كبيراً من دراسة المجتمع أدبياً واجتماعياً وسياسياً وتاريخياً.ولقد جمعت الكثير من الكرامات الشفهية وانتقيت منها علي سبيل المثال والتدليل وتيقنت أنها مادة جديرة بالتدوين ومن ثَم التحليل إلا أن الهدف لم يكن التدوين فهذا يحتاج إلي فريق وجهد جهيد))....(إن النص الكراماتي هو نص روائي لا متناه، يستطيع أن يواكب العصور كي يتجاوزها وهو

التدوين الشعبي للأحداث والدّول، والتأريخ الهلامي لسيرة الأولياء أو ما يُطلق عليه Hagiographie حيث يبدع الشعب في تخليد حياة أوليائه وكتابة سيَر حياتهم وفق رؤيته لهم، ولهذا فقد أخطأ المؤرخون كثيراً عندما أزاحوا الكرامات الصوفية جانباً إذ أهملوا بذلك جانباً خصباً من طرائق البحث في الوجه الآخر للمجتمع أشبه بالتأريخ الشعبي للحياة كما يتصورونها ويتمنّونها)، وربما أحس العقل العربى الإسلامى مشقة علمية عويصة فى الوقوف أمام الأصل الشرعى للكرامات، وقد اطلعنا على آراء كثيرة للفقهاء والأصوليين والفرق الإسلامية فى الموروث الدينى العربى بين مؤيدى الكرامات ومنكريها، وربما يعكس كل هذا القلق حذر العقل العربى الإسلامى فى التعامل مع المقدس والمتعالى من منظور بشرى فارتضى بأن يقف منذهلا أمام علاقة المحدود باللامحدود، وسلم بحيرة وعجز العقل البشرى المحدود عند تنازعه مع اللامحدد أو المطلق، وقد شرح جلال الدين الرومى فى مثنوياته هذا القلق بقوله (يا أخي إن القصة مثل المكيال، والمعنى فيها مثل الحب في المكيال، فالرجل العاقل يأخذ صحاح المعنى، ولا ينظر إلى المكيال، وإن كان وسيلة النقل) والكرامات ثابتة لبعض عباد الله المتقين كما جاء فى القرآن الكريم مثل: قصة أهل الكهف، وقصة السيدة مريم والدة السيد المسيح عندما كان يجيئها رزقها رغدا من عند الله الذى يرزق من يشاء بغير حساب، وقصة الرجل الذى أماته الله مئة عام ثم بعثه كرامة له ليتبين له بالدليل العملى الصارم قدرة الله العظيم على الموت والبعث فيثبت إيمانه فى صدره وخوالجه، وهناك كثير من الكرامات التى

ظهرت على أيدى الصحابة الكرام ثم التابعين من بعدهم، وهناك كثير من الفقهاء المعتبرين سلموا بحقيقة حدوث الكرامات، فقد أورد النبهانى فى كتابه (جامع كرامات الأولياء) مائة حديث نبوى شريف تؤكد وقوع الكرامات شرعا، وهناك كثير من الأدلة النقلية والعقلية قد أوردها حتى أكثر الفقهاء تشددا فى جواز وقوع الكرامات حتى لنجد الإمام ابن تيمية الذى شاع عنه بأنه عدو التصوف نراه يقر الكرامات فى رسالته عن (المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات)، طبعة مكتبة الصحابة ١٤٠٦ هـ، وفى كتابه (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)، وقد شاع أن المعجزات للأنبياء والكرامات للأولياء، يقول القشيرى تـ ٤٦٥ هـ فى (الرسالة القشيرية فى علم التصوف) (لو لم يكن للولى كرامة ظاهرة عليه فى الدنيا، لم يقدح عدمها فى كونه وليا، بخلاف الأنبياء فإنه يجب أن تكون لهم معجزات)، وقد فشت الكتب التى دونت كرامات الأولياء فشوا كبيرا فى موروثنا الصوفى وعلى رأسها كتاب (جامع كرامات الأولياء) للنبهانى، و(طبقات الأولياء) لابن الملقن و(طبقات الخواص) للشرجى الزبيدى، ولعلنا نرى هذه الكثرة الهائلة لتراجم كرامات الأولياء، خاصة بعد القرن السابع الهجرى جراء الهجمات المتتالية التى تعرض لها العالم الإسلامى وأحس المسلمون والإسلام أمامها بغربة حضارية شديدة، فكانت الكرامات تمثل الموازى النفسى التخييلى القادر على حفظ الذات العربية من الانهيار. وقد راى المؤلف أن من ضمن الوظائف الحضارية والثقافية والجمالية للكرامات أنها تنفيس إبداعي عن أفراد المجتمع، فالكرامات إنتاج ابداعي جماعي لأفراد

المجتمع إما لإرضاء حاجة الإبداع لديهم وإما لتكون قناعا لمجابهة حاكم ظالم او لستر فضيحة اجتماعية أو لتحقيق مكسب اجتماعي لايمكن تحقيقه الا بوساطة ادعاء الكرامة للانكسار الذي يعانيه شعب ما.

فإذا عدنا إلى الكتاب مرة ثانية وافقنا المؤلف على عدم رضاه عن حذر كثير من المؤرخين من تراث الكرامات الصوفية، وربما ضاع تراث كثير من أدبيات الكرامات الصوفية بسبب هذا القلق والارتياب، والخوف من الخلط بين الكرامة والمعجزة، فقد شهر عن الأولياء أنهم خرقوا العادة حتى صار لهم خرق العوائد عادة، وقد اتخذ هذا الخرق أشكالا جمالية ودلالية متعددة في موروثنا الصوفي، وكلها تشير إلى علاقة الكرامات بالمقدس أو بالمعجز وحيرة العقل البشرى أمام حدوث هذه الكرامات من عدمها!! والطريف فى كتاب الدكتور بدران أنه لايوقفنا فقط على أسرار الكرامات الصوفية وهو موضوع الكتاب رأسا، بل يفتح أمامنا آفاقا وساعا من التفكير والتأمل فى جنبات هذا الكون العريض الملآن بالكرامات والمعجزات والأسرار والغوامض.وميزة الكتاب الجيد انه يشحذ العقل على التفكير من جديد، ويعيد ترتيب قناعاتنا وتصوراتنا بعد أن نكون قد ازددنا خبرة وعلما وتأملا. وربما جرنى هذا الكتاب البديع إلى التفكير فيما وراء الكرامات الصوفية، أى فى التفكير فى منطق الغرائب والعجائب فى هذا العالم.بما يفتح الباب واسعا للكرامات فى جميع جنبات هذا الكون، فهى ليست وقفا على منطق الصوفيين بل هى منطق للوجود الإنسانى قبل أن تكون منطقا للمقامات

والأحوال الصوفية، وربما نطرح هنا أسئلة جديدة من قبيل هل العلم ممكن؟ أم هو مجرد تأويل مجازى للظواهر والحوادث والوقائع؟ ونحن لانقف مع الفريق المنكر للكرامات بل نرى عكس ذلك، فأرى أن كل لحظاتنا كرامات كما يقول المتصوفة بل نقرر أكثر من ذلك فنقول: بأن كثيرا من أصحاب العلم والأدب والفكر ومفسرى الأديان يخطئون كثيرا عندما يسطرون فقط مايروق لعقولهم ومناهجهم ومنطقهم حسبما تمليه عليهم قواعد العلم ونظرياته، بينما يتناسون أهمية بل خطورة الجانب التخييلى أو الوجدانى العرفانى لا أقول فى حياة الإنسان، بل فى تطور العلم التجريبى نفسه، فكثير من العماء والمفكرين ينكرون اللامعقول فى هذا الكون بدعوى أن الحدسى والتخييلى واللاعقلانى بطبيعتهم أمور ذاتية تغيبية-تحتاج إلى الدليل العلمى والتجريبى والاستقرائى الدقيق حتى نسلم بها، ومع تقديرنا للعلم والمنطق والدقة والموضوعية لكننا نرى أنهم ليسوا كل شىء بل هم لايصلون إلى أرقى صيغهم العلمية الدقيقة إلا بحسن الإصغاء للجانب التخييلى العرفانى أكثر من الإصغاء للجانب التعليلى البرهانى، يقول إيليا س بريغوجين الحائز على جائزة نوبل لسنة١٩٧٧، (إن النمط الكلاسيكى فى البحث العلمى، إذ يقصر الظواهر القابلة للدراسة على تلك التى تتصف بالتوازن والنظام واللامفاجأة لايستطيع أن يدرس إلا المنظومات المغلقة ويقصى تبعا لذلك حالات الانقلاب والتحول السريع والانفجار... وبدلا من اتهام الموضوع العلمى بالشذوذ والخلل واللامعقول علينا أن نوجه الاتهام إلى أدوات المعرفة والجهاز المفاهيمى التى تقوم عليه .... وعلينا أن

نتهم العقلانية التقليدية لكونها تماهى بين العقل والتوازن والاستقرار والنظام واللامفاجأة فترمى بذلك مجموعة من الظواهر فى هوة اللامعقول د. عبد السلام بن عبد العالى: منطق الخلل، دار توبقال، ط١، ٢٠٠٧، ص٧، ٨)، وهذا يعنى أن خرق العادة والخروج على النسق والدخول فى اللامعقول جزء من بنية العلم نفسه إذا أراد ان يحترم الواقع ويطور نفسه فى ذات الوقت، ولعل إيلاء نتائج العلم ووصف وقائعه الأهمية القصوى دون البحث عن الدوافع التى أدت إليه قد أهدر سياقات علمية ضرورية، إن إغفال سياق الكشف العلمى لصالح سياق التبرير العلمى إهدار كبير لقيمة العلم والمنطق والحياة معا.ومن ثمة كانت سياقات المفاجأة والبغتة والصدمة والدهشة واللامعقول - أو قل لو صح التعبير كرامات العلم - مهمة بنفس أهمية سياقات العقل والبرهان والتوازن والنظام، بل إن العلم فى أرقى صيغه نشاط وتوتر وترامى إلى المجهول الممكن، حتى يقود اللامحدد المحدد، واللايقين اليقين، والمستحيل الواقع، إنه قطعة من روح الحياة نفسها التى تتأبى على كل تفسير وتأطير وتصنيف حتى وإن تمسكت بالقواعد والنظريات، وعندما يحبس العلماء ذواتهم العلمية داخل أقيستهم ومنطقهم فقط وينأون عن شطحات خيالهم المبدع، تتفلت منهم الحياة التى هى أصل العلم نفسه حيث تتدافع الحياة من حولهم وثابة خلاقة لعوبة تحدوها المفاجآت والشطحات ولاتعترف بالمنطق والعقل إلا فى ساعات كلالها وهمودها أى فى المراحل الأخيرة فقط من سيرها العجائبى الغريب.

ولعل دقة الإصغاء العلمى لعوالم اللانسق أو اللامعقول غير المبرر

علميا حتى هذه اللحظة يدفع العلم للأمام أكثر مما يدفعه التسليم المطمئن بقوة النسق العلمى المتعارف عليه، فالعلم يتطور بقوة النموذج المعرفى الشارخ أكثر مما يتطور بالنموذج المعرفى الشارح، وبذلك يصير العلم دراما علمية تنمو بالفروض الجسورة غير المتوقعة وهذا ينقل نشاط المعرفة والمنهج من مجرد فكرتى: التفنيد أو التصديق أو فكرتى: الصواب والخطأ، والأولى ثم الأولى أن ينطلق العلم إلى فكر الخوارق الحدسية المثيرة الخارقة للعادات العلمية الراسخة ملتحما بفكرة طلاقة الحياة نفسها وما تحتمله من أفكار التخييل والفروض والحدوس والاختبار والفحص والجدل والتراوح بين الموضوعى واللاموضوعى بصفة مستمرة، ثم تقدير شكل العلاقة العلمية حسب درجة توترها لاتواترها وقوة نشاطها وجدلها، وأولويتها فى المقدرة التنبؤية والتفسيرية معا، وبالتالى ينتقل العقل العلمى من منطق التفكير بالصور العيانية والأنساق المنطقية والمنهجية المحددة، إلى منطق التفكير بالحركة النشطة الخلاقة، والتدامج المعرفى الحى بين البرهانى والعرفانى الجامع بين قوة النسق وجسارة اللانسق، فالعلم لغة يشوبها من التخييل أو المنطق العرفانى بقدر مايصيبها من المنطق البرهانى والصرامة الموضوعية، ويتخللها من الفجوات المعرفية والمنهجية بقدر مايتخللها من الاتساق، ويتصادى فيها النظام باللانظام، والموضوعى باللاموضوعى فى ذات الوقت، فالمعرفة هى لون من ألوان التشبيه، والقراءة - أية قراءة - محاولة جدلية لاتنى تستحضر ماهو غائب بطبيعته طوال الوقت.ألا يجرنا كل هذا إلى الحديث عن منطق الكرامات فى العلم عل معنى

قوة اللامعقول فى توسيع حد المعقول بعيدا عن فقر تصوراتنا عن إمكانية وقوع الكرامة من عدمها؟!

ومن هنا يكون منطق الكرامات منطق عجائبى غرائبى وظيفته الخروج على المنطق باستمرار ولكن أيضا بمنطق آخر هو التخييل المنذهل الذى يتجاوز الممكن ليخترق المستحيل، وهو التلاعب خارج النسق لتوسيع حدود النسق، وهو قدرة التخييل على اختراق حدود العقل والتعقل لإعادة تأسيس عقل أكثر حرية وإنسانية وأصالة، ومن هنا لنا أن نتسائل هنا: هل من الممكن أن نقصر فكر الكرامات على المجال الدينى فقط؟؟ أم الحياة كلها على المستوى الأنطولوجى والأبستمولوجى كرامات لاتنتهى؟!! سواء على مستوى الواقع والعلم والوعى والممارسة حتى أحوال المناخ وقيام الدول وسقوطها، فلحظاتنا كلها كرامات كما يقول المتصوفة، وربما قلق وارتاب كثير من كتابنا ومفكرينا ومؤرخينا أمام فكر الكرامات كما تصور مؤلف الكتاب لأنه نداء للمجهول، وإبحار صوب المستحيل واستحضار للغامض، وخرق للمعتاد وخروج على العادة، وربما كان لذلك كله علاقة وطيدة بطبيعة العقل العربى الأصولى والفقهى ومن هنا فقد أحسن المؤلف صنعا عندما وقف فى الفصل الأول من الكتاب أمام أهم مصادر الكرامات وموقف المذاهب والفِرَق الإسلامية منها: فتناول فيه أهم المصادر التراثية في الكرامات؛وأهم الدراسات العربية و الدراسات الاستشراقية التي تناولت الكرامات؛ ثم تناول موقف المذاهب والفرق الإسلامية من الكرامات كالمعتزلة والفلاسفة والأشعرية والشيعة؛ وتحدث عن المنظور الفقهي للكرامات وكذلك

المنظور الصوفي.وكنت أتمنى أن يقف المؤلف كثيرا أمام موقف العقل العربى الفقهى والأصولى من العقل التخييلى البيانى وعلاقته بالعقل البرهانى والعقل العرفانى معا، فربما جلى لنا هذا الموقف النظرة العربية الحذرة والقلقة من منطق الكرامات الصوفية فى موروثنا الدينى والأدبى معا، أوقل جلى لنا الأسباب التاريخية والفكرية والدينية الكامنة وراء الحذر المعهود فى العقل العربى من الخروج على النسق والرهبة المستمرة من الجدل مع المقدس والمعجز ففى نظرى أن العقل الفقهى والأصولى ربما كان يعد التخييل فى مرتبة أقل من مرتبة التعقل والحس، وربما قاسوا التخييل إلى الحقيقة ولم يفعلوا العكس، أى لم يقيسوا الحقيقة إلى التخييل، وربما يفتح هذا القلق المعرفى والعرفانى معا المجال واسعا لإعادة تأسيس مفهوم الحقيقة من جديد طارحا أسئلة جديدة مثل: هل الحقيقة اصطلاحية أم اتفاقية ؟ على غرار السؤال: هل اللغة اصطلاحية أم اتفاقية؟ وهل الحقيقة الشعبية السردية كما فى منطق الكرامات تطابق الحقيقة العلمية المنطقية كما فى منطق العقل؟ وهل توجد من الأساس حدود فاصلة حاسمة بين السردى الشعبى والعلمى التجريبى؟ لاأظن ذلك بل الأولى أن نقول سرديات الكرامات العلمية أو مجازات تأويلات العلم، لا أن نقول سرديات الكرامات الصوفية فقط، فالكرامات ترف على كل شىء فى هذا الوجود.وجميع المخلوقات والموجودات والظاهرات تشترك فى عالم الأسرار والغوامض.وربما هذا مايجعل هذا الكون مفتوحا دوما على الحركة والنشاط والجدل حتى ليقود اللامحدد المحدد والمحتمل الثابت،

والغائب الحاضر، والمجهول المعلوم.والمستحيل الواقع. لقد اخترق العلم حجباً كثيرة وحول الأعاجيب إلى مجرد أمور عادية، ويقول أحد أئمة الميكانيك الكوانتي إن من لم تستحوذه الدهشة ولم تعقد الغرابة لسانه لدى قراءته الميكانيك الكوانتي. هو ذاك الذي لم يستطيع فهم الميكانيك الكوانتي. ولا غرو في هذا القول، فالميكانيك الكوانتي ,الذي تحيط بنا تطبيقاته من كل جانب وتشكل واقعاً موضوعياً قائماً بذاته هو نفسه أبعد ما يمكن عن الموضوعية، والتفسير، فالكون كله فى ميكانيكا الكم مجرد احتمالات تموج فى اجتمالات، وحالات تتداخل فى حالات وكأننا فى مقامات وأحوال صوفية شديدة الخصوصية والتفرد، شديدة التداخل والتموج، حيث تفتقر الظواهر إلى التعليل والتفسير والتعريف الواضح المحدد، إن الكون مكان غريب مبهج وفاتن على نحو لا يصدق، لا بل ويتجاوز كل دهشة يولدها الخيال.

إن فلاسفة العلم المعاصرين أمثال : إمرى لاكاتوش وفيرا أبند وتوماس كون وويلارد فا كواين... على سبيل التمثيل لا الحصر، وفلسفات ما بعد الحداثة على اختلاف شكولها الفلسفية والمعرفية يرون إلى القواعد المنطقية، والنظريات العلمية، والتصوررات الفلسفية بوصفها استعارات مجازية، وسياسات فكرية، وجماليات منطقية، لا قواعد موضوعية مطلقة.لقد أصبح العلم يبنى بالاستعارات والتأويلات مثلما تبنى الفنون وعلوم الإنسانيات والأديان فكل هذه العلوم فى التحليل الأخير تمثيل رمزى لغوى مجازى للواقع والعالم، بل وتمثيل جمالى سياسى أيضا، لقد وصف (واتكينز Watkins) من قبل نمو العلم فقال: بأنه كان عند هيوم استقرائياً لا عقلانياً، وعند كارناب

صار استقرائياً عقلانياً، وعند كارل بوبر صار لا استقرائياً عقلانياً، أما بالنسبة لتوماس كون صاحب كتاب بنية الثورات العلمية فهو لا استقرائي لا عقلاني في الآن عينه، فتوماس كون ينكر وجود منطق للكشف العلمي وكل ما هناك في رأيه سيكولوجياً للكشف فقط)، فقد صرنا نفكر بالمجاز لا أن نشعر به فقط، وصرنا نرى الحقيقة أيا كان لونها ونمطها المعرفى من خلال الأنظمة التأويلية والاصطلاحية والرمزية التى تدشن نظامها وسياقها وحدودها معا.وهذا يعنى أن العلم التجريبى نفسه صار لغويا مجازيا اصطلاحيا، أى أننا لانقول هذا علم إلا بالقياس إلى منظومة الاتفاق العلمى والقيمى والعقلى السائد الذى يتبلور فى بنية اللغة أولا وأخيرا، فلا شىء يوجد خارج بنية اللغة والرمز والاستعارات، وكل من فكرة العقل والحقيقة فكرة لغوية رمزية أيضا، إن بنية الوعى والعقل بنية استعارية، حيث لاتلعب الاستعارة دور التعبير البيانى بل وتلعب دور التأسيس المعرفى التجريبى أيضا حيث يتدامج البيانى بالعرفانى بالبيانى دفعة واحدة فى اللحظة العقلية الواحدة، وبهذا تنتهى الفواصل المعرفية والمنطقية والمنهجية التى أقامتها الحدود المنطقية والفلسفية طويلا بين العلوم والفنون والأديان وطبيعة المخلوقات والموجودات، بعد أن صار العلم التجريبى نفسه خبرة إنسانية اصطلاحية لاينفصل فيها الإنسان المدرك عن الموضوع المدرك عن آليات الإدراك، عن السياق الثقافى العام للإدراك، لقد صار العلم اصطلاحيا رمزيا يدرك ضمن سياق ثقافى اصطلاحى عام، وتعتريه من المجازات والمفارقات والحدوس والخيالات والشروخ والفجوات والصدمات والشطحات مثلما يعترى

الإنسانيات، فكلا البنيتين السردية والعلمية تسبح فى الساحات المجهولة، ويلفها الغموض، ويحيط بها الالتباس، الكون كله من المجرة إلى الذرة يلفه الغموض، واللاتناهى والانفتاح البينى التعددى، وعدم التحدد((الفراغات، والسنون الضوئية ونقاط الظلام الكونية وغيرها))، لقد صارت بنية التخيل والاحتمال والفرض ضرورة علمية حتمية يخلقها العالم والشاعر والفيلسووف والصوفى معا لكى يعيدوا للوعى الإنسانى توازنه المتعدد المعقد أمام انحصار المسالك المنهجية والمعرفية السائدة فى الوعى بالذات والعالم والروح والخيال واللغة، إن جدل المجهول والمعلوم يرف على كل أنماط الوعى الإنسانى العلمى والسردى، وصار هذا الجدل مادة للفنان والعالم والفيلسوف والصوفى جميعا يشكلون منها عوالمهم المشتركة المتداخلة، ومن هنا نرى أن الصوفى او الكراماتى ليس العالم وحده، أو الرياضى، أو الفيزيائى، أو الكوزمولوجى، أو الكيميائى، أو الألسنى، أو الفيلسوف، بل هو جميع هؤلاء، لقد تداخل العالم وتشابك، وانتقل من أحدية العناصر إلى تشابكية وشبكية الأنظمة، وذابت الحدود بين مختلف أنماط الوعى فيه، وسبح العلم والعالم كله فى مجرات المجاز والاحتمال والتعدد، وهذا يؤكد أن ظهور تصورات علمية جديدة يوفر معرفة أدق لحقائق الأشياء والموجودات حية وجامدة مرتبط بتوفر ذخيرة معرفية تخييلية خارقة للعادة وذات مستويات علمية متعددة متباينة متجادلة، من الذكريات المتباينة، والخبرات المتشعبة، والمعارف والحدوس المتغايرة، لأن هذا يتيح للخيال نفسه العمل تحت ظروف معرفية وجمالية أوسع وأفضل وأدق، حيث يكون قادرا هنا على أن

يربط ربطا كيفيا جديدا بين تصورات معرفية وجمالية متعددة سابقة، كانت جد متنافرة، فيعمل على لم شعثها الرمزى والجمالى التعددى بما يوسع من حدود المجال الإدراكى للوعى والإحساس والخيال والقيم واللغة معا. لقد أدرك العقل العلمى المعاصر مدى اللاتناظر الهائل بين مستوى تصوراته العلمية السابقة، وبين مدى سعة الكون والموجودات والظواهر من حوله ومدى تعددها وتداخلها الحى النامى فى آن، ومن هنا استبدل العقل العلمى المعاصر فكرة العناصر، بفكرة الأنساق، وفكرة النظرية الواحدة، بفكرة النظريات المنظومية المتداخلة، ففى هذا العالم المعقد المتداخل لانستطيع أن نقيم الحجز الفاصلات بين منطق البرهان والبيان والعرفان فى اللحظة العقلية الواحدة، فنحن نعيش فى عصر علمى شبكى بينى انهدمت فيه الحدود بين المعارف والعلوم والتصورات والثقافات وصرنا نعيش أليات جديدة على مستوى الوعى والإدراك والممارسات، ولامفر لنا من رأب الحجز الفاصلات بين العلوم وليس غير ملكة التخييل قادرة على إحداث التشابهات والقياسات الافتراضية الجسورة بين المتناقضات النائيات وجمعها فى قران معرفى واحد، فعالم البيئة مثلا اليوم لم يعد يكفى لفهم تخصصه أن يعكف على علوم البيئة فقط، بل لابد له أن يتجاوز حدود النظام التخصصى الواحد إلى تداخل الأنظمة العلمية، وليس غير التخييل قادرا على رأب صدوع التفسخات العلمية بين العلوم جميعا وإيجاد روابط قياسية وتشبيهية جديدة للوعى الإنسانى فى عصر تداخل الأنظمة العلمية، فإذا أراد مثلا عالم أن يعى بحق اختلالات الأنظمة البيئية واضطراباتها كان عليه أن يقف

بدقة معرفية منظومية تشعبية على علوم كثيرة في وقت واحد ومن ثمة عليه أن يداخل بين: علوم الحيوان والنبات والأحياء والفيزياء دفعة واحدة، لقد رأى توماس كون صاحب كتاب (بنية الثورات العلمية)، أن العلم يبنى بالتحيزات بمثل ما يبنى بالتصورات والمنطق ونرى ذلك أيضا لدى الفيلسوف والمنطقى الكبير (ويلارد فا كواين) فى تفتيته للقضايا التحليلية والتركيبية فى المنطق، وإدخال سياق الكشف العلمى ضمن سياق التبرير ضمن ربقة واحدة، فلافرق بين ماهو منطقى وماهو حدسى فى الوصول إلى المعرفة، لأننا نتمثل الواقع والمنطق والمعرفة باللغة وفى اللغة بكل مايحتوى هذا المنطق من شروخ وفجوات وطفرات وتخييلات وكرامات خارج النسق المألوف، وبهذا التصور الجديد لا فرق بين طرائق تشكيل الدلالات والتصورات فى الآداب والإنسانيات، وطرائق تكوين الحجج والفروض فى العلوم والفلسفات، طالما كان العنصر الذاتى والنفسى والاجتماعى واللغوى صارت مكونات تركيبية أساسية فى بنى العلم نفسه، فالحقيقة فى العلوم التجريبية والمادية والعلوم الإنسانية ليست هى الحقيقة فى ذاتها، بل هي مجموع الطرائق اللغوية والجمالية والسياسية التى تعمل على تكوينها، وهي مفعولات الخطابات التى تشيد بناءات المنطق ومحددات الدقة، وأنساق الموضوعية فكل ذلك مفعولات لغوية متصورة، وأنساق فرضية متخيلة، ومن ثمة تسقط كل الأقنعة المنهجية والمعرفية والمنطقية التى ادعت طويلا صلابة المعرفة ودقتها وموضوعيتها فى النظريات الاجتماعية والفلسفية والتجريبية، بعد أن تم تفكيك التماسك الموضوعى المنهجى المنسجم للمناهج العلمية،

ودخلت بنى اللانسجام وعدم المماهاة والتطابق واللادقة والشواش ضمن البنى التجريبية للعلوم والآداب معا، فالحقيقة والمعنى والقصد بل الوجود نفسه بني لغوية تصورية ثقافية نسقية قبل أن تكون جواهر منطقية وعلمية ومنهجية ميتافيزيقية متعالية، فالتشكيلات المجازية بنى لغوية، والتصورات المنهجية فى العلوم الاجتماعية والتجريبية بنى لغوية أيضا، وبنية المجتمعات والأنساق الفكرية التى تحركها، وصورة الذات والواقع والتاريخ والثقافة والهوية التى نتلقاها عن واقعنا الحضارى الثقافي العام هى بنى لغوية مجازية أولا وأخيرا، لأنها تتأسس بقوة النسق، وجسارات اللانسق معا، فكل اتساق تنظيرى تحليلى ملحوم باختراقات معرفية، وكل بنية فكرية كلية تتخللها ثغرات منطقية، وفجوات منهجية، وتهويمات مجازية.

لقد تبادل التجريبى والمجازى والفلسفى والصوفى تأسيس الحد المعرفى، إن ما يحكم المجرة، هو نفسه ما يحكم الذرة، وما يحكم كل شيء من حولنا، سواء ملكوت الذات أو ملكوت الكون، وصارت كل العلوم والعالم من قبلها تعوم فى فضاءات من الغموض واللاالتباس والتشوش والتضاد، والغموض والتعدد الحركى المفتوح على أفق التعدد واللاتناهى، والدخول فى المنطقة البينية التداخلية التى يطلق عليها العلماء الآن (الفئات الغائمة)، لقد صار (المنطق الغائم) " fuzzy logic فتحا معرفيا ومنطقيا جديدا لإعادة بناء مفاهيم الإدراك والوعي والتعقل واللغة وعلاقتهم جميعا بقوى الحدس والافتراض والتخييل أى قوة منطق الوجدان والبيان والعرفان إلى جوار منطق البرهان، ولقد استطاع المنطق الغائم أن ينقذ المناطقة والفلاسفة

المحدثين من وهمية التناقضات المعرفية، ولا سببية الفجوات المنطقية، وإعادة بناء منطق جديد للعقل والعقلانية واللغة خارج الحدود العقلانية الضيقة، والتصورات الكلية الوهمية، وقد قاد المنطق الرمادي الغائم المناطقة إلى الأخذ بتصورات قيمية أخرى مثل منطق: ممكن possible، ومستحيل impossible، وحادث -contin gent، وضروري necessary، فمثل هذه التصورات يمكن أن ننسبها للقضايا التي ليست صادقة أو كاذبة كما شاع لدى الوضعية المنطقية بكل صورها القديمة والجديدة، .بما يدخلنا إلى عالم جديد من المنطق ثلاثي القيم، أو قل "المنطق متعدد القيم" many-valued logicكما أبان عنه لوكاشيفتش. وكثير من المناطقة والفلاسفة المعاصرين، فالقضايا لا تنحصر بين منطقين لا ثالث لهما وفقا لمنطق (إما ـ أو)، فلا نقول الآن: أن القضايا إما أن تكون كاذبة أو صادقة فقط، بل نقول إلى جانب ذلك أيضا وإما أن تكون غير محددة ولكنها موجودة بالفعل تفعل فعلها دون أن نقف على كنهها، ولا ندرك مسارها المادى بدقة بل بطريق تقريبية ظنية إحصائية، والإحصاء هنا ليس فقط طريقة علمية ندرك بها الواقع والمادة والعالم بل العالم نفسه كله إحصائى لا نستطيع تكميم جموحه فى قنوات عقلانية منضبطة بصورة مطلقة، بل الممكن فقط هو أن نقول (إذا حدث كذا فمن الممكن أن يحدث كذا وبنسبة كذا)، هذا هو المتاح فقط لنا فى الوعي والممارسة، ذلك أن تصوراتنا العقلانية والعلمية والمنطقية عن الواقع والمادة والعالم لا تنحصر فى السيطرة على ما نعرفه ولكن على ما نظن أننا نعرفه يعنى على طرائق ((فهمنا)) فقط لما نظن أننا

نعرفه، وبذلك يتساوى عندنا الوعى بالعلم مع القدرة على الوعى بالجهل فى إدراك العالم والعلم والواقع، ولقد تطورت العلوم والفلسفات حتى وصلنا إلى هذه التصورات المعرفية والإدراكية الجديدة، فهل لمنطق الكرامات الصوفية العربية علاقة بكل ذلك؟ أظن أن العبقرية العربية كانت سباقة إلى كل ذلك، مثل جميع العبقريات الإنسانية فى ولادتها الأولى التى اتخذت من الأساطير والسير الشعبية والقص العجائبى والسحرى وسلة تخييلية إنسانية لاختراق المستحيل، واستحضار المجهول والسيطرة على الغامض. وإذا كان أدب الكرامات له صلة وثيقة بالبعد الدينى العقدى فأنا أظن أن جميع العلوم المعاصرة لها صلتها الوثيقة بهذا الكون المادى الحى الذى ترف عليه القداسة من كل حدب وصوب، ففى التصوف مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر وفى الكون أيضا ما زال مذخورا به مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فالطبيعة من حولنا تعج بالأسرار والغيبيات والغوامض حتى لتمّحى الحدود الفاصلات بين العقل البرهانى كما تصوره ابن رشد، و العقل العرفانى كما تصوره أبو حامد الغزالى، والعقل البياني كما تصوره المفسرون وعلماء الحديث والأصول، ولعل هذا التصور يتفق مع تصورات العلوم الرياضية والتجريبية التطبيقية المعاصرة بعد أن انهارت الحدود الثنائية بين منطق البرهان ومنطق العرفان فى بنية العلوم المعاصرة، وبدأ عصر العوالم المعرفية المتعددة المتداخلة، فنحن الآن نعيش بالاستعارات العلمية البرهانية كما نعيش بالاستعارات البيانية الأدبية، ينطبق ذلك على جميع صور وعينا

وتصوراتنا عن المادة والروح والنفس والطاقة، والزمن والحب، والكواكب والمشاعر، فهى تصورات واحدة متداخلة متشابكة، والتغير الجذرى الذى لحق بجل المفاهيم السابقة سينال جميع وسائلنا فى الإدراك والوعي والخيال، كما سينال جميع قيمنا التى نعيش بها، يقول العلم المصرى الرياضى مصطفى مشرفة فى دراسته عن تقارب المسافات بين العلم والتصوف ((ثم جاء أينشتين بنظرية النسبية وجاء دى برولى وشرويدنجر بأن المادة إن هى إلا أمواج فى لا شىء لا سبيل إلى وصفها إلا باستعمال الرموز الرياضية المعقدة فتلاشت الأسس المادية التى كان العلم يبنى عليها صرحه واستعضنا عنها بمعادلات رياضية هى فى ماديتها أوهى من نسيج العنكبوت، ولكى أدل القارئ على موقف العلم إزاء الفلسفة الصوفية بكل ما تحتوى عليه من سر وخصوصية وغوامض وتخييل سأنقل له ترجمة عن (آرثر أونجتين) وهو من أكبر العلماء الفلكيين والطبيعيين من كتابه ((كنه العالم الطبيعى)) وقد ترجم المقالة الدكتور مصطفى مشرفة حيث يقول: (كلنا يعلم أن هناك أنحاء من النفس البشرية غير مقيدة بعالم الطبيعة، ففى المعنى الخفى للخليقة التى تحيط بنا وفى التعبير الفنى وفى النزوع إلى الله فى كل هذه تطمح النفس إلى العلى، وتجد تحقيقا لشىء مودع فى طبيعتها، وتبرير هذا الطموح داخلي فينا، فهو محاولة من جانب إدراكنا أو هو نور داخلي ناشئ عن قوة أعظم من قوتنا، والعلم يكاد ليقدم على الشك فى تبرير هذا الطموح، إذ أن الرغبة فى العلم هى نفسها ناشئة عن وازع داخلي لا نقوى على ردعه، فسواء فى الاستزادة الفكرية من العلم أو فى سائر

النزعات الروحية الخفية فى كلتا هاتين أمامنا نور يجذبنا إليه، ونحن نشعر بالرغبة فى السعي نحو هذا النور، ألا يكفى أن نترك المسألة عند هذا الحد وهل من الضروري أن نصر على استخدام كلمة الحقيقة كما لو كانت لازمة لتشجيعنا فى مجهودنا) ثم يكمل العلامة مصطفى مشرفة بقوله (قد يظهر لأول وهلة أنه لا يمكن أن تكون هناك صلة بين العلم والصوفية فالعلم يطلب المعرفة من طريق الحواس، وتتطلب المعرفة فى حالة نفسية لا تتفق مع التفكير الصحيح، العلم لا يقتنع إلا بما يستنتجه المنطق مما يرى، والحقيقة فى رأيه هى هذا العلم المحسوس الذى يلمس ويسمع وينظر، أما الفيلسوف الصوفى فيدعى أن كل ما يلمس ويسمع وينظر إنما هى ظلال للحقيقة وإن وراء هذا الظلال توجد الحقيقة الأبدية التى لاتصل إلى الحس ولا تدركها العقول.... هذه الفوارق الوهمية ربما حدثت بين عالم وفيلسوف صوفى فى القرن الماضى إلا أن العلم والفلسفة قد تطور كل منهما فى أوائل هذا القرن بحيث اقتربت وجهتا النظر وأصبح من الميسور أن يتفاهما.... وإذا ضربنا المثل بجابية نيوتن، فالأرض تجذب التفاحة، ولكن ما هى هذه القوة التى تجذب الأرض بها التفاحة؟؟! نحن نعلم أنه لا يوجد ارتباط مادى بين الأرض والتفاحة، فكيف إذن يمكن أن تشد الأرض التفاحة؟؟ ألا يرى القارئ أن نيوتن اضطر إلى افتراض وجود عامل خفى لا تتسنى مشاهدته لكى يفسر حركة التفاحة؟؟ هذا العامل الخفى - أو العفريت الاصطناعي - هو ما سماه الجاذبية الأرضية... فالجاذبية كانت ولا تزال نوعا من السحر العلمي والقول بوجودها هو القول

بوجود سر من الأسرار الخفية فى نظام الكون أو طلسم من الطلاسم التى لاتصل إلى كنهها العقول).(د. مصطفى مشرفة، مطالعات علمية، مطبعة الاعتماد بمصر، ط١، ١٩٤٣، ص٨٢).وما يلمح إليه مشرفة بعبقريته العلمية التخييلية بـ مصطلح ((الفوارق الوهمية)) بين مجالات العلوم وتخييلات الفنون والإنسانيات، ووجدانات العقائد هو ما توصل إليه أينشتين أيضا عندما قال: (الخيال هو المهندس الذى يضع تصميم النظرية الفيزيائية مستعينا بما تنقله التجارب والملاحظات الدقيقة)، وهو نفس ما توصلت إليه أيضا (هاردنج) فى قولها (إذا كان العلم قد عنى بالملاحظة الدقيقة طوال حياته، ودرب نفسه على التنقيب عن أوجه الشبه بين الأشياء، وتسلح بالمعرفة المناسبة حينئذ تصبح (أداة الإحساس) فى يده بمثابة عصا سحرية قوية الأثر' فالإحساس يلعب دورا رئيسيا فى العلم الخلاق، وكتب العالم (تندول) يقول: كان انتقال نيوتن من تفاحة ساقطة إلى قمر ساقط عملا من أعمال الخيال المتأهب)، ولعل جميع ذلك يلتقى وقول الصوفى الشاعر الفارسى جلال الدين الرومى عن الأرض:

لأن الحكيم رأى

أن السماء بيضة والأرض مثل المح

قال السائل: كيف تبقى الأرض وسط محيط السماء مثل قنديل معلق فى الهواء

لا إلى أسفل يذهب ولا إلى أعلى

قال الحكيم: إنها من جذب السماء

من الجهات الست، تظل فى الهواء،
كما فى قبة من المغناطيس
يبقى الحديد معلقا فى الوسط

وهذا التقارب الحميم بين الذى يلحظه العالم الرياضي المصري الكبير مصطفى مشرفة وغيره من العلماء الكبار فى رصدهم. العلاقات الظاهرة والخفية بين التصوف والعلم ومايعتريهم من شطحات الكرامات اللامعقولة صوفية وعلمية وسعيهم الأبدي الحميم صوب التكشف عما يربط بين بنى جميع مظاهر الوجود واللغة والمعرفة والوجدان والخيال، هو ما يراه العلماء والفلاسفة المعاصرون ويؤسسونه فى معارف ومناهج العلوم التجريبية والفلسفية المعاصرة فى رصدهم جدل المعلوم بالمجهول، وقيادة اللامحدد للمحدد، والغياب للحضور داخل الكثافة الزمنية البائخة الحركة، بعد أن انهار مفهوم العلم بما أنه الوعى بالشيء فى ذاته، وانتقل إلى الوعى بصورتنا اللغوية الرمزية عن الشيء حال جدله التناقضى اللانسجامي مع نفسه وغيره فى وقت واحد، وحال جدله مع المظنون به والاحتمالي الكامن فى بنية الواقع المادى من جهة ثانية، ومن هنا صار الوعي بالجهل حدا فى العلم مثله مثل الوعى بالعلم تماما، فالمعرفة تخفى بقدر ما تكشف، وتمنع بقدر ما تمنح، والدلالة بقدر ماتكشف تعمى، ومن ثمة يكون الاحتكام إلي القياس الاستبطانى الخفي ضرورة علمية لازبة لامفر منها، مما دفع فلاسفة العلم المعاصر أمثال فيرا أبند وإمرى لاكاتوس وكارل بوبر وتوماس كون إلى أن يدخلوا الجانب السيكولوجى والسيسيولوجى كأحد

الأساسات المعرفية الأصيلة المؤسسة لبنية العلم نفسه، وهو الأمر الذي يؤكد أن الإنسان يدرك كثيراً من الأمور الهامة للغاية إدراكاً فطرياً لا شعورياً، أو حتى إدراكا شعوريا ولكنه يفتقد القدرة التجريبية على إقامة البرهان المنطقى والعملى والتجريبى عليها إن العلم مثله مثل التصوف يصل إلى حقائق فعلية، وإن لم يستطع التعبير عنها وفق أسس عقلية واضحة وهنا يلعب الحدس والتخييل، واستشرافات البصيرة، والوجدان دوراً رئيسيا، بل (أقول تأسيسياً) فى الإدراك سواء أكان إدراكاً علمياً أم إدراكاً جمالياً، أم إدراكا صوفيا. ولقد أثرتنا أدبيات الكرامات العربية بهذا الموروث التخييلى الفذ الذي وقف أمامه المؤلف فى الفصل الخامس من الكتاب والذى أراد من خلاله أن يحدد صور الكرامات التي تمت تحت عشرين وظيفة قد تتداخل فيما بينها إلا أن أهم الصور التي أثبتها المؤلف قد جاءت علي النحو التالي:

١- الطيران في الهواء .

٢- المشي علي الماء .

٣- تحمل الجوع والعطش والسهر والألم .

٤- طي الأرض .

٥- تسخير الملائكة والجن والحيوانات والجماد وكائنات أخرى للولي.

٦- إنقاذ الناس وقت الحاجة .

٧- التنبؤ بالمستقبل .

٨- القدرة علي شفاء الآخرين من الأمراض .

٩- المعاونة علي التأليف ومعرفة كل العلوم واللغات .

١٠- مصاحبة الأنوار والغمام للولي .

١١- إحياء الموتى وتكليمهم .

١٢- خلود الولي بعد موته وإرهاصات موته.

١٣- إرهاصات الولي وهو جنين أو في المهد .

١٤- تحقيق النصر علي الأعداء دون مقاومة .

١٥- تحقيق الأمنيات للمريدين والمنكرين .

١٦- القدرة علي اختيار توقيت الموت ومعرفته قبيل الموت وإرهاصات الموت

١٧- تغيير جوهر الأشياء مع بقاء صورها الأصلية .

١٨- مشاهدة الخضر ومصاحبته .

١٩- القدرة علي الإخفاء .

٢٠- استجابة الدعاء .

ثم تحدث الكاتب فى الفصل الثاني حول نظرية الاستبدال في الكرامة فتكلم فيه عن الشكل الأدبي للكرامة بنوعيه البسيط و المعقد مع تحليل تطبيقي علي بعض الكرامات المكتوبة والمنطوقة .وفي الفصل الثالث تناول شخصيات الكرامة، وقسمها إلي المؤلف / الراوي؛ و محقق الكرامة (المدد)؛ وشهود الكرامة .وأما الفصل الرابع فقد خصصه المؤلف للحديث عن وظائف الكرامة وأثبت أنها تندرج تحت ثلاث وظائف رئيسة هي : إثبات الولاية للولي و التنفيس الإبداعي عن أفراد المجتمع و الكرامة التعليمية، وتناول في الفصل السادس : الزمن والرؤيا والتصوير في الكرامات متحدثًا عن الزمن

وعن الرؤية والرؤيا في الكرامات من حيث رؤية الله ومحادثته والهاتف، و رؤية النبي صلي الله عليه وسلم ورؤية آل البيت والأولياء. ثم تحدث عن التصوير في الكرامات وكيف جاء تصوير الملائكة وإبليس والجن والكائنات الخرافية في الكرامات ثم تحدث عن تصوير المرأة في الكرامات وقسمها إلي قسمين: المرأة كمحقِّقة للكرامة أي وليّة و المرأة كرمز للثواب أو للدنيا.

وخصص المؤلف الفصل السابع لنقد إبداع العالم المثالي في الكرامات وكيف وُظِّف الشعر في الكرامات؛ وكيف بنى المتصوفة مدينة الأولياء إبداعاً ثم تناول القطبيةُ والغوْثية في الأدب الكراماتي وكيف أبدع المتصوفة دوائر الأولياء. وفي الفصل الثامن (الأخير) تناول المؤلف ظاهرة توظيف الكرامات في الأدب العربي نقديا ولاسيما في الرواية والمسرح والشعر والقصة القصيرة والسيرة الذاتية والسِّير الشعبية وكيف غدت ظاهرة أدبية أفادت الأدب العربي وعملت علي تغذيته برافد متميز عملَ علي تفرده بين الآداب العالمية كما تناول استخدام الكرامات كبديل عن النبوءة في الأدب العربي ثم عرَّج المؤلف نحو أدب الرحلات وكيف وظَّف الكرامات في متنه ونبه إلي إمكانية دراسة أدب الكرامات المقارن بين الآداب العالمية. والآن إلى هذا الكتاب الممتع البديع.

د. أيمن تعيلب

منيل الروضة ـ القاهرة

الفتـــح

"لحظاتُنَا كلُّها كرامات، وليس هنالك كرامة أفضل من كرامة العِلم" مقولة للشيخ محمد الطيب الحساني[1] ربما توضح لنا إلى أى مدى يكون حضور الكرامات فى التصوف وأثرها فى أدبيّاته.

يهدف هذا البحث إلى دراسة الكرامات الصوفية المدوّنة والمنطوقة دراسة نقدية قد تتوصل إلى وضع أساس "نظرية الكرامات"من منطلق افتراضى يرى أن الكرامات جنس أدبى مستقل بذاته؛ يتلامس مع القصة بل ربما يكون أساسها؛ بيد أنه يختلف عنها فى كون الكرامة حكاية مقدسة لدى الصوفيين، ولا يهدف هذا البحث إلى الدخول فى تيه السؤال عن حقيقة حدوث الكرامة أو عدم حدوثها، ومن ثم فإن ما سأستشهد به من نصوص مدونة أو شفهية ليس بالضرورة حدوثها أو رضا أبطالها عنها فالمقصد هنا النص وما يصاحبه من علاقات مرتبطة بظروف نشأته.

وفى إطار دراسة الكرامات نقديًا سأستعين بالدراسات الأنثربولوجية التى قد تعيننى على فهم بعض الظواهر الغامضة فى الكرامات؛ كما أود بادئ ذى بدء أن أؤكد على أن هذا البحث لايهدف إلى تجميع كمّى للكرامات المدوّنة والمنطوقة إلا أننى سآخذ بعض الأمثلة التى توضح ما أهدف إليه. وقد قمت بدراسة معظم الكتب التى حوت الكرامات وقد كان بذهنى أنها خاصة بكتب التراث إلا أننى فوجئت بأن ما يُطبع الآن فى المطابع العربية وكذلك الإسلامية يعادل بل يفوق مادُوّن فى كتب التراث.وتتخذ هذه الكتب مسميات كثيرة مثل: الكرامات، سِير الأولياء، المناقب، الشطحات النفحات، الأعاجيب، الخوارق، المدَد، البركة وأحيانًا المعجزات. إن مصطلح " المدد " الذى لا يخلو منه مجلس صوفى أو كتاب صوفى هو تجسيد للهبة المُنتظرة من الأولياء، ولعل " المدد " هو الكلمة المردّدة فى جنبات الأضرحة والمزارات المقدسة على أفواه الناس ذوى الحاجات الذين يؤمنون بالكرامات ويتناقلون روايتها مخلّفين لنا بوعيٍ أو بغير وعيٍ تراثاً أدبيا جديراً بالدراسة وحَريّاً بالنقد والتحليل.

فى إطار محاولتى المتواضعة لتجميع الكرامات الشفهية لحظت أن هذا التراث الحى أدعى بجامعاتنا ومؤسساتنا العلمية أن تتجه إلى جمعه وتدوينه ومن ثَم إلى دراسته وتحليله بحيث لا يُكتفى بتقديسه من منطلق صوفى أو نبذه من منطلق عقلانى بتحميله وِزْر بؤرة اللّاوعى فى العقلية الغيبية لدى الإنسان المعاصر.وقد بات واضحاً فى مجال المعرفة أن المنتج غير العقلانى يلعب دوراً كبيراً

فى صنع التاريخ، وفى تحريك مجرياته ومن هنا فإن إهماله بدعوى إغراقه فى الغيبيات يُفقد الباحث جانباً كبيراً من دراسة المجتمع أدبياً واجتماعياً وسياسياً وتاريخياً.ولقد جمعت الكثير من الكرامات الشفهية وانتقيت منها على سبيل المثال والتدليل وتيقنت أنها مادة جديرة بالتدوين ومن ثَم التحليل إلا أن الهدف لم يكن التدوين فهذا يحتاج إلى فريق وجهد جهيد.

فالكرامات هى مادة الحديث فى السمر، ووسيلة وعظية فى المساجد، والأداة الوحيدة للترقى فى المقامات لدى معظم الطرق الصوفية، وهى الحدث أو الغرض Motiv الجديد الذى يتكئ عليه الأدب العربى والإسلامى الحديث ولاسيما فى الرواية على نحو ما سيأتى فى ثنايا البحث ولذلك أرى أهمية دراستها وبحثها.

إن النص الكراماتى هو نص روائى لا متناه، يستطيع أن يواكب العصور كى يتجاوزها وهو التدوين الشعبى للأحداث والدّول، والتأريخ الهلامى لسيرة الأولياء أو ما يُطلق عليه Hagiographie حيث يبدع الشعب فى تخليد حياة أوليائه وكتابة سِيَر حياتهم وفق رؤيته لهم، ولهذا فقد أخطأ المؤرخون كثيراً عندما أزاحوا الكرامات الصوفية جانباً إذ أهملوا بذلك جانباً خصباً من طرائق البحث فى الوجه الآخر للمجتمع أشبه بالتأريخ الشعبى للحياة كما يتصورونها ويتمنّونها.

ولقد بدا لى فيما جمّعته من كرامات شفهية أن المسلمين يكنُّون حباً جماً لآل البيت جعلهم يروون كرامات لا تحصى عنهم، لكن الشىء المستغرب هو أن الرؤية الشيعية للكرامات من حيث إنها

لاتقع إلا على يد الأئمة قد أثرّ على الأولياء السّنّيين لذا ألحقهم الناس بسلسلة نسَبيّة تنتهى بالحسن أو الحسين ابنيْ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاءت هذه المحاولات فجة لدى أولياء ينتسبون إلى أصول غير عربية كذى النون المصرى النوبى الأصل أوينتسبون إلى أصول بربرية أو فارسية أو هندية أو تركية أو غير ذلك ولم يفهم هؤلاء الناس أن الانتساب ليس سلسلةً بل عملاً.

وقد يشطح الصوفى فى ملفوظاته وأفعاله وما يؤثر عنه من كرامات، ويُرجِعون هذا الشطح إلى حالة السُّكر التى تنتابهم وهى نابعة عن السُّقيا التى عبر عنها عز الدين المقدسى فى قوله:

فـإنْ كـنتُ فى سُـكرى شـطحتُ فـإنني
حـكـمتُ بـتـمـزيق الـفـؤادِ الـمُـفَـتّتِ
ومِن عـجبٍ أنّ الـذين أُحـبُّـهـم
- وقـد أعْـلَـقُـوا أيـدى الـهـوى بـأعِـنّـةِ -
سـقَـوْنـى وقـالـوا:لا تُـغَنّ ! ولـو سَـقَـوا
جـبـالَ حُـنَـيْنٍ مـا سَـقَـوْنى لـغَـنّتِ

هذه السّقيا هى المعادل الموضوعى للإلهام أو هى الإلهام ذاته الذى يجعل لغة المتصوفة لغة شاعرية؛ لغة تمنح الأشياء مسمّياتها من جديد؛ فهى غياب حضور اللفظ وحضور غياب المعنى.

ولقد كانت الكرامات منهلا خصباً للأدب العالمى حيث وُظّفت توظيفاً انتشل الأدب من التقريرية للخيال اللامحدود والرؤى الشعرية التى تركت بصماتها على الأسلوب الأدبى للفنون؛ وقد استُقبل النص الكراماتى التراثى استقبالاً أثْرَى الحكْى الأدبي؛ وفى خلال عملية

الاستقبال استطاع الأدباء أن ينتجوا نصا مغايرا للنص التراثي ومتجاوزاً له أيضاً، وهذا ما سوف نراه في النصوص الأدبية المستقبِلة للنص الكراماتي ولاسيما في الرواية.

وقد جاءت هذه الدراسة في تمهيد وثمانية فصول على النحو التالي:

الفصل الأول: أهم مصادر الكرامات وموقف المذاهب والفِرَق الإسلامية منها:تناولتُ فيه أهم المصادر التراثية في الكرامات؛وأهم الدراسات العربية و الدراسات الاستشراقية التي تناولت الكرامات ؛ ثم تناولت موقف المذاهب والفرق الإسلامية من الكرامات كالمعتزلة والفلاسفة والأشعرية والشيعة؛ وتحدثت عن المنظور الفقهي للكرامات وكذلك المنظور الصوفي.

وجاء الفصل الثاني حول نظرية الاستبدال في الكرامة تكلمتُ فيه عن الشكل الأدبي للكرامة بنوعيه البسيط و المعقد مع تحليل تطبيقي على بعض الكرامات المكتوبة والمنطوقة.

وفي الفصل الثالث تناولت شخصيات الكرامة، وقسمتها إلى المؤلف / الراوي؛ و محقق الكرامة (المدد)؛ وشهود الكرامة.

وأما الفصل الرابع فقد خصصته للحديث عن وظائف الكرامة وأثبت أنها تندرج تحت ثلاث وظائف رئيسة هي: إثبات الولاية للولي و التنفيس الإبداعي عن أفراد المجتمع و الكرامة التعليمية

في الفصل الخامس حاولت أن أحدد صور الكرامات التي رأيتُ أنها تندرج تحت عشرين وظيفة قد تتداخل فيما بينها إلا أن أهم الصور التي أثبتها وأتيت لكلٍ أكثر من مثال مكتوب ومنطوق فقد

جاءت على النحو التالي:

١- الطيران فى الهواء.

٢- المشى على الماء.

٣- تحمل الجوع والعطش والسهر والألم.

٤- طى الأرض.

٥- تسخير الملائكة والجن والحيوانات والجماد وكائنات أخرى للولي.

٦- إنقاذ الناس وقت الحاجة.

٧- التنبؤ بالمستقبل.

٨- القدرة على شفاء الآخرين من الأمراض.

٩- المعاونة على التأليف ومعرفة كل العلوم واللغات.

١٠- مصاحبة الأنوار والغمام للولي.

١١- إحياء الموتى وتكليمهم.

١٢- خلود الولى بعد موته وإرهاصات موته.

١٣- إرهاصات الولى وهو جنين أو فى المهد.

١٤- تحقيق النصر على الأعداء دون مقاومة.

١٥- تحقيق الأمنيات للمريدين والمنكرين.

١٦- القدرة على اختيار توقيت الموت ومعرفته قبيل الموت وإرهاصات الموت

١٧- تغيير جوهر الأشياء مع بقاء صورها الأصلية.

١٨- مشاهدة الخضر ومصاحبته.

١٩- القدرة على الإخفاء.

٢٠- استجابة الدعاء.

وتناولت في الفصل السادس: الزمن والرؤيا والتصوير فى الكرامات متحدثا عن الزمن وعن الرؤية والرؤيا فى الكرامات من حيث رؤية الله ومحادثته والهاتف و رؤية النبى صلى الله عليه وسلم ورؤية آل البيت والأولياء.

ثم تحدثت عن التصوير فى الكرامات وكيف جاء تصوير الملائكة وإبليس والجن والكائنات الخرافية فى الكرامات ثم تحدثت عن تصوير المرأة فى الكرامات وقسمتها إلى قسمين المرأة كمحقِّقة للكرامة أى وليّة و المرأة كرمز للثواب أو للدنيا.

وخصصت الفصل السابع لنقد إبداع العالم المثالى فى الكرامات وكيف وُظِّف الشعر فى الكرامات؛ وكيف بنى المتصوفة مدينة الأولياء إبداعاً ثم تناولتُ القطبية والغوْثيةفى الأدب الكراماتى وكيف أبدع المتصوفة دوائر الأولياء.

وفى الفصل الثامن (الأخير) تناولت ظاهرة توظيف الكرامات فى الأدب العربى نقديا ولاسيما فى الرواية والمسرح والشعر والقصة القصيرة والسيرة الذاتية والسِّير الشعبية وكيف غدت ظاهرة أدبية أفادت الأدب العربى وعملت على تغذيته برافد متميز عملَ على تفرده بين الآداب العالمية وتناولت استخدام الكرامات كبديل عن النبوءة فى الأدب العربى ثم عرَّجتُ نحو أدب الرحلات وكيف وظَّف الكرامات فى متنه ونبهت إلى إمكانية دراسة أدب الكرامات المقارن بين الآداب العالمية.

ثم أوردت ثبتًا بالمصادر والمراجع العربية والأجنبية والفهارس.

ومن الواجب أن أشكر أستاذى البروفيسور Stefan Wild الذى قدّم لى كل النصح والتوجيه لإنجاز هذا العمل وكانت مناقشاتنا المتعددة حول هذا الموضوع تثمر أفكاراً جديدةً، وقد منحنى فهرساً تصنيفيا لحكايات اليافعى كان قد أعده منذ زمن فأفادنى ووفر وقتاً طويلا،كما كان يمدّنى بما يستجد من كتب وأبحاث؛ فشكرى له ولأسرته.وشكرى للبروفيسور Gerhard En-dress على ما بذله من جهد لإتمام هذا البحث؛ كذلك فإن شكرى العميق للبروفيسورة Annemarie Schimmel التى أفدت منها الكثير وكانت محاوراتنا حول التصوف تشجعنى نحو الدخول فى خضم بحره الواسع فأثّرت بمناقشاتها الكثير من رؤى هذا البحث وأفكاره وكم أفدت من كتبها ومحاضراتها حول التصوف، وشكرى للباحث Christian Szyska على ما قدمه لى من كتب ومقالات ساعدت على تكوين رؤية عامة تجاه الكرامات.

كذلك فإن شكرى وتقديرى للمؤسسة العالمية:
ALEXANDER VON HUMBOLDT- STIFTUNG
التى ضربت مثلاً آمل أن يُحتذى به فى بلادنا حينما أوْقَف العالِم والمكتشِف Alexander Von Humboldt (1769-1859) كل أملاكه لتكون وقفاً للعلماء والباحثين والمكتشِفين من مختلف دول العالم، فشكرى لهم على ما بذلوه من جهد نحو تفرغى خلا الأعوام ١٩٩٤ حتى ١٩٩٦ بجامعة بون لإتمام هذا العمل.

ولقد طرحت هذا البحث على طلابى وطالباتى بقسم الاستشراق بكلية الآداب بجامعة بون بألمانيا فى محاضراتى بالفصل الدراسى

الشتوى ١٩٩٥/ ١٩٩٦ولقدكانت مناقشاتهم تفتح آفاقاً جديدة فى البحث لا سيما وأن المُستقبِل يتعامل مع النص بمعزل عن المؤثرات التى قد تؤثر فى المتلقى العربي، فشكرى لهم ولهن.

وللصديق الدكتور عبده عبود من الشكر ما يعادل بذله الجهد فى سبيل إرسال الكتب والمقالات من سورية الشقيقة متحملاً الكثير فى سبيل ذلك، وقد أسدى إليّ يدا من صنيعه الطيب وكرمه الجميل.

كذلك فإن شكرى للصديق الدكتور أبو الحمد الأفيونى على ما أمدّنى به من مصادر أفدت منها كثيرا .وأشكر كل من ساعدنى وقَبِل أن أسجل ما يرويه من كرامات، وأما الذين رفضوا التسجيل بحجة عدم وجود إذن من القطب أو تهيّباً من آلة التسجيل فلهم شكرى أيضا .

بقى أن أشكر الصديقين الشاعر سعد عبدالرحمن والدكتور أيمن تعيلب لتحمسهما الشديد لنشر هذا الكتاب فلهما كل الشكر والتقدير.

ولقد قرأت بيتاً خطّه أحد المؤلفين على مخطوطة له أحسبه مخاطبا قارئى عندما قال:

إنْ تجِدْ عَيْباً .فَسدَّ الخَلَلا
جَلَّ مَنْ لا عَيْبَ فيهِ وعَلا[٣]

محمد أبو الفضل بدران

"لهم مايشاءون عند ربهم"[٤]

قرآن كريم

الاستقامة خير من ألف كرامة

٩٩٪ من الكرامات المدوّنة فى الكتب والشفهية كَذِب"[٥]

الشيخ أحمد أبوالوفا الشرقاوي

" إن الكرامة فى الأديان كالطفل المحبوب "[٦]

جوته Goethe

التمهيد

تمهيد:

الكرامة: هى خرق العادة من قِبَل وليّ، ومن حيث النظرية فلا فارق بين الكرامة والمعجزة إلا أن الكرامة تختص بالأولياء أما المعجزة فهى مختصة بالأنبياء وتهدف المعجزة إلى التحدى.

وقد استخدم النبى صلى الله عليه وسلم مصطلح الكرامة بدلا من المعجزة فيما رُوى عن الدميرى عن الطبرانى فى معجمه الأوسط والبيهقى فى كتاب الدعوات الكبير عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب يوما فقعد تحت شجرة فنزع خفيه قال: ولبس أحدهما فجاء طائر فأخذ الخف فلحق به فى السماء فانسل منه أسود سالخ فقال صلى الله عليه وسلم " هذه كرامة أكرمنى الله بها "[٧].

وقد ظهرت الكرامات فى الأديان الثلاثة، ففى العهد القديم نجد أن هاجر تزوجت إبراهيم عندما هربت من وجه سيدتها سارة التى اضطهدتها عندما عرفت أنها حبلى " فوجدها ملاك الرب على عين الماء فى البرية، على العين التى فى طريق شور،وقال يا هاجر جارية سارای من أين أتيت وإلى أين تذهبين، فقالت أنا هاربة من وجه مولاتى سارای فقال لها ملاك الرب(.....) هاأنت حبلى فتلدين ابنا، وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك"[٨] وتتحقق النبوءة "فولدت هاجر لإبرام ابنا"[٩]

ولم تكن هاجر نبيةً أو رسولا ولذلك فهى لها كرامة.

وفى حديث القرآن الكريم عن مريم يقول الله تعالي:(كلّما دخلَ عليها زكريا المحراب وجد عندها رِزْقا، قال يا مريمُ أنَّى لك هذا، قالت هو من عند الله)[١٠] وتفسر معظم التفاسير هذه الآية القرآنية أن فاكهة الصيف كانت لديها فى الشتاء[١١] بل زاد البيضاوى مفسرا"من أين لك هذا الرزق الآتى فى غير أوانه والأبواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للأولياء، وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الأمر عليه"[١٢].

وتحكى سورة مريم (١٩) فى الآية ٢٥ (وَهُزِّى إليكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا)[١٣] عن تساقط البلح وهى تلد تحت نخلة وذكر النويرى أن فى ذلك إثباتاً للكرامات فقد "كان فى غير أوان الرطب، فكان هزها للجذع سبباً لنزول الرطب."[١٤] بل ذكر الطبرسى "أن الجذع كان يابساً لاثمر عليه "[١٥] وحذا حذوه كثير من المفسرين؛ وذكر الفخر الرازى "أن الوقت كان شتاء، وأن النخلة كانت

يابسة"[١٦]، بينما ينقل الزمخشرى عن طلحة بن سليمان تفسيره " أى جمعنا لك فى السريّ والرطب فائدتين؛إحداهما:الأكل والشرب، والثانية سلوة الصدر؛ لكونهما معجزتين"[١٧] ولعله يقصد معجزتين لعيسى عليه السلام.

وفى سورة الكهف ١٨ تحكى الآيات ٩ ٢٦ عن هؤلاء الفتية الذين ناموا فى الكهف سنين وأحياهم الله بعد ذلك ومعهم كلبهم وفى سورة النمل (٢٧) تحكى الآيات ٣٨- ٤٠ عن بِلقيس ملكة سبأ وكيف طلب سليمان عرشها فأتى له به عبدٌ من عباد الله قبل أن يرتدَّ إلى سليمان طرفُ عينيه.

وهنالك حديث قدسى يردده الصوفيون دائماً:

"إن الله قال: من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبد بشيءٍ أحبّ إليّ مما افترضته عليه،وما يزال عبدى يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها،ورجله التى يمشى بها،وإن سألنى لأعطينّه، وإن استعاذنى لأعيذنّه، وماترددت فى شئٍ أنا فاعله تردّدى فى قبض نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءلته"[١٨]

وقد وردت كرامات كثيرة عن الصحابة لعل من أهمها كرامة "ياسارية الجبل"[١٩] والتوسل بالعباس عم النبى صلى الله عليه وسلم فى عام الرمادة وغير ذلك كثير.

وقد قصدتُ من ذلك أن أوضح أن الكرامات ليست جديدة إلا أننى اقتصرت فى هذا البحث على كرامات الأولياء الصوفيين المسلمين ويهدف هذا البحث إلى دراسة هذه الظاهرة كجنس أدبى.

وتختلف الكرامة عن السحر حسب المفهوم الصوفى فالسحر من الشيطان بينما الكرامة من الرحمن؛كما أننى لا أستطيع أن أفصل بين الأساطير والكرامات من حيث المنهج أيضا إلا أن الأساطير والحكايات الشعبية لا يُنظر إليها ـ الآن ـ من خلال رؤية مقدسة بينما يُنظر إلى الكرامات من رؤية مقدسة لدى الصوفيين، كما أن الكرامات تتوالد وتنمو فى عصرنا الحاضر، إذْ هى تراث يتنامى حسب الذاكرة الجماعية للشعوب.

وقد أثَّرت الكرامات فى الأدب كما سوف أتناول و ألقت بظلالها على الفن إذ اهتم الفنان برسم شخصيات الأولياء الذين ذاعت شهرة الكرامات المنسوبة إليهم مما جعلهم مصادر وحى للفنانين ولاسيما الفنان الشعبى الذى "رسم ولوَّن رموز الحركات الإسلامية المشهورة"[٢٠].

المنهج:

إن اختيارى منهجاً أسير عليه فى هذا البحث يعد أول مشكلة؛ فهناك المنهج التاريخى الذى من خلاله أتتبع نشأة الكرامات وتطورها التاريخى والعوامل التاريخية التى صاحبت أو دفعت نحو وجودها، وهذا المنهج وإن كان سيساعدنى على حل غموض نشأتها وتطورها إلا أنه سيربطها بنشأة الأسطورة والخرافة والمعتقدات البدائية مما سيلقى بى فى جُب الأساطير من جهة وسيقف عاجزا عن إعطائنا إجابة عن سبب استمرارها عبر الأزمنة والأمكنة؛ فى الوقت الذى اندثرت فيه الأساطير؛ ومن ثم فلن يكفى ذلك المنهج التاريخي.

هنالك المنهج النفسي وهو المنهج الذى يخوض فى تحليل الظاهرة نفسيا من حيث كشف عُقد الناس وردّ الظاهرة إلى حيواتها الشعبية؛ ويكشف جوها النفسي في حالات الضعف والعجز والسيطرة والذل، والفخر ومدى حاجة الناس للعدل والقوة المتمثلين فى "المدد" بيد أن هذا المنهج لن يعيننى على الوقوف تجاه الكرامات كنص أدبي.

وقد درس Vladimir Propp فى كتابه Morphologie des Maerchen[٢١] و حلل فيه الحكايات الشعبية لكن هنالك تعارضاً شكلياً ومضمونياً بين الحكاية الشعبية والكرامات وإن كانت خاصية القص فى البناء الأدبى والتقبُّل الشعبى لكل منهما تجعلهما متشابهتيْن مما يساعد على التحليل.

وقد حاول بروب فى معرض مناقشاته مع ليفى ستروس[٢٢] أن يوضح مدى الإتفاق والاختلاف بين الحكاية والأسطورة حين رد ذلك إلى "أن إحدى الخصائص المميِّزة للحكاية هى أنها تقوم على الابتكار الشعرى وتمثل تجلِّى الواقع(...) وبالعكس فإن الأسطورة محكيٌ ذو طابع مقدس يؤمن بحقيقته، لكنه يعبِّر عن الاعتقاد المقدس لدى الشعب"[٢٣].

لكن المنهج الشكلى وحده لن يفى بالغرض والأهداف المرجوة من هذا البحث ولهذا فإننى سأستخدم المنهج الفنى مع استخدام ما يقتضيه البحث من المناهج الثلاثة سالفة الذكر نحو تحليل الكرامات شكلاً ومضموناً.

(ألا إنَّ أولِيَاءَ اللـهِ لا خوفٌ عليهم ولا هـم يَحزنـون)[٢٤]

"إن الله قال: من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب(...)"[٢٥]

حديث قدسي

"اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى"[٢٦]

حديث شريف

" لونظـرتم إلى رجل أُعطى من الكرامات حتى تربّع في الهواء فلاتغـترّوا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة."[٢٧]

أبو يزيد البسطامي

الفصل الأول

أهم مصادر الكرامات وموقف المذاهب والفرق الإسلامية منها

١-١ أهم المصادر التراثية فى الكرامات:

تعد التآليف التى جمعت الكرامات في متونها تآليف لاتحصى، وأكثرها مخطوطات لم تُحقق بعد أما ما حُقق فكثير وأهمّ الكتب:

* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبى نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني[٢٨] اشتمل على زهاء سبعمائة ترجمة للأولياء والكتاب موسوعة فى مجاله.

* التشوّف إلى رجال التصوف وأخبار أبى العباس السبْتى لأبى يعقوب يوسف بن يحيى التّادلي، عُرف بابن الزيات[٢٩]، وقد عقد فصلاً صغيراً أسماه " فصل جامع لأنواع الكرامات "بيد أنه لم يتجاوز سبعة أنواع وهو تقسيم هزيل إلا أن أهمية كتابه تنبع من التراجم التى ذكرها عن الأولياء حتى عصره وتصل إلى مائتين وسبعٍ وسبعين ترجمة ملأى بالكرامات.

* روض الرياحين فى حكايات الصالحين الملقب نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواضر فى حكايات الصالحين والأولياء والأكابر لليافعي[٣٠] وتأتى أهمية هذا المؤلَّف من أنه أورد خمسمائة كرامة للأولياء وقد أطلق على كل كرامة مصطلح حكاية، ولم يلتفت النقَدة إلى ذلك.ولقد ظُلم اليافعى حينما لم يُلتفت إليه كأديب وإنى لأحسبه من أهم أدباء القرن الثامن الهجرى شاعريةً وقصاً وخيالاً.

× نشر المحاسن الغالية فى فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية الملقب كفاية المعتقد ونكاية المنتقد لليافعي[٣١] أيضاً، وقد فرّق فيه بين المعجزةوالكرامة والسحر، كما ذكر عشرة أنوا ع للكرامات إلا أنها أكثر كما سيجئ فى ثنايا البحث.

* جامع كرامات الأولياء للنبهاني[٣٢] ويعد من أكبر الموسوعات التى حوت الكرامات وقد رأى "أن كل ماكان كرامة لوليّ فهو معجزة لنبيّه"[٣٣] وقد رتب أسماء أصحاب الكرامات على حروف المعجم.

* الأولياء لأبى بكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشى المعروف بابن أبى الدنيا[٣٤] وهومن أوائل الكتب التى خُصصت للحديث عن الأولياء وإثبات ولايتهم وكراماتهم وذكر بعضاً منها.

كذلك تحتل مؤلفات الكلاباذي[٣٥] والقشيري[٣٦] والهجويري[٣٧] وابن عربي[٣٨] مكانة كبيرة فى التراث الكراماتي.

هنالك كتاب طريف من الضرورى إثباته هنا وأعنى به "المختار فى كشف الأسرار"للعلامة زين الدين عبدالرحيم بن عمر الدمشقى المعروف بالجوبرى الذى تَتَبع أشهر الكرامات فأنكرها وحاول فى عقلانية أن يوضح لنا كيف بدت للدهماء دون أن يعوا خفاياها ولذا

فقد أبان أن منهم "من يُظهر الفواكه في غير أوانها وفي أوقات لا يمكن وجودها مثل المشمش(...)يأخذون المشمش وفيه قوة ثم يأخذون قعبة زجاج لها غطاء محكم عليها فيفرشها بالزعفران؛ ثم يرد عليه الغطاء ويشمع الوصل فإذا أراد إحضاره يكون كأنه جناه وقته ولولا خوف الإطالة لذكرت في هذا المعنى مائتي باب..."[٣٩] وقد اشتمل كتابه على ثلاثين فصلا وهو غاية في أدب الخيال وخيال العلم والتجربة وتبدو أهمية هذه الكتاب في ذكر أنواع عديدة من الكرامات وصرف همته نحو فهم ماهيتها وكشف زيفها من وجهة نظره.

١- ٢ أهم الدراسات الحديثة:

١-٢-١ الدراسات العربية:

تناول الدكتور علي زيعور في كتابه" الكرامات الصوفية والأسطورة والحلم"[٤٠] هذه الظاهرة وهي دراسة جيدة اهتم فيها بتحليل الذات العربية ولاسيما القطاع اللّاواعي فيها باعتبار أن الكرامة هي المسئولة عن تخلف الفكر العربي وتناسى أن الكرامة ليست مقصورةً على العرب دون غيرهم من الأمم الأخرى؛فهل هي مسئولة عن جميع الشعوب المتخلفة في العالم ؟ وقد حاول تفسير الكرامة من منطلق خلط فيه بين الكرامة والأسطورة والخرافة وركز كثيرا على كتاب ألف ليلة وليلة إذ يرى أنه " كتاب أثّر وتأثّر بالكرامات، أخذ وأعطى للحكايا الصوفية "[٤١] وكان أحرى أن يوضع في الاعتبار أن الكرامات سابقةٌ لا لاحقة، وقد حمل على الكرامة التي رأى أنها " ذات أصل وثني قديم"[٤٢] وعدّها ظاهرة نفسية تدل على رموز جنسية مستوحاة من الأساطير وغير ذلك؛ ولـمًّا كان لديه

حُكم مُسبق ضد الكرامات باعتبارها " لا تبنى اليوم مجتمعاً ولا تقيم فكراً يتحدى ليغير الواقع"[٤٣] فلم تأت دراسته محايدة؛ كذلك فقد عدّد ثلاثاً وأربعين وظيفة للكرامة إلا أنه فى تقسيمه قد خلط بين الوظيفة والصورة والمحقِّق، بيد أن ذلك لاينقص من بحثه حيث لم يهدف إلى دراسة الظاهرة دراسة أدبية؛ ,إن كان قد نبّه إلى أهمية ذلك.

فى دراسة الدكتور عبدالستار عزالدين الراوي:"التصوف والبارسايكولوجى"[٤٤] تناول أصول التصوف وحاول دراسة التصوف فى أطر علم Parapsychologie وهو "الحقل الذى يدرس هذه الظواهر فوق الحسية، والقوى الخارقة للإنسان"[٤٥] كما تحدث فى جزئية عن الكرامة من حيث وقوعها وأنها نشأت فى وسط العامة وهذا رأى خاطئ لأنها تنشأ فى وسط المثقفين أيضاً ثم إنه حاول أن يضع الكرامات وفق المنهج العلمى التجريبى وأعتقد أنها بعيدة عن ذلك تماماً؛ لكن ذلك لم يمنع من إفادتى من بحثه.

كما ظهر كتاب لطفى عيسى: "أخبار المناقب فى المعجزة والكرامة والتاريخ"[٤٦] وهو تحليل لمخطوط:"نور الأرماش فى مناقب أبى الغوث القشاش" لمؤلف مجهول يدعى:المنتصر بن أبى لحية القفصي، ويعود تأريخ تأليف المخطوط إلى أوائل القرن السابع عشر. وهوتحليل جيّد للنص والظروف التاريخية التى أسهمت فى إنتاجه.

وفى ١٩٩٢ أصدر مجدى محمد الشهاوى كتابه المعنون بـ "دراسة تحليلية عن خوارق العادات: المعجزة، الكرامة، السحر"[٤٧] وهو كتاب ليس فيه ما يستحق القراءة سوى عنوانه؛ أما متنه فهو نُقولٌ عن متون دون منهج أو تحليل؛ ناهيك عن الخلط بين

المصطلحات وربما لم يتبق له من كتابه ذى الثمانين صفحة سوى عنوانه وأخطائه.

وقد جاءت كتابات نبيلة ابراهيم[٤٨] لتلقى الضوء على أهمية التعبير الشعبى ولا سيما الرمزفيه وعالمية التعبير الشعبى ودور البطولة الشعبية فى الوعى العربي؛ ولما كان جانب ما من الكرامات يندرج تحت الأدب الشعبى فقد أفدت مما كتبته أيما فائدة.

وقد تتلامس شخوص الكرامة نظريا مع شخوص الخرافة التى تتميز شخوصها .عن شخوص عالمنا الواقعى بخاصية التسامي...تسمو بشخوصها بحيث تفقدها جوهرها الفردى وتحولها إلى أشكال شفافة خفيفة الوزن والحركة؛ إنما تسمو بشخوصها فوق الواقع الداخلى والخارجي"[٤٩]

وقد قدم أحمد شمس الدين الحجاجى رؤية نقدية تناولت البعد الصوفى فى الأدب وذلك من خلال تحليله لرواية عُرس الزين للطيب صالح فى كتابه "صانع الأسطورة"[٥٠] فقد أوضح ضرورة قراءة النص فى إطاره الصوفى المميز وحاول أن يكسو شخصية الزين بطل الرواية حلة الولاية ويوضح أثر الكرامات فى ذلك النص الروائي.

من المؤلفات التى يجب ذكرها كتب الإمام عبدالحليم محمود شيخ الجامع الأزهر الأسبق الذى ألف سلسلة من الكتب حول الأولياء وتحدث فى كلٍّ عن كراماتهم وأن الله قد أمدهم بمدده وعطاياه وسأستشهد فى ثنايا البحث ببعض منها.

كما جاءت كتابات شوقى بشير عن الصوفية لتحل إشكالية كبرى

فيما أشيع خطأ عن الصراع بين الفقه والتصوف وأبان فى كتابه "نقد ابن تيمية للتصوف"[٥١] كيف أنه لا صراع بين التصوف الحقيقى المبنى على الكتاب والسنة وبين الفقه.

وهنالك كتب تناولت ولياً من الأولياء وفى كل كتاب يعقد مؤلفه فصلا لكرامات ذلك الولى وندر أن يخلو كتاب من هذه الكتب من الحديث عن الكرامات ولكثرة هذه الكتب فإننى أفدتُ من مادة الكرامات الموجودة بها، لكنها لم تتجاوز سرد هذه الكرامات إلى التحليل النقدي.

وقد كتب سيد عويس دراسته الجادة حول "الإبداع الثقافى على الطريقة المصرية؛دراسة عن بعض القديسين والأولياء فى مصر"[٥٢] وقام فيها بتحليل الرسائل التى تكتب لمقام الإمام الشافعى وكيف يحمل البسطاء همومهم عبر الكتابة إليه وهو تحليل اجتماعى جيد، كما جمع القوانين واللوائح المنظمة للتصوف فى مصر.

كما عقد الشيخ عبدالله التليدى فصلاً فى كتابه "المطرب فى مشاهير أولياء المغرب"[٥٣] عن الكرامات أثبت وقوعها وضرورة الإيمان بثبوتها وساق على ذلك أمثلة كقصة اصحاب الكهف والسيدة مريم عليها السلام وقصة صاحب نبى الله سليمان عليه السلام وحديث الثلاثة الذين آواهم المبيت على غار فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فدعوا الله فانفرجت عنهم الصخرة، وحديث الرجل الذى سمع صوتا فى سحابة "اسق حديقة فلان وغير ذلك

ومن أهم المقالات التى ظهرت حول الكرامات يأتى مقال جمال

الغيطاني: رؤية أدبية: كرامات الأولياء، ونبه إلى خاصية القص فى الكرامات ودعا إلى دراسة هذه الظاهرة التى خلص إلى أنها "قصص قصيرة، مركزة، ضامرة المحتوى، واسعة المعنى، سريعة، خاطفة كالبرق غير أنها تعكس تجارب شتى وطموحات إنسانية تردد بعضها فى الزمن القديم وحققه الإنسان فى عصرنا الحديث.

الكرامة تعبير أيضاً عن رغبة إنسانية جادة فى تبديد قهر اجتماعى أوظلم سياسي واقع."٥٤ ونبه إلى أن النقاد قد التفتوا إلى المقامات ولم يلتفتوا إلى الكرامات، وأظن أن مردّ ذلك يعود إلى نظرة التعالى التى نُظر ويُنظَر بها إلى التراث الكراماتي، وقد فقدوا بذلك عنصراً خصباً. وربما كان مقال الغيطانى من أوائل المقالات التى تبنت هذه النظرة الإبداعية النقدية.

ثم ظهر مقال يوسف زيدان: القصة عند الصوفية ليشير فيه إلى "أن هناك أصولاً وبذوراً أولى للقصة الصوفية التى هى بدورها أصول وبذور أولى للقصة العربية المعاصرة."٥٥ ثم تناول بكارة اللغة والتواصل مع التراث.

كما كتب يوسف زيدان فى مقال آخر نشر بمجلة فِصول عن "كرامات الصوفية نص أدبى مضاد للتصوف"وهو مقال جيد حاول أن يشير فيه إلى أهمية النظر إلى الكرامات من رؤية أدبية، وقد قام بتحليل بعض الكرامات تحليلاً نقدياً بيد أنه من منطلق بعض الكرامات المتعلقة بالقدرة على الطعام وغير ذلك توصل إلى أن الكرامات نص مضاد للتصوف وهى نتيجة تخالف كتاباته الأخرى؛ وتخالف جوهر النص الكراماتي. وقد أرجع ظاهرة ازدياد الكرامات

إلى أزمنة القهر الاجتماعى والسياسى بالذات وهى رؤية صحيحة إذا أخذنا فى الاعتبار أن ملازمة هذه الأزمنة مزمنة لوطننا عبر العصور، وقد ذكر أنه "لعل أول من أفرد للكرامات عنواناً مستقلاً هو القشيرى (المتوفى ٤٦٥هجرية) حين أفرد ورقتين فقط من رسالته الشهيرة لهذا الموضوع."[٥٦] والحقيقة أن أناساً كثيرين قد سبقوا القشيري؛ منهم على سبيل المثال لاالحصر أبوبكر محمد الكلاباذى المتوفى ٣٨٠ هجرية الذى ألّف "التعرّف لمذهب أهل التصوف" واشتُهر هذا المؤَلَّف حتى قيل "لولا التعرّف لما عُرف التصوف" وقد جعل الباب السادس والعشرين تحت عنوان "قولهم فى كرامات الأولياء" وقد جاء فى تسع صفحات من الكتاب المطبوع ولاأدرى كم ورقة فى المخطوط لأنى لم أطلع عليه وقد بدأه بقوله "أجمعوا على إثبات كرامة الأولياء"[٥٧] ثم ناقش قضية الكرامات مناقشة توحى أنها كانت آنذاك قضية يتصارع الخصوم والأنصار حولها؛ كما تناول أقوال المتكلمين وبعض الصوفيين بالنقد والتحليل.

وقد تناول يوسف زيدان الكرامات فى كتاب صدر حديثا وهو"المتواليات، دراساتٌ فى التصوف"وذكر أن الكرامات"يمكن النظر إليها على أنها نوع راق من الأدب العربي، اجتمعت فيه عملية السرد الروائى مع الحوار (الديالوج) الخارجى والباطني، مع الخطاب النفسى (المونولوج) ليصير هذا المزج إطاراً لإبداع من نوع خاص"[٥٨]

ومن الكتب التى تناولت الكرامات من قبل القشيرى يأتى الكتاب الجامع للكرامات:"حلية الأولياء"لأبى نعيم الأصبهانى المتوفي

سنة ٤٣٠هجرية وبه من الكرامات مالا يُعد على نحو مابينت آنفاً.ومنها كتاب عيون المعجزات للشيخ حسين بن عبدالوهاب[٥٩] الذى فرغ من تأليفه سنة٤٤٨هجرية.

ولا يخفى علينا شيوع كرامات الصحابة منذ فترة مبكرة ونلمس هذا فى المؤلفات والروايات الشفهية[٦٠].

ونبّه يوسف زيدان إلى أهمية دراسة الكرامات فى إطار "النقد والتحليل والمتابعة لتطور البنية العامة لنص الكرامات."[٦١] وأرى أن دراستها ليس من كونها نصاً مستقلا عن التصوف كما ذكر فى مقاله بل تُدرس فى إطار النص الإبداعى المواكب للتصوف وليس المضاد له.

١-٣ الدراسات الاستشراقية

فى كتابه: Die Wunder der Freunde Gottes[٦٢] Richard Gramlich قام بدراسة الكرامات الصوفية إلا أن كتابه جاء جامعاً للكرامات وربما كان يهدف إلى هذا أما التحليل الأدبى فلم يطرقه إلا قليلاً، بيد أنه قد قام بترجمة العديد من الكرامات من اللغتين العربية والفارسية إلى اللغة الألمانية وقد ساعدنى ذلك فى تكوين رؤية شاملة للكرامات، ولكونه ناسكاً فقد حاول أن يقدم الكرامات فى ترجمة ذات لغة أدبية رفيعة عملت على جذب القارئ الألمانى نحو التراث الصوفي.

وقد ظهرت دراسة Julia Gonnella عن Islamische Heiligenverehrung im urbanen Kontext am Beispiel von Aleppo (Syrien)[٦٣] التى تناولت فى إحدى فصول الدراسة

الكرامة الصوفية في مدينة حلب إلا أنها قد خلطت بين الكرامة والسحر حيث إنها قد استندت على روايات بعض النساء في حلب اللواتي قلن لها "إنهن من خلال كرامات أحد المشايخ قادراتٌ على إيقاع الضرر بالجار السوء والقريب السيئ"[٦٤] وأظن أن ذلك لايدعى كرامة أما أن يقع حدث ما بين الشيخ وأحد منكريه فإن قصد الكرامة هنا التحدي والتأديب، لكن سرعان ما يتحول هذا المتحدي أو الضال إلى مهتدٍ وعبد صالح يتوب على يد الشيخ ويتبعه. لذا لا ينبغي للشيخ أن يستخدم الكرامة كسلاح يرهب به الناس لأن أقطاب الصوفية وضعوا حدوداً لاستخدام الكرامة فقد اشترط السرى على الولي أ"لاّ تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله"[٦٥]

كذلك لم تعرف السيدة Julia Gonnellaأن هنالك نوعين من الأولياء: مَن يُسمح له بإظهار الكرامة لأنه يعرف أنه ولي، ومَن لايُسمح له بذلك؛ وعلى حد قول القشيري "لو لم يكن للولي كرامة ظاهرة عليه في الدنيا لم يقدح عدمها في كونه ولياً"[٦٦] وعلق شيخ الإسلام زكريا الأنصاري على ذلك قائلاً:"بل قد يكون أفضل ممن ظهرت له كرامات"[٦٧]

ولذلك فقد قرّرَتْ أن الولاية "لاتتحقق إلا بعد موت الولي"[٦٨]!! وهو حكم خاطئ تماما.

وقد استخدمت مراراً مصطلح " Heiligenfamilienعائلات مقدسة "[٦٩] لبعض عائلات الأولياء وهو مصطلح غير دقيق - حتى لو وُجد - لأن الولاية ليست إرثاً حسب المنظور الصوفي،والتصوف ذاته ذاتيةٌ خاصة وحالٌ لايُوَرّث، ولا يُنال بالقرابة لأنه مجاهدة خاصة.وقد دأبت بعض العائلات الصوفية على توريث خلافة الطريق لأبنائها

وهى ظاهرة جديرة بالنظر والنقد لكنها ليست بقادرة على إضفاء قدسية عليتوريث الولاية أو القطبية حسب القواعد الصوفية. لكن ذلك لا ينقص من الجهد الكبير الذى بذلته Julia Gonnella فى دراستها.

تأتى مؤلفات المستشرقة Annemarie Schimmel حول التصوف الإسلامى لتسد فراغاً فى المكتبة الأوربية ومن أهم مؤلفاتها Die Ges-.Mystische Dimensionen des Islam chichte des Sufismus[٧٠] الجوانب الصوفية فى الإسلام، تاريخ التصوف" الذى يعدّ من أهم الدراسات الصوفية.وكذلك كتابها :Gaerten der Erkenntnis[٧١] "حدائق المعرفة"الذى ترجمت فيه لأربعين ولياً صوفياً.

وكتابها: Rumi, Ich bin Wind und du bist Feuer, Leben und Werk des grossen Mystikers[٧٢] جلال الدين الرومي، أنا الريح وأنت النار؛ حياة وأعمال الصوفى الكبير."الذى بذلت فيه جهداً كبيرا فى ترجمة أشعار جلال الدين الرومي، والتعريف به وبأعماله.

وفى نظر المستشرقين ليس هناك فارق ما بين المعجزة والكرامة ولذلك عندما تناولوا قضية الكرامة تناولوها فى إطار معجزات الأنبياء فقط.

وقد كتب ماك دونالد Macdonald .B. D فى دائرة المعارف الإسلامية الألمانية EIمقالا عن الكرامة التى عرفها بأنها " منح باهرة وأدلة عليرحمة الله التى يحيط بها أولياءه ويحميهم ويعينهم."[٧٣] والمقال قصير وعام، وقد استفدتُ منه.

وقد استفاد منه Gardet L. فى EL دائرة المعارف الإنجليزية فى مقاله "الكرامات"الذى تحدث فيه عن موقف الفِرق والمذاهب من الكرامات.

Gustav Menching يتحدث فى كتابه Das Wunder im Glau- ben und Aberglauben "المعجزة فى ديانات ومعتقدات الشعوب" يتحدث Gustav Menching عن المعجزات لدى كل الشعوب والأديان حتى عند البوذيين ولذلك يقول:"لم يكن هناك شك فى كرامات بوذا لأنه نشأ فى بيئة ملأى بالكرامات[٧٤] وينقل عن Goethe جوته قوله:" إن الكرامة فى الأديان كالطفل المحبوب"[٧٥] كما نقل عن Cicero قوله الفلسفى فى الكرامات "لايحدث شئ دونما سبب، ولايحدث شئ لايمكن أن يحدث، وإذا حدث شئ ما بإمكانه أن يحدث فلا يمكن أن نعده كرامة، وعلى هذا فلايوجد كرامات ونتوصل إذن إلى نتيجة: أن الذى لايمكن أن يحدث لن يحدث مطلقاً، وأن الذى بإمكانه أن يحدث ليس بكرامة."[٧٦] وتكمن صعوبة ترجمة هذه النصوص من حيث إن مصطلح Wunder يعنى المعجزة والكرامة والعجيبة حيث لم يُفرق بين هذه المصطلحات فى معظم كتب المستشرقين الألمان.

وفى كتاب Majjhima-Nikaya نرى الوصف الكراماتى أوالمعجزاتى حيث تناول نشأة المعجزة فى الفكر الإنسانى فى كل الأديان فبوذا مثلاً " يملك قوى خارقة ذات أنواع مختلفة: رغم أنه متعدد إلا أنه واحد. إنه يرى ولا يُرى. هو يسير فوق الأسوار، فوق المرتفعات والجبال وفى الهواء دون أن يثبّت قدميه فى أى مكان. إنه يصعد من

الأرض ويغوص فيها كأنها الماء. ويمشي على الماء دون أن يشق الماء وكأنه اليابسة؛ إنه يطير فى الهواء ساقاً على ساق وكأنه طائرُ مجنح".[٧٧] وأنه "في لحظة واحدة ينقل نفسه ووجوده العظيم بقواه الروحية عبر النهر مخلفاً هذا الشط ليكون فجأةً على الشط الآخر مؤشراً على مرور قارب الحكمة."[٧٨] وهذا الوصف للقوى الخارقة لدى بوذا تجعل مادة الكرامات متشابهة معها مع اختلاف فى مُحقق الكرامة ووظائفها لكن من حيث الشكلانية فإنهما يتشابهان إلى حد كبير؛ مما يجعل إمكانية المقارنة بينهما فى طرائق الحكى أيضاً.

لكن أجمل ما ذكره أن" المصريين القدماء عندما نحتوا بعض الكلمات على جدران المعابد وفى مقابر الموتى فإنهم كانوا يؤمنون بكرامة الكلمة القادرة على دفع الأرواح الشريرة من جهة؛ وأنها قادرة على إلهام الميت عند بعثه بمقولات عن خير ما فعل من جهة أخرى."[٧٩] وهو إعلاء من شأن الكلمة القادرة على إحداث الفعل بذاتها دونما واسطة.

وقد تناول Harald Haarmann فى كتابه Die Gegenwart der Magie[٨٠] (واقع السحر) السحر كظاهرة اجتماعية يبحث الإنسان من خلالها عن جذوره النفسية وحلل أغراض السحر والحيل والخدع كطقوس للتعبير عن علاقة الإنسان والطبيعة.ورأى أن السحر يعد طريقة لحماية النفس والذاتية.

وتحدث عن أشكال السحر وفنونه.والمميز فى الكتاب هو محاولته الربط بين القديم والحديث مروراً بالسحر عند الفراعنة والآشوريين والإغريق والهنود وانتهاءً بالعصر الحديث.

وقد تناول بعض المستشرقين المعجزات النبوية فى مؤلفاتهم مثل Peter Antes فى كتابه Prophetenwunder in der Asariya bis al-Gazali (Algazel) (معجزات النبى عند الأشعرية حتى الغزالي) وقد تحدث فيه عن الكرامة بشكل عابر[٨١] وحاول أن يربط بينها وبين المعجزات.كما تناولت Gabriele von Bülow الأحاديث الواردة فى البخارى عن المعجزات فى دراستها:Hadithe über Wunder des Propheten Muhammad[٨٢] "الأحاديث حول معجزات الرسول محمد" إلا أنها لم تتطرق للكرامات.

وقد حلل المستشرق Daiber Hans إحدى الكرامات فى بحث له بعنوان "Literarische Prozesse zwischen Fiktion und Wirklichkeit"[٨٣] عملية [الإبداع] (الأدبى بين الخيال والواقع) ويعد من أفضل التحليلات النقدية لنص كراماتى[٨٤]؛ إذ ترجم النص ثم علّق عليه من منطلق أنه محاولة لدمج اتجاهات صوفية مختلفة وأن" مايجمع هذه القصة والأسطورة فى القرون الوسطى هو استخدام الشعر والنثر معاً، لكن مايفرق بينهما هو أن قصتنا بها وعظ كثير، وأن فى منتصف الحدث لايكمن الشئ الغريب"[٨٥] وقد حاول دَيْبر Daiber أن يُرجع هذا الشكل من القصص إلى الأساطير وألف ليلة وليلة وإلى القصص الإغريقية القديمة كالأوديسة Odeyssee[٨٦] وأحسب أنه قد رجع عن هذا الرأى عندما لحظ الاختلافات الواضحة، وليس من المنطقى أن يعود كل شئ إلى التراث الإغريقي، ناهيك عن الفارق فى البناء والشكل والمحتوى والهدف والشخصيات بينهما،وقد ورد فى هذه الكرامة العديد من

أبيات الشعر التى جعلت هذه القصة أكثر تأثيراً في نفسية المتلقي، وعلّق Daiber على هذه القصة قائلا:" ليست هناك آثار للعقلانية فى هذه القصة "[٨٧] وأحسب أن النص الكراماتى لايُبحث فيه عن عقلانية، ويبقى له أنه تعامل مع النص على أنه يحمل فى طياته جنساً أدبياً خاصاً به.

وقد تناولت المستشرقة K.M. - Hermansen فى مقال لها بعنوان Miracles, language and power in a 19th century Islamic Hagiographic Text.) لغة الكرامات وتأثيرها فى نصوص الأولياء المسلمين فى القرن التاسع عشر) الكرامات المذكورة فى "مناقب الأقطاب الأربعة" التى كتبها البُلقينى مدعياً أنها من إملاء شيخه أحمد الشّرنوبى (١٥٢٤ ١٥٨٥) وهو نص ملئ بالكرامات. وقد ناقشت فى مقالها المقالة التى كتبها Charles Pellatفى دائرة المعارف الإسلامية[٨٨] والتى أورد فيها ما ذهب إليه Bruschwigمن "أن المناقب مملة [لأنها ثابتة الشكل] وتصوير الأفراد فيها مكرر"[٨٩] ثم ترجمت بعض الكرامات التى وردت فى النص، ورأت "أن السير الحقيقية للأولياء ليست المدونة بل هى المتداولة شفهيا بين أفراد الشعب"[٩٠] وأنها تخليد للأبطال المحليين[٩١] وقد ذكرت فى نهاية تحليلها أنه على الرغم من "أن باحثين مثل Littman و Goldzih-er قد التفتوا إلى خصائص معينة فى سير الأولياء مثل الطقوس والمعتقدات إلا أن هنالك خاصية مهمة تستحق اهتماماً أكثر وهى العلاقة المتبادلة بين النص المكتوب والنص الشفهي.(...)ويجب دراسة هذه الناحية "[٩٢] والمقال جيد فى مجموعه، وإن كانت قد

ذهبت إلى الخلط بين الطرق فى مصر مستشهدة بشيخ لم تذكر اسمه قد قال لها ذلك، وكان أحرى بها لو استقصت مصادرها.

وفى دراسة Albrecht Hofheinz حول "Internalising Islam, Shaykh Muhammad Majdhub Scriptural Islam and Local Cotext in Century Sudan"[٩٣] الدراسات الإسلامية من المصادر الداخلية؛ الشيخ محمد مجذوب؛ الحياة الروحية الإسلامية والبيئة المحلية في بداية القرن التاسع عشر فى السودان" أفرد الباحث فصلاً لمناقب الشيخ محمد مجذوب التى عدها مصادر تاريخية Historical Source وعاب على مؤرخى تاريخ الإسلام عدم التفاتهم إلى المناقب التى على حد قوله "ليست أساطير وإنما قصص شوهدت ورويت وحوادث حقيقية تثبت نفوذ الشيخ"[٩٤] إلا أنى أختلف معه فى قوله "إن معظم التفاصيل فى الكرامات تدور حول الشيخ ومريديه، وقلّ أن نجد تفاصيل العالم المحيط بهم"[٩٥] حيث إن الكرامات وإن كانت تدور حول الشيخ إلا أن العصر ينعكس فيها بشكل واضح فالمستحيل فى عصرهم ممكن فى الكرامة والاصطدام السلطوى بشتى أنواعه مثبت فى الكرامات مما يوحى بأهميتها.

١-٤ موقف المذاهب والفِرَق الإسلامية من الكرامات:

تباعدت مواقف الفِرق من الكرامات فمنهم من آمن بها ومنهم من أنكرها، وتدل المناقشات التى دارت حيالها على ما احتلته من منزلة فى الفكر الإسلامي، وقد قسمت هذه الفِرق إلى مجموعات قد تكون غير واضحة المعالم فالفيلسوف قد يكون معتزلياً إلا أنى أهدف إلى

التنبيه إلى مواقف الأوائل من الكرامات وأهمية ما تشير إليه هذه الخصومات الفكرية من آراء قد تنير لنا جانباً من الجدل الفكرى فى رحلة العقلانية الإسلامية وانتكاساتها عبر العصور.

يجب أن أنوه هنا على أن موقف المذاهب والفِرق الإسلامية من الكرامات باب يطول وليس من اهداف البحث التوقف حياله إلا أننى وددت ان أستشهد ببعض المواقف بغية إلقاء الضوء على ما أثارته الكرامات من جدل فى الفكر الإسلامى حيالها من جانب؛ ومن جانب آخر فإن هذه الآراء واختلافها توضح لنا استمرارية الظاهرة عقب العصور والأجيال.

كما أنه من نافلة القول أن التقسيم التالى تقسيم شكلى فالفيلسوف قد يكون معتزلياً وفقيهاً فى آن واحد إلا أننى اضطررت لهذا لتشعب الفِرق والمذاهب، ورأيتُ أن تتبّعها فى خلافاتها الفرعية ليس من غاية البحث.

١-٤-١ المعتزلة:

ينكرون وجود الكرامات ويسوقون حجة ضد ها وهى حجة الزمخشرى فى تفسيره للآية {عَالِمُ الغيبِ فلا يُظهر على غيبه أحداً؛ إلا مَن ارتضَى مِن رسولٍ فإنّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَين يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِهِ رَصَداً}٩٦ التى يفسرها بقوله " لايطلع على الغيب إلا المرضى الذى هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضي، وفى هذا إبطال للكرامات لأن الذين تضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل، وقد خص الله الرسل بين المرتضين بالاطلاع على الغيب، وإبطال الكهانة والتنجيم لأن أصحابها أبعد شئ من الإرضاء وأدخله فى

السخط."[٩٧] وأنها تؤيد حدوث أية معجزة يحدثها الله على يد رسله لكي يُظهر حقيقة رسالتهم ولكنها في نفس الوقت تنكر حدوث أية ظواهر غير طبيعية على يد غير الرسل.وفي هذا النص نجد الزمخشري يُبطل الكرامات المتعلقة بنوعٍ واحد من الكرامات وهو الإطلاع على الغيب فقط دون أن يندرج على الأنواع الأخرى.

وقالوا:لو جازت الكرامة لأحد من الناس لاشتبهت بالمعجزة، ويقول الجبائي إذا كان الأولياء يتميزون بهذه الخاصية، فكيف نفصلهم عن الأنبياء؟ وأنه "لو جازت الكرامة لاشتبهت بالمعجزة فلا تبقى للمعجزة دلالة على ثبوت النبوة (...)وحينئذ تصير عادة فلايبقى ظهورها دليلاً على النبوة، ويُطوى بساط النبوة رأساً."[٩٨] وهي حجة واهية فندها السبكي في كتابه طبقات الشافعية الكبرى فقال:"وجميع ماذكروه في هذه الشبهة تمويه، ولاحاصل تحته، وقعقعة لاطائل فيها."[٩٩].

وفي إنكارهم ذكروا أن "تجويز الكرامة يفضي إلى السفسطة لأنه يقتضي تجويز انقلاب الجبل ذهبا إبريزا أو البحر دماً عبيطا..."[١٠٠]

ولقد أسهم مفكّرو المعتزلة في إيجاد مناقشة عقلانية حول الكرامات وحاول كل فريق شحذ فكره ودلائله مما أوجد حواراً نرى أثره الفكري في كتب المفسرين الأوائل، لكن موقف المعتزلة ضد الكرامات لم يكن من منطلق عقلاني بل كان من منطلق عقائدي أساسه المعجزات.كذلك فقد كان الزمخشري متأرجحاً في آرائه تجاه الكرامات فهو ينكر نوعاً منها ثم يؤمن بها في مواضع

أخرى فقد فسر قوله تعالى {قالَ الذى عنده علمٌ من الكتابِ أنا آتيك بهِ قبل أن يرتدَّ إليكَ طرفك...}[١٠١] بقوله:"الذى عنده علم من الكتاب رجل كان عنده اسم الله الأعظم (...) وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان عليه السلام وكان صدّيقاً عالماً(...)"[١٠٢] فهذا الرجل كان قادراً على أن يأتى بعرش بِلقيس فى أقل من طرفة عين؛ فكيف يُستدل من أقواله على أنه ضد الكرامات ويبنى المعتزلة آراءهم ضدها من خلاله والأعجب أن حججهم واهية وهى تشابهية الكرامة بالمعجزة فهل لو جاءت كرامة غير متشابهة أكانوا مصدّقين؟ وكان أحرى بهم أن يبنوا براهينهم على أساس عقلانى.

١-٤-٢ الأشعرية:

يتفقون مع المعتزلة فى رأيهم القاطع تجاه الكرامات إلا أنهم يعترفون بها لإمكانية حدوثها العقلانى فمثلما يكرم الله الأنبياء بالمعجزات التى تحدث على أيديهم فمن "الجائز" أن يكرم الله أولياءه بالكرامات، إلا أنهم رأوا ألا توضع مع المعجزات فى نفس القالب.فالمعجزة تتطلب الإعلان عنها والتحدي؛ أما الكرامة فتحدث بالسر ولاتحمل فى طياتها التحدي.

ويجب أن تفصل جيدا عن الحِيَل و الكهانات والسحر. وقد فصّل الباقلانى فى كتابه: البيان هذه القضية ورأى أن منها ماهو حقيقى ومنها ماهو مزيف.. والحقيقة أن موقف الأشعرية من الكرامات موقف متذبذب وغير واضح فتارة يقفون فى صفوف المعتزلة، وتارة أخرى يتبنون موقفاً يبدو متناقضاً.

فبينما يضع أبوبكر محمد بن الطيب الأشعرى للكرامات ضوابط تحدها إذ يرى أنه "قد ثبت بواضح الأدلة أنه لا يجوز دخول شئ من هذه الأمور تحت قدرة الخلق، علم بذلك أنه لا يجوز اختراع جسم من الأجسام، وإحياء[١٠٣] ميت بعد أن صار رفاتاً، وقلب الجماد حيواناً. وكذلك فلا يصح أن يتم إبراء[١٠٤] الأكمه والأبرص بشئٍ من حيلة من المحتالين؛ وكذلك لا يجوز أن يتم لأحد من الخلق أن يفعل لنفسه القدرة الكثيرة على الطيران نحو السماء، والطيران من الشرق إلى الغرب، والتصرف فى الجو"[١٠٥] نراه لم يحكّم سوى العقل وحده، وهنا أقرب إلى إنكار الكرامات من إثباتها بيد أن أبابكر الأشعرى نفسه يذكر فى موضع آخر أن:"المعجزات تختص بالأنبياء والكرامات تكون للأولياء"[١٠٦] أى أنه يؤمن بها وجودا وأنها تكون على يد الأولياء.

١-٤-٣ الفلاسفة:

تباينت آراء الفلاسفة حيال الكرامات فابن سينا: يرى أن الكرامات والمعجزات داخلة فى مجال القضاء والقدر "الضرورى حدوثه والذى يحدث فى محيط علم الله وإرادته(...) والفرق بين الرسول والولى هو أن الرسول يولد بطبيعة مغايرة (...) أما الولى فيكتسب الخصائص من خلال طريق التصوف والزهد وهو أقل درجة من الرسل (...) ولا ينكر ابن سينا وجود الكرامات" [١٠٧] ولكنه يحذر الناس الضعفاء منها،ويتحدث ابن سينا عما أسماه بالكشف[١٠٨].

أما ابن رشد فإنه فى كتابه تهافت التهافت يقول لا يمكن أن تحدث معجزة إلا عند وجود "استحالة" [والاستحالة الممكنة تعرف

بأنها تغيير صفة الشئ وليس جوهره أو مادته [ولكن الشئ يكون مستحيلا بالنسبة للإنسان أما حدوثه نفسه فليس مستحيلا.

ويذهب ابن خلدون إلى إثبات الكرامات للأولياء فيقول: "وأما الكلام فى كرامات القوم وإخبارهم بالمغيبات، وتصرفهم فى الكائنات فأمر صحيح غير منكر؛ وإن مال بعض العلماء إلى إنكارها فليس ذلك من الحق؛ وما احتج به الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني من أئمة الأشعرية على إنكارها لالتباسها بالمعجزة فقد فرق المحققون من أهل السنة بينهما بالتحدّي، وهو دعوى وقوع المعجزة على وفق ما جاء به، قالوا ثم إن وقوعها على وفق دعوى الكاذب غير مقدور لأن دلالة المعجزة على الصدق عقلية فإن صفة نفسها التصديق فلو وقعت مع الكاذب لتبدلت صفة نفسها وهو محال؛ هذا مع أن الوجود شاهد بوقوع الكثير من هذه الكرامات وإنكارها نوع مكابرة."[١٠٩] وابن خلدون يقرر هنا تصديقه بالكرامات بل مشاهدتها، ويدافع عن الصوفيين وما يقع منهم من شطحات فيقول فى موضع آخر " وأما الألفاظ الموهمة التى يعبرون عنها بالشطحات ويؤاخذهم بها أهل الشرع فاعلم أن الإنصاف فى شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس، والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لايقصدونه، وصاحب الغيبة غير مخاطب، والمخبور معذور، فمن علم منهم فضله واقتداءه حمل على القصد الجميل من هذا وإن العبارة عن المواجد صعبة لفقدان الوضع لها."[١١٠] ويلحظ هنا أن موقف ابن خلدون من الكرامات يتفق إلى حد كبير مع رؤية الصوفيين أنفسهم ناهيك عن هذا الحس النقدى الرفيع لاسيما فى جملته الأخيرة.

ويرى Gardet .L أنه "ليس هناك شك عند كل الفلاسفة فيأن المعجزات أو الكرامات.هي كرم يكرم بها الله المفضلين من عباده وهي أكمل درجة من الممكن أن يتوصل إليها الإنسان."[١١١]

١-٤-٤ الشيعة

تقبل الشيعة الكرامات وتفصلها عن المعجزات بيد أنها ترى أن "الأئمة الكبار يستطيعون أن يأتوا بالمعجزات لأنهم معصومون وكاملو المعرفة. حسب النظرية الصارمة فإن الأئمة وحدهم هم القادرون على الإتيان بالمعجزات اللهم إلا أنها قد تحدث الكرامة على يد شخصٍ آخر بيد أنها لا تكون إلاّ بتأثير الأئمة أو وساطتهم."[١١٢] والمنظور الشيعي يؤمن بالكرامات كما رأينا بيد أنه لايجعلها عامة لجميع الأولياء بل هي خاصة للأئمة؛ وإذا حدثت على يد غيرهم فإن ذلك من مددهم، وهذا الرأي ربما كان دافعاً لمحاولة المريدين إيصال سلسلة شيوخهم بالأئمة ومن ثمّ بآل البيت حتى الحسن أوالحسين دون أي دليل اللهم خيالاتهم متناسين قوله صلى الله عليه وسلم "أنا جدّ كلّ تقي". كما أن هذا الموقف يجعل الولاية قاصرة على الأئمة دون سواهم. وقد روى الشيخ حسين بن عبدالوهاب[١١٣] عدداً من الكرامات المنسوبة للأئمة في كتابه "عيون المعجزات" وهي نصوص إبداعية قصصية تتلامس مع الأسطورة في كثير من نواحيها.

١-٤-٥ المنظور الفقهي:

حينما أتحدث عن المنظور الفقهي فإنني أعني بمن اشتُهر من الفقهاء ولكن هذا لا يعني بداهةً أن الفقيه لايكون صوفيا أوشيعيا أو معتزليا أو غير ذلك إذ أن بعضهم قد انتقل بين الفِرق والمذاهب

والإتجاهات كالغزالى على سبيل المثال لكنى أركز هنا على رؤية الفقهاء حيال الكرامات.

منذ وقت طويل توقف الفقهاء حيال الكرامات فقد ذُكر أن أحمدبن حنبل(٧٨٠-٨٥٥) وقد قيل له " يا أبا عبدالله إن الصحابة لم يرو عنهم من الكرامات مثل ما قد روى عن الأولياء الصالحين، فكيف هذا؟ فقال: أولئك كان إيمانهم قوياً فما احتاجوا إلى زيادة شئ يقوون به، وغيرهم كان إيمانهم ضعيفاً لم يبلغ إيمان أولئك فقووا بإظهار الكرامات لهم."[١١٤] وإرجاع الكرامات إلى ضعف الإيمان يجعل الكرامة فى موازاة المعجزة تبعاً لوظيفتيْهما .وقد ذكر ابن كثير وهو فقيه شافعى فى كتابه البداية والنهاية فصلاً عن الكرامات تحت مسمى "حديث فيه كرامة لولى من هذه الأمة وهى معدودة من المعجزات لأن كل ما يثبت لولى فهو معجزة لنبيه."[١١٥] وأوضح القرطبى بصريح العبارة "أن كرامات الأولياء ثابتة على ما دلت عليه الأخبار الثابتة والآيات المتواترة، ولاينكرها إلا المبتدع الجاحد أوالفاسق الحائد (...)والفرق بين المعجزة والكرامة أن الكرامة من شروطها الاستتار والمعجزة من شروطها الإظهار."[١١٦]

ويذهب الإمام ابن تيمية إلى حدوث الكرامات من الأولياء حتى بعد وفاتهم ففى باب عبادة القبور يذكر " ولايدخل فى هذا الباب مايذكر من الكرامات وخوارق العادات التى توجد عند قبور الأنبياء والصالحين مثل نزول الأنوار والملائكة عندها، وتوقى الشياطين لها، وشفاعة بعضهم فى جيرانه من الموتى، واستحباب الاندفان عند بعضهم، وحصول الأنس والسكينة عندها، ونزول العذاب على من

استهان بها ومافى قبور الأنبياء والصالحين من كرامة الله ورحمته ومالها عن الله من الحرمة والكرامة فوق مايتوهمه أكثر الخلق "

ويذكر شوقى بشير فى كتابه "نقد ابن تيمية للتصوف"[١١٧] أن ابن تيمية "كرجل مسلم وكإمام من أئمة الهدى لاينكر كرامات الأولياء، فقد ثبت بالدليل النقلى المتواتر كثير من كرامات الصحابة والتابعين وأئمة الهدى وغيرهم من الصالحين"[١١٨]

ويرى ابن تيمية أن "قوى الإيمان لايحتاج إلى تثبيت غيمانه بالكرامات، والكرامات بحسب حاجة الإنسان المسلم إليها، وقد يكون الأكمل ولاية مستغنياً عن الكرامات"[١١٩]

وفى معرض حديث شوقى بشير عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب يرى أنه "يؤمن بكرامات الأولياء، ولا يكفر أحداً من المسلمين بذنب ويعترف بأن الولياء على هدى وحق من ربهم متى ساروا على طريق الشريعة، ولكن ليس معنى ذلك طلب الدعاء منهم لخصوصية يمتازون بها، بل يطلب الدعاء منهم كما يطلب من كل مسلم"[١٢٠]

وقد اهتمت المذاهب الفقهية بالكرامات وتعددت وجهات النظر حيالها فقد "قال تلميذ القاضى أبوبكر أحد أئمة المالكية: ذهب الصوفية إلى أنه إذا حصل للإنسان طهارة النفس وتزكية القلب وقطع العلائق بالكلية علماً وعملاً مستمراً، كُشف له الغيب، ورأى الملائكة وسمع أقوالهم واطلع على أرواح الأنبياء وسمع كلامهم."[١٢١]

ويحذر ابن الجوزى من تلبيس ابليس فيقول:"وقد لبس إبليس على قوم من المتأخرين فوضعوا حكايات فى كرامات الأولياء ليشيدوا

بزعمهم أمر القوم والحق لا يحتاج إلى تشييد بباطل فكشف الله أمرهم بعلماء النقل"[١٢٢]

ويمضى قائلا"وقد اندس فى الصوفية أقوام وتشبهوا بهم وشطحوا فى الكرامات وادعائها وأظهروا للعوام مخاريق صادوا بها قلوبهم"[١٢٣]

وقد انتصر الإمام النيسابورى للكرامات وساق من الأحاديث والروايات ما يدعم حجته، ورد على المعتزلة فى موقفهم منها وفرّق بين الكرامة والاستدراج وهو " أن يعطيه الله كل ما يريده فى الدنيا ليزداد غيه وضلاله وقد يسمى مكراً وكيداً وضلالاً وإملاء، والفرق أن صاحب الكرامة لا يستأنس بها، ولكنه يخاف سوء الخاتمة، وصاحب الاستدراج يسكن إلى ما أوتى ويشتغل به، وإنما كان الاستئناس بالكرامات قاطعاً للطريق لأنه حينئذ اعتقد أنه مستحق لذلك، وأن له حقاً على الخالق، فيعظم شأنه فى عينه، ويفتخر بها لا بالمُكْرِم"[١٢٤]

ويرى أبوتراب أنه " "من لايؤمن بالكرامات فقد كفر."[١٢٥] ويحاول السبكى تخفيف هذا الحكم فبقول "بالغ فى الحط من منكريها، وقد تؤول لفظة الكفر فى كلامه، وتحمل على أنه لم يعن الكفر عن الملة، ولكنه كفرٌ دون كفر"[١٢٦] ويمضى مردفاً"وإنى لأعجب أشد العجب من منكرها وأخشى عليه مقت الله"[١٢٧]

وقد ذكر الإمام حسن البنا فى خطابه الجامع سنة ١٣٥٧هـ موقف الإخوان المسلمين من الكرامات فى قوله "والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية، مع اعتقاد أنهم لايملكون لأنفسهم نفعاً ولاضرراً فى حياتهم أوبعد مماتهم فضلاً عن أن يهبوا شيئاً من ذلك لغيرهم.[١٢٨]

كما خاض الإمام محمد عبده حرباً ضروساً ضد الدُّوسة التى كانت شائعة فى بعض الطرق الصوفية التى كانت تهدف إلى إظهار كرامات شيخ الطريقة "عندما يسير فى موكب مهيب راكباً على صهوة جواده ويمر فوق ظهور أتباعه الراقدين على أرض الطريق."[١٢٩] فلا يشعرون بألم على حد زعمهم.

١-٤-٦ المنظور الصوفي:

يؤمن معظم المتصوفين بالكرامات ويفصلون المعجزات عن الكرامات فصلا تاما، ويرى بعضهم سريتها ويحذرون من إعلانها ويسوقون على ذلك مثال الحلاج وإفشاء الكرامات.

"ومن الناحية الموضوعية فالمعجزات تؤيد الأنبياء؛ أما الكرامات فربما تسبب قلقا فى نفس الولي؛ وتكون عبئاً عليه لأنه يخاف أن يكون مخدوعا بخياله. وليس دور الأنبياء القيام بالمعجزات فى المرتبة الأولى إنما تبليغ رسالة. والأولياء عندما يميزون فضل الله عليهم يؤدون أدوارهم بوفاء دون مقاومة فى تواضع ورضاء" [١٣٠]

والصوفيون الحقيقيون لا يبحثون عن الكرامة بل يقلقون لوجودها لأنها قد تكون حاجزا بينهم وبين الوصول إلى الله؛ ولذا فإن أحمد الرفاعي يقول:" لاترغب للكرامات وخوارق العادات فإن الأولياء يستترون من الكرامات كما تستتر المرأة من الحيض."[١٣١] ومن ناحية أخرى فإن سِيَر كبار الصوفية ملأى بالكرامات.وهذا التناقض يجعل الولي فى حالة قلق دائم بين حالتيْ الوهب والسلب.

ويطلق الترمذى على الكرامات مصطلح الآيات ويعدها شرطاً من شروط الولاية:" قال له القائل: فما علامة الأولياء فى الظاهر ؟ قال:

أوّلها ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له:مَن أولياء الله؟ قال:الذين إذا رُؤُوا ذَكّروا الله،وما روِى عن موسى عليه السلام أنه قال: يارب مَن أولياؤك؟ قال: الذين إذا ذُكرتُ ذُكروا، وإذا ذُكروا ذُكرت، والثانية أن لهم سلطان الحق، لايقاومهم أحد حتى يقهره سلطان حقه، والثالثة أن لهم الفراسة، والرابعة أن لهم الإلهام، والخامسة أن من ناوأهم صُرِع وعوقب بسوء العاقبة، والسادسة اتفاق الألسنة بالثناء عليهم إلا من ابتلي بحسدهم، والسابعة استجابة الدعوة وظهور الآيات مثل طيّ الأرض والمشى على الماء، ومحادثة الخضر."[١٣٢]

سئل الجنيد عن العارف فقال:"من نطق عن سرّك وأنت ساكت"[١٣٣] وربما ودّ الجنيد هنا أن يحدد أن الكرامة شرط من شروط الولي.وكان يرى "أن الحكايات جند من جنود الله تعالى يقوّى بها قلوب المريدين."ولعل مايلفت النظر فى مقولته الأخيرة استخدامه لمصطلح "حكايات" وهو الذى سيستخدمه اليافعي من بعده، كذلك فإنه يرد حدوث المدد إلى الله لتثبيت المريدين[١٣٤]

وقد حدد أبويزيد البسطامى شروط قبول الكرامة باتفاق ظواهر أصحابها مع الشرع فقال:" لونظرتم إلى رجل أُعطى من الكرامات حتى تربّع فى الهواء فلاتغترّوا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وأداء الشريعة."[١٣٥]

وقد عقد السبكى فصلاً كاملاً عن الكرامات فى كتابه طبقات الشافعية الكبرى دافع فيه عن الكرامات دفاعا مدوياً وقال:"إنى لأعجب أشد العجب من منكرها وأخشى عليه مقت الله (...)إن

الكرامات حق."[١٢٦] وناقش القَدَرية فيما ذهبوا إليه وانتهى إلى أن "جميع ماذكروه فى هذه الشبهة تمويه ولاحاصل تحته وقعقعة لاطائل فيها."[١٢٧]

وتحتل الكرامات حيزاً كبيراً فى سلوك ابن عربى وفى مؤلفاته أيضاً إذ يناقش هذه القضية فى عدة مواضع منها قوله:"وليس فى قضية العقل ببعيد أن يكرم الله ولياً من أوليائه بهذه الكرامة ويجريها على يديه فإن كل كرامة ينالها الولى وتظهر على يديه فإن شرفها راجع إلى النبى عليه السلام فإن باتباعه ووقوفه عند حدوده صح له هذا الأمر" [١٣٨]والمناقشة هنا يعقلنها ابن عربى فى محاولة للإقناع.

ويقول ابن عربى فى موضع آخر عن الأولياء "وأن يكرمهم بكرامات فى ظاهر الكون ولكن ليست عند القوم بشرط لازم ووقوع واجب"[١٣٩] أى ليست شرطاً من شروط الولاية.

"فإذا رأيت المستفيد قد استفاد فى قيامه خرق العوائد المدركة بالحس المسماة (كرامات الأولياء)فى العموم و(آيات الأنبياء الرسل) عليهم السلام فذلك أُعطية الاسم الظاهر" [١٤٠] ويسوق ابن عربى بعض الكرامات ينسبها إلى أبيه أو إلى شيوخه بل ذاته أيضاً.

وقد دافع الإمام الكلاباذى عن الكرامات وذكر أن الصوفيين قد:"أجمعوا على إثبات كرامة الأولياء وإن كانت تدخل فى باب المعجزات،كالمشى على الماء وكلام البهائم وطى الأرض وظهور الشئ فى غير موضعه، وقد جاءت الأخبار بها وصحت الروايات ونطق بها التنزيل "[١٤١]

ثم قال"وأما الأولياء فإنهم إذا ظهر لهم من كرامات الله شئ ازدادوا لله تذللاً وخشوعاً وخشيةً واستكانة" [142]وقال: "الذى للأنبياء معجزات،وللأولياء كرامات،وللأعداء مخادعات. وقال بعضهم:إن كرامات الأولياء تجرى عليهم من حيث لايعلمون، والأنبياء تكون لهم المعجزات وهم بها عالمون"[143]وعلى هذا فإن الكلاباذى لا يرى بأساً فى تشابه الكرامة والمعجزة ولذا فلا تُحدّ الكرامة لديه.

وتبنى حمد الله الدجوى موقف الدفاع عن الكرامات فى قوله: "إن كرامة الأولياء حق كما فى شرح العقائد:كرامات الأولياء حق خلافاً للمعتزلة ومن يحذو حذوهم وفى القصيدة الامالية:

كـــرامـــات الـــوليٍّ بـــدار دنـــيـــا

لـــهـــا كـــوْنٌ، فـــهـم أهل الـــنّـــوالِ "[144]

وعقد فصلا طويلا للدفاع عن الكرامات.

وقد ذكر عبد الله بن حجازى أنه "إن ادعى أن عدم ظهور الكرامات لبعض الأولياء يقدح فى ولايته فلايصح للإرشاد فهو جهل منه لأنها ليست شرطاً فى الولاية."[145]

وقد عقد النويرى فى كتابه الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام فصلاً فى إثبات الكرامات ساق فيه أدلة من القرآن والحديث والصحابة [146]

يوظّف جلال الدين الرومى الكرامات فى مثنوياته ويضمنها أغراضاً تعليميةً، ويدافع عنها ضد منكريها الذين أسماهم "أهل الغفلة"[147] بيد أنه يشير إلى غرضه التعليمى فى قوله:

" ياأخى إن القصة مثل المكيال، والمعنى فيها مثل الحَب فى المكيال.

فالرجل العاقل يأخذ صحاح المعنى، ولاينظر إلى المكيال، وإن كان وسيلة النقل."[148]، وفى تناول الرومى نلمح التوظيف الإبداعى للكرامات على نحو ما سنرى لاحقا.

يردد الإمام الدردير في منظومته دعاءً:

"وهَبْ لى أيا رباهُ كشفاً مقدساً
لأدرى به سرَّ البقاء مع الفناَ
ومُنّ علينا ياودود بجذبةٍ
بها نلحق الأقوام مَن سار قبلنا "[149]

يحمل فى ثناياه أمنيته لتحقيق الكَشْف والجَذْب لديه وهما من درجات الولاية التى تتحقق فيها الكرامات.

ويؤمن بعض الأولياء بعدم إظهار الكرامة لكن بعضاً منهم يرى العكس فهم مأمورون بإظهارها كالشيخ الدرقاوى الذى يحكى كراماته قائلا"فمن الكرامات التى أكرمنى ربى بهاأني(...)والله على ما نقول وكيل، فهذه أول كرامة أكرمنى ربى بها والسلام) [150] وتتوالى الكرامات التى يحكيها بعد ذلك.

وقد قال أبو العباس المرسي: "والله ماجلست حتى جعلت جميع الكرامات تحت سجادتي."[151] وفى هذا تصريح بمنزلته وقدرته على إحداث جميع أنواع الكرامات، وتمكّنه منها والجمع الذى يفاخر به للتحدى فالسياق مُورد بعد القَسَم ويرى جابر الجازولى أن "كل

كرامة لا يشملها الرضا عن الله ومن الله فصاحبها مُستدرج مغرور أو ناقص أو هالك أو مثبور"[١٥٢]

ويؤمن الشيخ أحمد أبو الوفا الشرقاوى بالكرامات إلا أنه ذكر فى محادثة [١٥٣] مع الباحثة Valerie J. Hoffman نقلتها فى كتابها Sufism, Mystics, and Saints in Modern Egypt أن "٩٩٪ من الكرامات المدوّنة فى الكتب والشفهية كذب"[١٥٤] وربما كان هذا الرأى من أخطر الآراء التى قيلت فى الكرامات من أحد الصوفيين.

قد وردت أشعار فى إثبات وقوع الكرامات بيد أن معظمها يندرج تحت مصطلح "النظم التعليمي"[١٥٥] وهو نظم ركيك يوحى بجدب شاعرية قائله؛ ومن ذلك:

"وأثبتن للأوليا الكرامةْ
ومن نفاها فانبذنْ كلامهْ" [١٥٦]

وكذلك:

"وكل خارق أتى عن صالح
من تابع لشرحنا وناصح
فإنها من الكرامات التي
بها نقول فاقْفُ للأدلةِ
ومن نفاها من ذوى الضلال
فقد أتى فى ذاك بالمحال
لأنها شهيرة؛ ولم تزل
فى كل عصر يا شقا أهل الزلل"[١٥٧]

وقال ابن الزيات التادلي:

يـــامن تـــشـــك جـــهلاً فى كـــرامـــتـــهم
حـــقِّقْ وصـــدّقْ بـــأن الـــقـــوم قـــد صـــدقـــوا

الـــعـــقلُ جـــوَّزهـــا؛ والـــشـــرعُ أثـــبـــتـــهـــا
ومـــا بـــكـــفّك إلا الـــعِـــيُّ والخَـــرَقُ [١٥٨]

ودفاع ابن الزيات التادلى عن الكرامات نابع من العقل والشرع، وأشعاره توحى بالجدل الدائر حولها فى عصره إذ تبدو الأبيات موجّهة للخصوم الذين يصفهم بالجهل والتشكيك فى الحقائق.

من هنا نرى إلى أى مدى احتلت الكرامات حيزاً كبيراً فى الفكر الإسلامى وتنوعت الآراء مابين مصدق وشاك لكنها لم تتناول الكرامة من رؤية نقدية إبداعية، ومن هنا كانت الحاجة إلى هذا البحث الذى لا يتناول الكرامة من حيث وقوعها عقلانياً أو عدم وقوعها كما ذكرت آنفاً وإنما يصف ويحلل الظاهرة الموجودة تحليلاً أدبياً نقديا ويتناول الظاهرة كجنس أدبى مستقل.

"بالبركات تُخرق العادات"

شاه ولى الله[١٥٩]

"إن الحكايات جند من جنود الله تعالى يقوّى بها قلوب المريدين"

الجنيد

"تشوُّفك إلى ما بطَنَ فيكَ من العيوبِ خيرٌ لكَ من تشوُّفِك إلى ما حُجِب عنكَ من الغيوب"

ابن عطاء الله

الفصل الثاني

نظرية الاستبدال فى الكرامات

تقوم الكرامة على دوال متغيرة ودوال ثابتة، وأعتقد أن الكرامة تقوم على محاكاة المعجزات، ومن هنا فإن جانب المحاكاة هو البنية الأساسية فى إبداع الكرامة، وحيث إن الكرامة منتوج ذهنى بشرى فإنها تخضع لوضع خصوصية لبِنيتها مع اطّراد هذه الحبكة وَفْق نظرية الاستبدال فى تركيب الكرامة.

هذا الاستبدال يغيّر الشخصيات الفاعلة ولكنه لا يغيّر وظائفها إلا وفق الحاجة فإذا كانت الكرامة مثلاً:

(يضلُّ شخص ما فى الصحراء فيأتى " المدد " ويدلُّه على الطريق)

ويصيغها بصورة أخرى:

المدد ينقذ شخصًا من الموت في الصحراء

فلنا أن نضع شكلانية الحكاية وشخوصها وفق نظرية الاستبدال على النحو التالي:

الله ينقذ شخصاً من الموت

المدد ينقذ عبداً من الأسد

النبى ينقذ صوفيا من العطش

الخضر ينقذ وليا من الجوع

الشيخ ينقذ مريداً من الأفاعى

الولى ينقذ محباً من اللصوص

القطب ينقذ مستجيراً من الضياع

ونستطيع أن نبدّل بالفعل " ينقذ " أفعالاً وظائفية أخرى مثل " يهدى، يعين، يساعد، يقوّى " إلا أنه عند التحليل سنكتشف أنها وظيفة واحدة كما أن موقع الكرامة موقع متحرك فقد يكون فى البحر أو فى البر أو فى الجو، بيد أن مفهوم المدد مفهوم أحادى لا يتغير وهو المساعدة غير المتوقعة التى تأتى لشخص ما عند الحاجة.

ولا تخضع نظرية الاستبدال فى الكرامة إلى زمنية محددة على نحو ما سأوضح لاحقاً حيث إن الكرامة ذاتها لا تخضع لزمن معين فهى " اللّازمن " وهذا البعد اللّازمنى له أهميته القصوى فى بنية الكرامة التى تقوم على عمل خارق؛ وحيث هو خارق إذن فالزمن يجب أن يكون خارقاً للدوال الزمنية المتعارف عليها إلا أن الكرامة جنس أدبى أقرب إلى القصة ـ على نحو ما سيتضح ـ ولذا يجب أن

يكون لها مكان حيث يلعب المكان دوراً أساسياً بينما يلعب " المدد " الدور الأساسى فى الكرامة.

وتقوم الكرامة على أحادية البطل المقدس بينما يكون الآخر إما ضحية أو مشاهِدا ولذلك فلابد من دراستها نقدياً من هذه الزاوية.

وأرى أن الكرامة جنس أدبى قائم بذاته يتنامى وتختلف شخصياته دون اختلاف فى الشكل أو الوظائف على نحو ما سيأتى لاحقاً.

فهداية الصوفيين مثلاً تأتى من خلال كرامة تُحَوِّل حياتهم من الضلال والعصيان إلى صالحين أولياء.

فالفضيل بن عياض كما ذكر ابو العلاء المعرى " وكان الفضيل بن عِياض يسيم فى أوْبل رياض، ثم حُسب فى الزهاد، وجُعل من أهل الاجتهاد.ورُبّ خليع وهو فتى، تصدر لما كبِر وأفتى، ومغنٍّ بطُنبور أوعود، قُدر له تولّى السعود، فرقى منبراً للعظات، من بعد إرسال اللحظات"١٦٠.

وفى قصة توبة الشيخ أحمد أبوالحسن (ت ١٩٩٤) ـ كما رواها بذاته ـ توضح أنه بالإمكان تطبيق نظرية الاستبدال عليها، فقد كان أحمد أبوالحسن فتوّةً لايخاف من شئ البتة، وذات مساء كان يشرب الخمر مع بعض أصدقائه، وأبصر صورة الشيخ أحمد رضوان معلقة على الجدار، فأفاق من سكرته ومضى ، وعزم على أن يزور الشيخ أحمد رضوان فى ساحته، ولكنه كان يؤجل ذلك كثيراً؛ وأخيراً قرر الذهاب، "وعندما رآه الشيخ أحمد رضوان ناداه باسمه (دون سابق معرفة ظاهرية) وقال له: لماذا تأخرت يا أحمد ؟ "١٦١

ومن الممكن أن تستبدل هذه الكرامة وفق نظرية الاستبدال بمايلي:

أ.أبوالحسن يرى صورة أ.رضوان وهو يسكر فيهتدي

ابن المبارك يسمع الآذان وهو يسكر و.. فيهتدي[١٦٢]

عز العرب يرى الحسين وهو نائم فيهتدى [١٦٣]

أبو إسحاق يرى أبا شعيب وهو يرقص فيهتدى [١٦٤]

الفضيل يسمع آية وهو يسرق فيهتدى [١٦٥]

الأعرابي يسمع آيتين وهو يسرق فيهتدى ويموت [١٦٦]

الفضيل يسمع آية وهو يتصعلك فيهتدي[١٦٧]

ابن أدهم يسمع هاتفاً وهو يصيد فيهتدي[١٦٨]

رجل يرى السرى وهو يسكر فيهتدى [١٦٩]

ابن دينار يسمع صوتا وهو يطرب فيتوب[١٧٠]

رجل يرى ابن دينار وهو يذنب فيهتدى ويصبح ولياً

الشبلي يسمع النساج وهو يعصى فيهتدي[١٧١]

فاطمة بري ترى البدوي وهى تُغوي فتتوب[١٧٢]

ابن همّو يرى ولية وهو يذنب فيتوب ويصبح ولياً[١٧٣]

إذن نظرية الاستبدال فى الكرامات تقوم على وحدات صغيرة متبادَلة لايؤثر تغيّر صفاتها وأشكالها وأشخاصها فى وحدة البناء أو الشكل؛ وهذا يُحد النص الكراماتى ويضعه فى إطار أحادى يسهل توليد أنماط مشابهة له لكنها تسير فى فلكه ولاتتجاوزه، وقد يُوجد التكرار ولذلك فإن حاسة الإبداع تنتشل النص الكراماتى بخلق وحدات نصية تمثل ظلالاً للنص الأصلى أشبه بالحواشى التى يصعب فصلها عنه بينما يظل النص الأصلى قادراً على التفرد بذاته

وكينونته ومن هنا فإن نظرية الاستبدال فى الكرامات تجعلنا ننظر نظرة جديدة إلى النص الكراماتى على اعتبار أن وحداته ليست ثابتة بل متغيرة، وربما ساعد ذلك على تواتر الكرامات وإمكانية استبدال أبطالها وشهودها بينما تحتفظ بوظائفها المعتادة، وربما أدى ذلك إلى سهولة إبداع كرامة ما من قِبل العامة ولعل هذا يفسر لنا تشابهية بعض الكرامات مع بعضها الآخر رغم اختلاف الأزمنة والأمكنة.

وهذا الشكل الذى يدور حول التوبة نجده فيما يروى الآن من كرامات فقد ذهب أحد معاقرى الخمر للشيخ محمد الطيب ليأخذ عنه العهد ولم يكن الشيخ رآه من قبل وحينما يدنو من الشيخ يحدّث أحد أصدقاء المدمن نفسه: كيف يلقنه الشيخ الأوراد وهو على ما هو فيه؟فيلتفت إليه الشيخ قائلاً"اعلم يا فلان لو أن صاحبك هذا جاء وبيده كأس الخمر وهو يريد ان يتوب ويرجع إلى الله تبارك وتعالى ماترددت ثانية فى تلقينه أوراد الطريق لعل الله تبارك وتعالى يقبله ويفتح له ويهديه صراطاً مستقيماً(...) وتاب الله على صاحبى الشاب من تلك اللحظة"[١٧٤]وهذا دور تربوى للكرامة.

وقد اعترضت امرأة مغنية سكرانة طريق الشيخ بوسعيد متهتكة ومستهترة فاعترضها المريدون فقال الشيخ:"اتركوها لحال سبيلها، وأنشد شعراً:

تأتين بكامل زينتك وتبرجك مخمورة من السكر والإدمان

ألا تخافين أن تودعى السجن أسيرة؟

فبكت المرأة وندمت متأثرة بكلام الشيخ لها، وتابت ودخلت

المسجد وقدمت ما تحمله من أساور وحلى وعقود ذهبية وأعطتها لخادم الشيخ"[175]

فالكرامات هنا تقوم بدور المصلح الاجتماعى الذى يقوِّم أفراد المجتمع بسُلطة خفية لا تعادلها سلطة الحُكم ويكون بذا من أركان المجتمع الذين يعملون على نشر العدل والطمأنينة فى نفوس أفراده حتى العُصاة منهم.

٢-٢ الشكل الأدبى للكرامة:

تقوم الكرامة على شكلين أدبيّين:

٢-٢-١ الشكل الأول:البسيط: راوٍ عقدة مدد

هذا الشكل هو الشكل المتواتر والبسيط الذى يقع فيه شخص ما تحت أزمة معينة فيجد المدد أو الحل على يد ولي.

هذا الشكل البسيط يتكرر كثيراً وقد يأتى الراوى غالبا نكرةً ويستند فى سلسلة ملأى بالنكرات على شخصية مشهورة تُقحم على النص لترفع من شأن النص وحتى يتجاوز المتلقى عن الرواة النكرات، لكن ذلك يتم غالباً فى تناقض مع التاريخ إذ تأتى هذه الشخصية دون سياقها الزمنى أو المكانى ويتغاضى المبدع عن هذه التناقضات التى قد يشاركه المتلقي في التغاضى عنها لأسباب كثيرة.

ولتوضيح ذلك أتناول بالتحليل كرامتين:الأولى مكتوبة والأخرى شفهية:

(أ) الكرامة المكتوبة:

حكى اليافعي عن بعض المشايخ:" قال: مررتُ يوماً على شاطىء الفرات فعرضَت لنفسى شهوة السمك الطري، فإذا الماء قد قذف

بسمكة نحوي، وإذا رجل يعدو ويقول: أشويها لك،فقلت: نعم فشواها فقعدت، فأكلتها " ١٧٦

إذ إن تحليل هذه الكرامة وفق الشكل الأول يقوم على راو مجهول ثم عقدة وهى حالة الجوع أو الاشتهاء ثم المدد المتمثل فى قذف البحر بسمكة ولكن لا يستطيع هذا الصوفى أن يأكل السمكة كاليابانيين دون طهى لذلك لابد من وجود طاه تمثل فى وجود رجل مجهول شاو للسمكة.

إن الكرامة هنا تقوم على أسس إبداعية واضحة فقد ركز الراوى المجهول على المكان لارتباط حدوث الكرامة بنهر ثم إن الحدث يتشكل وفق خاطره، والماء يتحول إلى أداة تشخيصية تقوم بوظيفتها لتحقيق شهوة الشيخ، ولايخطئ الماء الهدف بل يقذف بالسمكة نحوه، وهنا يتحقق جزء كبير من الكرامة لكن الحس الإبداعى لدى الراوى لايرضيه أن يتوقف هنا بل يكتمل فى ظل ظهور رجل مسخر وفق إرادة الشيخ، وكان من الممكن أن يقذف الماء بسمكة مشوية، لكن هذا الجو الإبداعى لن يصل إلى هدفه الواضح دون وجود شخصية أخرى تستأذن الشيخ فى شيّ هذه السمكة ثم قعود الشيخ ليأكلها.

ومن الواضح هنا أن المعرَّف هنا هو نهر الفرات فقط أى المكان بينما الشهود معدومون، والشيخ (البطل) نكرة والشاوى (رجل) نكرة أيضا وفى تنكير الشخصيات وإن كان يضعف من إقناع المتلقى بحدوث الحدث إلا أنه يساعد على سهولة نسبة هذه الكرامة إلى أى شيخ آخر فى إطار نظرية الاستبدال، كما أن الأفعال التى حكاها

اليافعى ساردا هذه الكرامة تتألف من: مررت عرضت، قذف، يعدو، يقول، أشوي، قلت، شوى، قعد، أكل.

فالماضوية " تغلب على أفعال الحكاية إذ احتلت سبعة أفعال بينما ظل ثلاثة أفعال مضارعة فقط فى الحكاية وهم مرتبطون جميعهم بالرجل المجهول (شاوى السمكة) وقد جاءت الحكاية حكيا على لسان بطلها (الشيخ) مما أوجد مونولوجا داخليا فى القصة، ثم حوارا مع الآخر (الرجل) فجعل الحكاية مصاغة فى أسلوب إبداعى قصصى.

(ب) الكرامة المنطوقة:

يحكى حجاج مغيربى : أن " فضيلة الشيخ محمد أحمد رضوان رضى الله عنه سأل والده الحاج أحمد عن قطب العصر، وألح عليه، مرة يسأله ويسيبه [١٧٧] والمرة الثانية أجاب عليه، قال له: روح [١٧٨] عند الشجرة دى اللّى هناك حتلاقى اللّى انت بتسأل عليه [١٧٩]، راح وجد أبوه [١٨٠]اللّى هوّ مولانا فضيلة الشيخ أحمد رضوان " [١٨١]

عند التحليل الأوّلي: نجد أن الراوى هو السائل وهو الشيخ محمد بن الشيخ أحمد رضوان والعقدة هى الحيرة أو حب المعرفة أو الشك الذى لازم الابن الصوفى وشوقه لمعرفة قطب العصر، ويأتى إلحاح الابن فى السؤال وتردد الأب فى الإجابة ، ويأتى المدد كى يحل هذه الإشكالية ويشير الشيخ أحمد رضوان إلى شجرة بعيدة يبصرانها؛ وأن تحتها سيجد قطب العصر، ويلهث الابن جرياً لكى يرى أباه الجالس فى مكان آخر وقد صُنع منه شبيه آخر أو هو ذاته

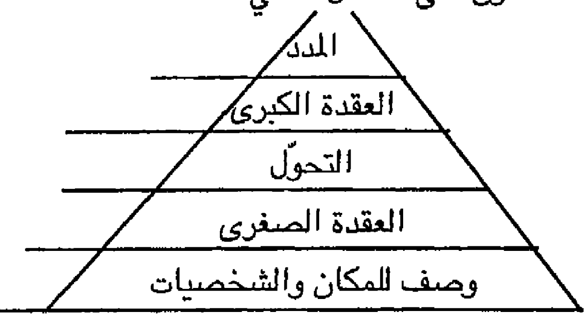
المتعدد لكي يكتشف الابن أن الأب هو قطب العصر، ويفسر لنا هذا النص أن القطب يكون من البُدلاء.

٢-٣-٢ الشكل الثاني: المعقد:

ويختلف عن الشكل الأول بنيةً وشكلاً إذ يأتي على النحو التالي:

راوٍ تمهيد عقدة تحوّل تصاعدى عقدة مدد متوقّع مدد غير متوقّع

وهى غالباً ما تكون على الشكل التالي:



وهذا الشكل متكرر، وينبع " التحول " من محاولة تمديد الحدث فى الكرامة حتى تصل إلى ذروة العقدة ومن هنا يأتى " المدد " أو " الحل " الذى لا يخضع إلى تفسير علمى لكنه يقينى عند المتصوفة.

وفيما جمّعتُه من كرامات شفهية يكاد يكون هذا الشكل نادراً لا يأتى إلا لماما لكنه يكثر فى الكرامات المدونة.

(أ) الكرامة المكتوبة:

فى حديث يوسف بن إسماعيل النبهانى عن الشيخ عدى بن مسافر من مشايخ العراق قال: " قال الشيخ عمر: كنت عند الشيخ يوماً، فجرى حديث الصلحاء وما يكون من أحوالهم، فقال الشيخ عدى: هنا رجل يبرئ الأكمه والأبرص والمجذوم لكنه لا يدّعى النبوة،

فاستعظمت ذلك فى نفسى وودعت الشيخ ثم بعد أيام قصدت زيارته؛وعندى مما سمعته منه أثر، فلما وصلت وسلمت عليه قال لي: يا عمر هل لك أن تصحبنى فى سفر على شرط الاّ تتكلم ؟ فقلت: سمعاً وطاعة، وخرج من موضعه وتبعته إلى أن وصلنا إلى برية عظيمة، فحفّنى الجوع فانقطعت عن الشيخ، فالتفت إلي، وقال لي: يا عمر قصرتَ عن المشى، فقلت له، يا سيدى قد وقعتُ فى الجوع، فجعل الشيخ يلتقط من خرنوب أم غيلان ويضعه فى فمى فآكله فأجده رطباً؛ فلما اكتفيت وقويت نفسى سار الشيخ، فحدثتنى نفسى بسبب الخرنوب فأخذت واحدة منه ووضعتها فى فمى فمرّرَت فمى فرميتها، فالتفتَ إلى الشيخُ وقال، يا دبير، فقلت نعم دبير، ثم سرنا غير كثير؛ فأشرفنا على قرية فيها عين ماء وعندها شجرة وتحتها شاب أعمى أبرص زَمِن، فلما رأيته ذكرت قول الشيخ وقلت فى نفسي: إن كان لدعواه صحة فهو يبرئ هذا فالتفت إلى وقال: يا عمر أى شيء خطر ببالك ؟ فقلت بحرمة موضع الله تعالى من قلبك، "وبحرمة عقيل المنبجى" "والشيخ مسلمة "، إلا ما سألت الله تعالى أن يبرئ هذا الشاب ؟ فقال: يا عمر لا تهتك سترنا، فأقسمت عليه فنزل إلى العين وتوضأ وخرج واستقبل القبلة، وصلى ركعتين وقال: إذا رأيتنى سجدتُ ودعوت أمِّن علي، فلما دعا أمّنت على دعائه، ثم قام وأمرّ يده المباركة على الشاب، وقال له: قم بإذن الله تعالي، فقام يعدو كأن لم يكن به شيء، وقال لأهل القرية: اجتاز بى رجلان فأمرٌ أحدهما يده على فبرئت، فانهال أهل القرية إلينا، فلما رآهم الشيخ أجلسنى بين يديه وغطانى بكمّه فلم يرونا، فلما رجعوا قام الشيخ

وسار راجعاً، وتبعته قليلاً وإذا نحن بالزاوية"[١٨٢]

ولتحليل شكلانية هذه الكرامة أرى أنها تقوم على الشكل الثانى الذى يبدأ من الراوى مروراً بالعقدة الصغرى حتى تطّرد العُقد لتصل إلى العقدة الكبرى فالنهائية. وبدت على النحو التالي:

العقدة النهائية	بعد المسافة	على الأرض
العقدة المتواليه	الخوف من إقبال الناس	الاختباء
العقدة الكبرى	الشك الثانى فى قدرة الشيخ على شفاء المريض	شفاء المريض
العقدة الصغرى	الشك فى قدرة الشيخ على تغيير المادة	تغيُّر المادة
العقدة الأولى	الشك الأول فى قدرة الشيخ على شفاء المرض (بشكل عام)	معرفة المجهول
العقد فى النص	حالات الشهود والشيوخ والأولياء فى أثناء الكرامات	حدوث الكرامات المتوالية

إننا بإزاء جنس أدبى قصصى يقوم على أساسيات واضحة متنامية تتوالد حسب نمو الحدث، لا تتعارض فيما بينها بل تنسجم فى إطار الشكل والمضمون وتتوالى العقد الجديدة التى تعمل على تعميق الحدث الأساسي.

ويتأخر الحل لتتنامى العُقد ويحبس المتلقى أنفاسه منتظراً المدد الذى يجئ كى يضفى على النص واسطةً بينه وبين المتلقى الذى يحقق المدد له لذةً فى حل المعطيات الإشكالية فى النص

فيشعر المتلقى وكأن المدد قد حقق له أمنية ذاتية وكأنه يوجد عَقد خاص، عقد خفى بين كل من المبدع والمتلقى يلتزم فيه المبدع بإرضاء المتلقى فى نهاية الحكاية بأن ينتصر المظلوم مثلا ويهزم الظالم، أو تتحقق أمنية المريض بالشفاء كما فى هذه الكرامة التى يشعر فيها المتلقى أن هذه الكرامة تمس أمنية شخصية فيرتبط بها ويحبس أنفاسه مترقبا الصراع بين الواقع (المرض) والخيال (الشفاء) في إطار تحقق الجو الأسطورى للحدث الذى يجرى فى مكان مجهول (برية عظيمة وعين ماء وشجرة) ويجد الشيخ ومريده غايتهم حيث تتحقق فيه ثلاثية الأمراض الخطيرة: العمى، البرص، الشلل، وتحدث الكرامات المتوالية لكن تظل كرامة الشفاء هى الأصل بينما تأخذ الكرامات الأخرى جانب إعداد الجو والتشويق لدى المتلقى الذى يحس فى نهاية الحكاية بأنه قد تحقق لديه شخصيا بعض الشئ وهو يرى المريض يعدو مبرأً من كل مرض، وبهذا يتحقق العقد الخفى بين المبدع والمتلقى كما لا يخفى علينا ثلاثية الشخصيات: (الشيخ / المريد / المريض) ويحتل المريد دور الراوى الذى أقسم ألا يرويشيئا مما يرى، لكن أحدهما: الشيخ أو المريد ينكث بعهده ويروى ما شاهده وهنا ينسى المبدع فى سقطة حكائية هذا القَسم ويُفصح أحدهما عن السر الذى كان جديراً أن يؤتمن عليه إلاإذا أخذنا فى الاعتبار أن الشيخ قد أُمر بسرد ماحدث، وهذا ليس بمستبعد من قِبل المتصوفة، أوربما فات على المبدع أنه يقع فى سقطة كهذه.

وإذا تأملنا فى الشكل السابق نجد تنامى الكرامات وكأن المبدع ودّ أن يبهر المتلقى المنتظر حدوث كرامة شفاء المريض واسطة العقد بين معرفة الغيب وتغير المادة من جهة والاختباء وطى الأرض من جهة أخرى.

وتتلامس هذه الكرامة مع المعجزات إذ تستند على معجزة موسى عليه السلام " اسلُكْ يدك فى جيبك تخرجْ بيضاء من غير سوء"[١٨٣]؛ ويتحقق لموسى الشفاء، وأن عيسى عليه السلام "أبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله[١٨٤]" وهذا التداعى والتناص مقصود فى حبكة المبدع للإعلاء من الشيخ ومن الكرامات ولذلك فإن النص الكراماتى ليس نصا منعزلا بذاته بل هو نص متكئ على نصوص تراثية تستدعيها الذاكرة دون أن تحدد ملامحها أو تبين صفاتها؛ حيث تكمن فى الذاكرة الماضوية التى تحث الذاكرة المتلقية على قبول الحدث والاندماج فيه.

(ب) الكرامة المنطوقة:

يحكى مصطفى محمد الطيب الحسانى أن أخاه " محمود يشوف فى المنام ورقة الامتحانات اللى حيمتحن فيها الصبح، يصحى الصبح يفتكر منها حاجات بسيطة، يدخل الامتحان يلاقى الورقة زى ما شافها، مافهاش اختلافات، وفى يوم شاف نفسه جاياه ورقة مقطوعة، راح الامتحان فى الصبح لقى الورقة مقطوعة أنا ما بشوفش ورقة الأسئلة فى المنام إلا فى مادة التربية القومية، والله شفتها بالنص، رحت ذاكرت بس الأسئلة رحت لقيت الأسئلة نفسها اللى شفتها فى المنام." [١٨٥]

ولا تميل الكرامة المنطوقة غالباً إلى توالى الكرامات وإنما تأتى فى معظمها حسب الشكل الأول، وفى هذه الكرامة فإن الرؤيا تقوم مقام العين،والتوالى لم ينشأ من خلال تغيّر الكرامة بل نشأ من خلال تصاعد درجات الكرامة وتغير شخصياتها الرئيسية.

محمود يرى الأسئلة فى المنام	المستوى الأول
محمود يكتشف فى الامتحان صدق الرؤيا	المستوى الثانى
محمود يرى أنه أخذ ورقة أسئلة مقطوعة	المستوى الثالث
محمود يتسلم ورقة ورقة أسئلة مقطوعة (فى الامتحان)	المستوى الرابع
مصطفى يرى أسئلة مادة التربية القومية	المستوى الخامس
مصطفى يكتشف فى الصباح صدق الرؤيا	المستوى السادس

وحينما نوازن بين هذه الكرامة وبين ما يرويه الشيخ حسن البنا فى مذكراته أنه فى "ليلة امتحان النحو والصرف رأيت فيما يرى النائم: أننى أركب زورقاً لطيفاً مع بعض العلماء الفضلاء الأجلاء يسير بنا الهوينى فى نسيم ورخاء على صفحة النيل الجميلة، فتقدم منى أحد هؤلاء الفضلاء، وكان فى زى علماء الصعيد، وقال لي: أين شرح الألفية لابن عقيل ؟ فقلت هاهو ذا، فقال: تعال نراجع فيه بعض الموضوعات، هات صفحة كذا وصفحة كذا، لصفحات عيّنها.

وأخذت أراجع موضوعاتها حتى استيقظت منشرحاً مسروراً وفى الصباح جاء الكثير من الأسئلة حول هذه الموضوعات."[١٨٦]

نجد أن البناء واحد والوسيلة واحدة والغرض واحد، والنتيجة واحدة أيضا فالحكاية هنا مرتبطة بتحقيق الغرض وامتداد الرؤيا المنامية لحالة الصحو، الراوى لايكتفى بتحديد الغرض بل يؤكد حدوث هذا التواصل المنامى / الصحوى، ولايخفى الأثر النفسى لحالة الخوف التى تنتاب الممتحن قبيل الامتحان، وحاجته النفسية لطمئن وهنا تقوم الكرامة بهذا الدور.

وتأتى لغة الكرامة المكتوبة فيما وصل إلينا من كرامات باللغة الفصحى فيما يربو على ٩٠ ٪ من نسبة الكرامات؛ ولا تتجاوز لغة الكرامات المكتوبة بالعامية نسبة ١٠ ٪ قياساً إلى ما دُوِّن من كرامات.

بينما نجد العكس فى الكرامات المنطوقة حيث يأتى ٨٠ ٪ منها باللهجة العامية، و١٠ ٪ بالفصْحى / عامية، و١٠ ٪ باللغة الفصحى التى تكون غالبا على المنابر فى المساجد.وهذا بالنسبة لما قمتُ بجمعه من كرامات فى صعيد مصر.

"إن الولاية هى التى تفسِّر الكرامات وليس العكس"[١٨٧]

نجم الدين الكُبرى

"خرق العوائد لمن يحب ويختار"[١٨٨]

"جميع العلوم تؤدى إلى التصوف"

السراج

الفصل الثالث

شخصيات الكرامة

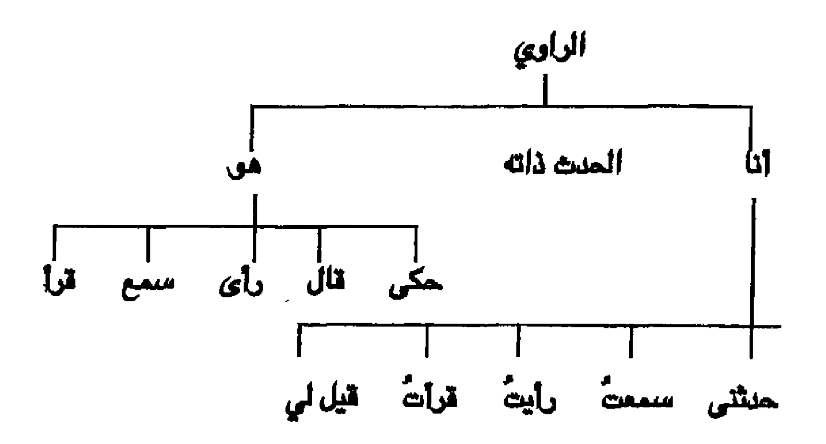
دراسة شخصيات الكرامة دراسة تلقى الضوء على أهمية الكرامة ومن ثم دورها الإبداعى والاجتماعى والسياسى أيضا؛ وبينما يرى بروب أن دراسة صفات شخصية واحدة تقوم على ثلاثة عناوين رئيسة هي: المظهر الخارجي، الأسماء وخصوصيات التقديم فى السرد القصصى ومكان السكن"[١٨٩] فإننى لن أتوقف كثيرا أمام شكلانية الشخصية بل أود أن أتوقف حيال تشخيصها ودورها الروائى فى القص وإسناد مقولات القول والسرد على ألسنتها إن تصديقا وإن تكذيبا.

ومن ثم فإننى أقسم الشخصيات إلى:

٣-١ المؤلف / الراوي:

تدور معظم الكرامات فى إطار الراوى / المؤلف المجهول وهذا يقوّى ما أذهب إليه من أنها إنتاج جماعي للشعوب وقد يكون الشيخ هو الراوى / المؤلف، وقد يكون أحد المريدين؛وقد يكون غيرهما.

ويتخذ الراوى فى الكرامة الصوفية ثلاثة أشكال:



وتعتمد الكرامات على الراوى / الأنا بيد أنه غالبا ما يأتى نكرة وعلى هذا فالراوى / الهو الذى يستند على سلسلة مجهولة أيضا تحكى مالها وكأن الراوى الهو يود أن يبرئ نفسه من تحمل تبعية نقلها مالم يكن مريدا فإنه يتباهى بذلك بين إخوانه أو منتقديه.

وإذا تحدث الشيخ عن نفسه وعن كراماته فالراوى / المعلوم ينقل الحدث دون أية إضافات تاركا للمتلقى مشاركته الإبداعية فى التلقى الذى لايتوقف عند الحدث بل يتعداه نحو إبداع آخر إضافي، ومن هنا فإننا نلحظ توالى الكرامات التى تبنى على الراوى / الأنا وربما

كان ذلك من صنع المتلقين الذين لايتوقفون عن الكرامة الكبرى بل يضيفون ما رأوه جديرا بالزيادة والتوضيح، أما الراوى / الحدث فقل مايوجد وهو من أجمل أشكال الإبداع الكراماتى حيث يتشكل الحدث رواية دون راو ظاهر بل من خلال راو مستتر عليم بالأحداث.

٢-٣ محقق الكرامة (المدد):

يتخذ " المدد " أشكالاً كثيرة تقوم على تحقيق الكرامة المستمدة من الله حتى يضفى عليها قدسية، وقد يأتى المدد من الله مباشرة بينما تتخذ معظم الروايات وسائط أخرى يتحقق من خلالها المدد.

تشخص الكرامة الصوفية المدد تشخيصا إبداعيا فهو البطل الحقيقى الذى لاتخلو كرامة منه، وفى إبداع الكرامات لايتغير دوره إلا تبعا لوظيفة الكرامة، والمدد يأتى من الله على يد الولي، ويتخذ أشكالا عدة كما فى الشكل السابق، ويرتكز المدد على الرؤيا، والإلهام وهو أشبه بالوحى عند الأنبياء فإذا كان الوحى ينصر الرسول وقت الحاجة فإن المدد لايتخلى عن الولى طالما احتاج إليه والمدد فى الحكاية الكراماتية مكرر ومتجدد فى آن واحد، وعندما يصطدم المدد مع نص دينى يلجأ المتلقى إلى التأويل. وفى تأخير ظهور المدد على الساحة نجد التشويق الذى يتعمد المبدع الكراماتى أن يجسه فى عيون المتلقين وفى آذانهم حتى يأتى المدد وكأنه متمم للعقد الخفى الذى تعاقد عليه المبدع والمتلقى كما أوضحت آنفا. وقد يُنسب المدد فى أحد الكرامات الى الشيخ ذاته وهنا يتحول الشيخ إلى محقق للمدد من الله تعالى دون وسيلة معتمدا على الآية "لهم مايشاءون عند ربهم"[١٩٠]

على النحو التالي:

محقق الكرامة	الله الرسول الخضر القطب الغوث الولي الجن الملائكة مجنوب أحد
المدد	هاتف رؤيا ذاته السير المريد ملك يقظة شيء

فليس بالضرورة أن يكون الشيخ محققا للكرامة بل قد يكون الشيخ نفسه في حاجة إلى المدد،يحكى ابن بشكوال في" كتاب المستغيثين بالله "كان عندنا رجل ببغداد يقال له محمد بن عبيد ، وكان يقاس في الزهد والعبادة إلى أحمد بن حنبل، وكانت عنده جارية فباعها فاتبعتها نفسه فسار إلى مولاها فقال: أقلني بيع الجارية ؟

قال: ما أفعل.

قال:فاربح على عشرة دنانير.

قال: ما أفعل.

قال: بارك الله لك فيها، فانصرف، فلما كان في الليل أراد فطره أو ورده من الليل فلم يقدر عليه وأجهد، فكتب اسمها في كفه، فلما طرقه من أمرها طارق، رفع كفه إلى السماء، وقال:ياسيدي، هذه قصتي، فانظر فيها

فلما كان في السحرفإذا الرجل يقرع الباب، قال:من هذا؟

قال: أنا صاحب الجارية.

قال: فخرج بالمال والربح

فقال الرجل: هذه الجارية، بارك الله لك فيها

قال: وهذا المال والربح بارك الله لك فيه.

قال:والله لا أخذتُ منك من ثمنها دينارا ولا درهما.

قال: ولِمَ يرحمك الله؟

قال:لأنه أتاني آت في منامي الليلة فقال:ردَّ الجارية على ابن عبيد، ولك على الله الجنة، والحمد لله رب العالمين"[١٩١]

أى أن الله يحقق أمنيته من خلال الرؤيا.

٣-٣ شهود الكرامة:

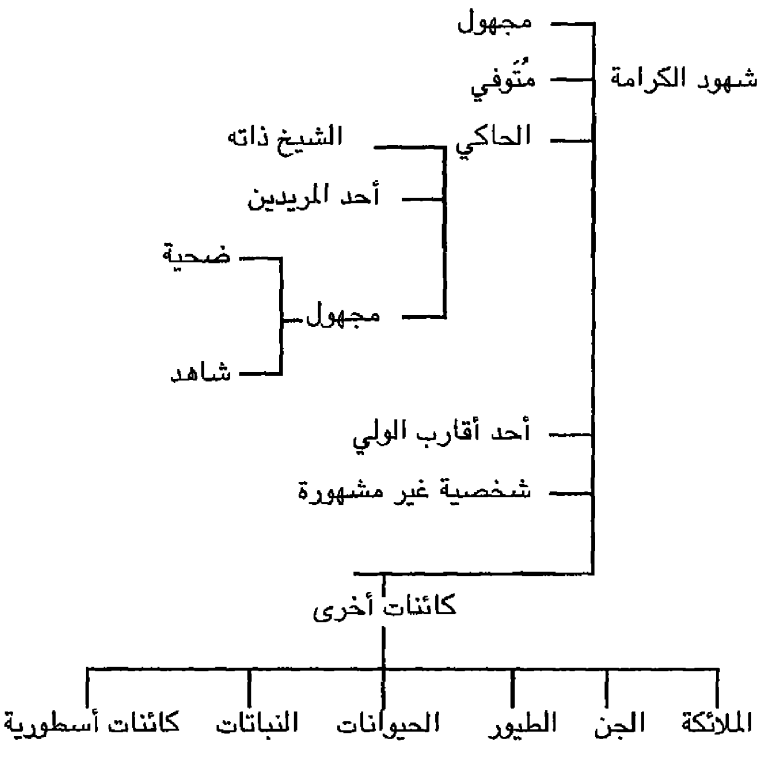
فى معظم الكرامات يكون محقق الكرامة باستثناء الله والنبى والخضر شاهداً أحادياً للكرامة، أو يكون الشاهد مجهولاً؛ ويرجع ذلك إلى أن الكرامة فى أحايين كثيرة تكون مُشاهَدة ذاتية يصعب الوقوف على حدودها ومَشاهدها، وعندما تُروى من مجهول تفقد شهودها لأن المتلقى إما مؤمناً بها -أو منكراً لها، والأول لا يحتاج إلى شهود كى يقوّى إيمانه بها؛ والثانى لا يحتاج إلى شهود كى يغير رأيه لأنه يودّ وضع الكرامة فى مختبر علمى وهذا شىء مستحيل.

وقد تكون الوسائط مجردة يستحيل أيضاً اختبارها، فمُشاهد النور يشهد على ما يراه لكن الآخر الذى لم ير النور لا يكون شاهداً على عدم وجوده.

كذلك فإن جانباً كبيراً من الكرامات يدور عبر الرؤيا المنامية التى يستحيل إيجاد شهود لإثباتها أو لنفيها أيضاً، وقد ساعد ذلك على كثرة الكرامات بمعنى أنه كان عاملاً حافزاً على تواتر الكرامات واتساعها.ويلعب شهود الكرامة دوراً ثانوياً فى تكوينها، هذا الدور الهامشى لا يؤثر كثيراً فى بنيتها بينما يؤثر بعض الشىء فى قوة تأثيرها على المتلقى فالمبدع الكراماتى يحكى فى معظم الكرامات أن

جمعا من الناس قد شاهدت وقوع الكرامة ولذا نجد أقوالهم: "والناس من حوله " و " الناس مبهورون " " ووقف الناس " فالناس هنا نكرات أيضا لكنها مشاهدة أو مستحضرة فى ذهن المبدع ومن ثم فى ذهن المتلقى الذى يستحضر الجو وكأنه على خشبة المسرح بينما الجمهور منبهر بما يحدث

وقد جاء شهود الكرامة على النحو التالي:



وإذا نظرنا إلى ما يستحق نجد أن نسبة كبيرة من الشهود ليسوا شهودا بالمعنى الدقيق وإنما هم يقومون بدور الشهود فى الإبداع الكراماتى ووجودهم له مايبرره من الناحية الإبداعية.

" من أهان لى ولياً فقد بارزنى بالمحاربة"[١٩٢]

حديث قدسى

"ألقى بنان الحمال بين يدى السبع، فجعل السبع يشمه ولايضره، فلما أُخرج قيل له: ماالذى كان فى قلبك حيث شمك السبع؟ قال:كنت أفكر فى اختلاف العلماء فى سؤر السبع "[١٩٣]

"إن الولى يجوز أن يعلم أنه ولي"[١٩٤]

"فمُشاهد النور يشهد على ما يراه لكن الآخر الذى لم ير النور لا يكون شاهداً على عدم وجوده"

الفصل الرابع
وظائف الكرامات

للكرامة وظائف كثيرة إلا أننى أستطيع أن أحدد للكرامة كجنس عام وظيفتين أساسيتين هما: إثبات الولاية والتنفيس الإبداعى عن أفراد المجتمع.

وهاتان الوظيفتان تندرج تحتهما كل الوظائف الأخرى التى تبدو منهجياً شرحاً لهاتين الوظيفتين، والوظيفة الأولى خاصة بالمتصوفين أما الثانية فهى إنتاج إبداعى جماعى لأفراد المجتمع إما لإرضاء حالة الإبداع لديهم وقَوْلبة هذا الإبداع فى شكل الكرامات التى هى فى معظمها ذاتية الشهود؛ وعلى ذلك فهى دليل قوى على تفرد ذاتية الفرد الإبداعية من جانب؛ ودليل على تقبل المجتمع لهذه الظاهرة لتفسير أشياء غيبية يجهل تفسيرها علمياً من جانب آخر.

كما تُستخدم الكرامة فى وظيفة تعليمية على نحو ما سيأتي.

٤-١ التنفيس الإبداعى عن أفراد المجتمع:

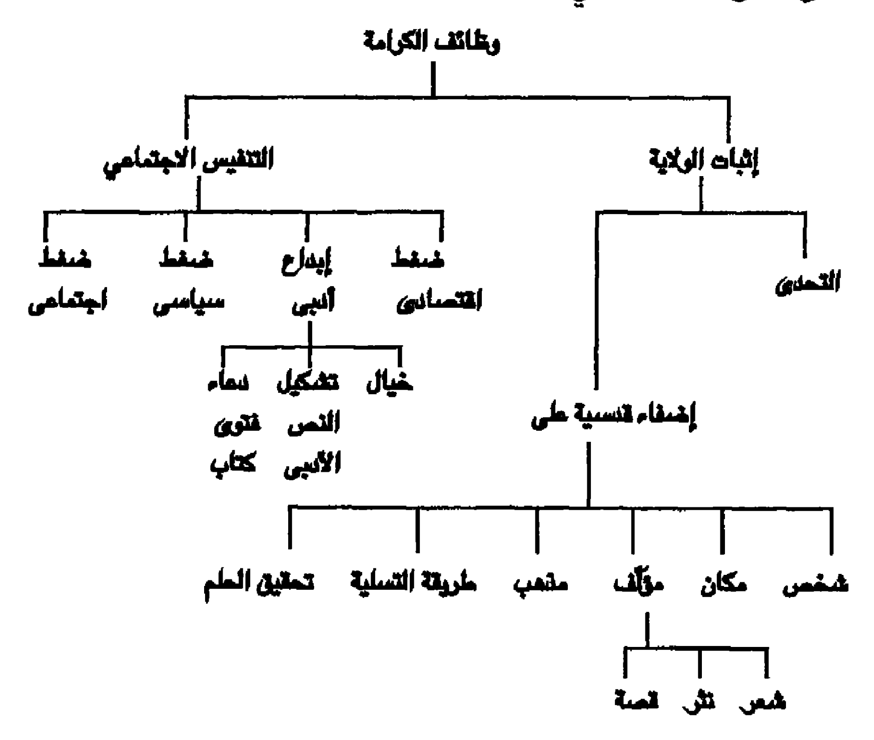
يتقنّع الشعب بالكرامة لمجابهة حاكم ظالم أو لستر فضيحة اجتماعية أو لتحقيق مكسب اجتماعى قد لا يتوافر إلا من خلال الكرامة وربما كانت الكرامة نتيجة للانكسار الذى يعانيه شعب ما فى حالات خوره وضعفه فيلجأ إلى الاعتقاد " فى قوى أخرى غير منظورة لتساعده فى حل مشاكله وأصبح من اللازم الاعتقاد فى المخلص الذى يملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جورا."[١٩٥]

تروى المستشرقة الأمريكية Hoffman .Valerie J كرامة عن الشيخ وافى محمد وافى أنه "عندما مات أبوه وأراد الناس اختباره بمدى قدرته على تحقيق الكرامات حتى يلى منصب أبيه [كشيخ للطريقة] من بعده، فألقوا بإبرة فى غلاّية لقصب السكر [فى درجة حرارة عالية] وطلبوا منه أن يأتى بها، فأمسك بطفل وأدخل رأسه فى القصب المغلي؛ وسأله:هل ترى إبرة ؟ فقال:لا؛ فأخرجه غير مصابٍ بسوء، ثم أدخل العصى التى يستند عليها فى الغلاّية وأخرجها وفى نهايتها الإبرة "[١٩٦] وحسب منظور هذه الحكاية فإن الكرامة مقياس لاختبار الشيخ لكنها أخطأت حينما ذكرت أن "القدرة على [الإتيان] بالكرامات من الصفات الضرورية التى يجب أن تتوافر فى الولى "[١٩٧] إلا إذا كانت تقصد وجهة نظر العامة الذين يرون فى الكرامات قوى غيبية قادرة على إدخال الدهشة فى نفوسهم، وتثبيت اعتقادهم فى الشيخ وفى قواه الخارقة مما يفتح لديهم الأمل فى قدرته على تحقيق أمنياتهم، ومن ثَم تغيير أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية و...الخ

أما إذا كانت تعنى المنظور الصوفى للكرامات فإن ذلك خاطئ تماماً فقد سبق أن رأينا أن فريقاً من الصوفيين يرى أن الكرامة ليست من شروط الولاية؛ بل عدها بعضهم عبئاً واختباراً للولى ذاته، ناهيك عن أن بعض الأولياء يجهل أنه ولى فقد ذكر القشيرى "أن الولى يجوز أن يعلم أنه ولي" [198] وهذه الحكاية تقليد لنص كراماتى قديم "أسقط إبراهيم بن أدهم إبرة من يده فى النهر، فأشار إلى النهر قائلاً:ردوا إبرتى إليّ! فأخرجت ألف سمكة رأسها من الماء، وفى فم كل واحدة منها إبرة من ذهب.قال إبراهيم:إنى أريد إبرتى عينها. فخرجت سمكة ضعيفة تمسك بإبرة فى فمها وتقول:هذا ما بقى من ملكك ياإبراهيم."[199] وعندما نوازن بين الكرامتين نجد أنهما يدوران فى رؤية إبداعية واحدة، فابن أدهم يبحث عن ابرته التى رماها بنفسه فى النهر، ووافى يبحث عن إبرته التى ألقاها فى الغلاية، ونجد تطورا فى الكرامة فالماء فى النهر سيبقى على الإبرة بينما الإبرة فى هذه الغلاية ذات الحرارة العالية لاشك ستصهر الإبرة ولكنها تظل كرامة للشيخ، كذلك فالكرامة الأولى تسخر الأسماك لكن على الصعيد الآخر يسخر وافى فى الكرامة الجديدة الطفل الذى يغرس رأسه فى العصير المغلى لكنه يحجب عن الرؤية فلا يرى ويخرجه سالما آية أخرى وسط انبهار المشاهدين والمتلقين وفى كرامة ابن دهم تخرج سمكة ضعيفة حاملة إبرته بعد أن رفض الذهب زهدا، بينما يُدخل وافى عصاه فى العصير المغلى فتخرج دون سوء يمسها وفى طرفها الإبرة الضائعة. .

إن حلقات السمر في صعيد مصر مثلاً تتخذ من قص الكرامات مادة أساسية في جلساتها، ويتنافس مريدو الطرق المختلفة في تأليف الكرامات المنسوبة لمشايخهم دفعاً لمنافسيهم من الطرق الأخرى وحباً وكرامةً لمشايخهم الذين يرون أنهم تفردوا بأعلى الكرامات دون سواهم من المشايخ.

وفيما جمّعتُ من كرامات شفهية ومدوّنة أرى أن وظائف الكرامة تجيء على النحو التالي:



٤-٢ إثبات الولاية:

إن وظائف الكرامة تقوم بإثبات الولاية للولى وهذا يعود إلى سببين:

إما لأن الولى يريد أن يثبّت مريديه؛ وأن يثبت لهم قطبيّته وأنه غوث العصر وأن الله ألهمه بالكرامات وأمدّه بها؛ ولذلك كان الشيخ أحمد الدردير يردد فى أدعيته " أيِّدْنا بالكرامات"[٢٠٠] أو لأن الشيخ فى تحدٍّ أمام منكريه الذين يرون فى التصوف بدعة فيحاول الشيخ أنْ يأتى بالحجج الدامغة حتى يؤمن المنكرون بالتصوف ومن ثَم يعترفون بالكرامات بشكل خاص.

ويرى على زيعور أن الكرامة ربما "تشبع لذة عند الصوفى الذى يعيش عادة بلا لذائذ، وتعوض عن نقص فى الحب والنشاط والحركة."[٢٠١] وهذا الرأى لايتفق مع أحوال الصوفيين الذين ملأ الحب الإلهى قلوبهم، وعاشوا فى لذة لوذاقها الملوك لجالدوهم عليها بالسيوف على حد قولهم؛ ولعل نشاطهم الذى ترويه الكتب والمشاهدة يدحض نقص الحركة فحياتهم كلها تجوال وخلوتهم ركوع وسجود وذِكْر يمثل الوِرْدَ الذى يعد برنامجاً يومياً.

ولقد بدا لى أن جانباً كبيراً من الكرامات فى هذا المجال يندرج تحت إثبات القدسية على مؤلَّف من المؤلفات فمثلاً عندما أنشأ البوصيرى قصيدته المشهوره " البردة " التى اكتسبت شهرتها مما دار حولها من كرامات أسهم البوصيرى نفسه ـ إن صدقت الروايات المنسوبة إليه ـ فى جانب منها؛ حيث حُكى أن فالجاً أصابه " أعيا الأطباء، وفكّر فى إعمال قصيدة يتشفع بها إليه صلى الله عليه وسلم

إلى ربه، وأنشأها فرآه ماسحاً بيده الكريمة عليه فعوفى لوقته ثم لما خرج من بيته لقيه صالحٌ فطلب منه سماعها فعجب إذْ لم يخبر بها أحداً فقال: سمعتُها البارحة تُنشد بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل كتمايل القضيب؛ فأعطيتُه إياها.

وقيل: إنه اشتد رمده بعد نظمها فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقرأ عليه شيئاً منها وتفل فى عينيه فبرا لوقته " [٢٠٢]

وهنا نرى إلى أى مدى كشف البوصيرى نفسه ـ إن صحت الرواية ـ عن قداسة قصيدته وكيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُنشدت بين يديه فتمايل إعجاباً بها ثم نرى أن البوصيرى قد طوّر بنائية الكرامة المنامية بكرامة منامية أخرى لصالح، وقد استخدم الراوى عن البوصيرى " رأى " مما يحتمل معه الرؤية والرؤيا.

يشير ابن عربى فى مقدمة كتابه فصوص الحِكَم إلى أبعد من ذلك إذ يقول:"أما بعد: فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مبشِّرة أريتها فى العشر الآخر من محرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق، وبيده صلى الله عليه وسلم كتاب؛ فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم، خذه واخرج به إلى الناس ينتفعوا به، فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله وأولى الأمر منا كما أُمرنا"[٢٠٣] ثم بدأ فى كتابة كتابه، وهذا الذى حكاه ابن عربى من المؤثرات التى قصدها كى تؤثر فى المتلقي؛ فالكتاب محدد من قِبل الرسول صلى الله عليه وسلم عنواناً ومتناً ولايخفى ما قصده من تحديد زمانى ومكانى يجتذب الحكاية من دائرة التخيل إلى دائرة الشهود.

وربما دفعت المنافسة بين الكُتّاب إلى إضفاء القدسية على مؤلفاتهم حتى تكتسب حصانة ماضد النقد ولايخفى علينا أثر هذه المحاولة على المريدين الذين يتلقفون هذا الإبداع الملهم تلمسا للبركة والمدد.

ولماذا لاتكون تلك المحاولات موجهة ضد النقاد ؟!

كما تستخدم الكرامة لنشر مذهب دينى معين وإضفاء قدسية عليه، وفى ذلك يروى الشيخ محمد علا الدين أن أبا حنيفة " فى حجته الأخيرة استأذن حجبة الكعبة للدخول ليلاً فقام بين العمودَيْن على رجله اليمنى ووضع اليسرى على ظهرها حتى ختم نصف القرآن، ثم ركع وسجد ثم قام على رجله اليسرى ووضع اليمنى على ظهرها حتى ختم القرآن؛ فلما سلّم بكى وناجى ربه وقال: إلهي: ما عبَدَك هذا العبد الضعيف حق عبادتك، لكن عرفك حق معرفتك، فهب نقصان خدمته لكمال معرفته، فهتف هاتف من جانب البيت: يا أبا حنيفة قد عرفتنا حق المعرفة وقد خدمتنا فأحسنت الخدمة، وقد غفرنا لك ولمن اتبعك ممن كان على مذهبك إلى يوم القيامة."[٢٠٤] ونرى هنا أن الهاتف قد غفر لأبيحنيفة ومن اتبع مذهبه إلى يوم القيامة؛ ولوصحت هذه الكرامة فإن المتلقى الوحيد هو أبو حنيفة ذاته أى أنه ليس هنالك شهود ولذلك فإن المباركة من الله لأبى حنيفة ولمذهبه قد أذاعها أبو حنيفة ذاته.

ولقد كتب فريد الدين العطار فى كتابه "أشتر نامه" أى كتاب الجمل أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى أحد أحلامه، وأن النبى صلى الله عليه وسلم باركه "[٢٠٥]

وقد عبر الشيخ أحمد التليلي في مناقبه عن علمه"نور أضاء عليّ وأنا جالس في مسجد سيدي عباس، ثم تكاثر ذلك النور وعلا وامتد شرقاً وغربا"[٢٠٦]

ولعل حالة أبي حامد الغزالي التي عبر عنها في كتابه " المنقذ من الضلال " [٢٠٧] تنبئ عن أنه احتبس لسانه فلم يقدر على الكلام؛ واعتزل الناس؛ وخرج من العزلة لكي يكون قطب عصره بناء على رؤى منامية رآها هو بل رآها غيره من أتباعه.

أي أن الكرامات هي التي كانت,إرهاصاً بقطبيته للعصر.

ولقد عبر الشيخ عبد القادر الكيلاني عن أنه لا يلفظ إلا ببركة الرسول والإمام علي فقد قال: " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الظهر وقال لي: يا بني ألا تتكلم ؟ فقلت يا أبتاه أنا رجل أعجمي فكيف أتكلم على فصحاء بغداد فقال افتح فاك: ففتحه فتفل سبعاً وقال لي: تكلم على الناس وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة؛ فصليت الظهر فجلست وحضرني خلق كثير فارتج علي؛ فرأيت علياً رضي الله عنه قائماً بإزائي فقال: يا بني لِم لا تتكلم بشيء ؟ فقلت: يا أبتاه: ارتج علي؛ فقال: افتح فاك، ففتحته، فتفل فيه ستاً، فقلت: لِم لا تكملها سبعاً ؟ فقال: أدباً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توارى عني." [٢٠٨]

وعبد القادر الكيلاني يقرر أنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك الإمام علي يقظة وليس مناماً مما يضفي على ما يقوله مهابة وقدسية، ونجد أن الكرامة قد أوجدت عدة كرامات تالية في حلقات

ومستويات مختلفة أيضاً مما يوحى أن الكرامة قابلة لبناء كرامات متتالية فى نسيج واحد.

تضفى الكرامة قدسيةً على دعاء كما روى أبو طالب المكى " أن عُتبة الغلام رُئِيَ فى النوم، فقال:دخلتُ الجنة بهذه الدعوات.[٢٠٩] وذكر الدعاء.ويحكى عن سعيد بن أبى الروحاء الجمّال " أنه تواجد ذات ليلة فى أرض مقفرة فاستوحش، وفزع، فظهر له شخص، قال: فاشتد جزعى منه حتى سمعته يقرأ القرآن، ثم قال: ألا أدلك على شئ إذا أنت قلته أنستَ إذا استوحشتَ، واهتديتَ إذا ضللتَ، ونمت إذا أرقتَ ؟ قلت: علّمنى يرحمك الله، قال: بسم الله ذى الشان، عظيم البرهان، شديد السلطان، كل يوم هو فى شأن ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم."[٢١٠]

وفى خطاب الشيخ محمد مجذوب إلى الفقيه الطيّب بن قمر الدين يقول له فيه " واعلم يا أخى أنى رأيتك ليلةً بين يدى المصطفى صلى الله عليه وسلم وطلبتُ لك منه ذكراً تتخذه دائماً على لسانك، فأشار لك ملازمة (باسم الله الذى لايضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم، سبحان الله...)"[٢١١]

أما الجانب الاجتماعى والسياسى فى الكرامات فربما يظهر من خلال أحلام الناس المتعلقة بالكرامات التى تحقق للناس أحلاماً لا يستطيعون تحقيقها فى الواقع.

يروى الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر فى كتابه " أبو البركات سيدى أحمد الدردير ": " أن الشيخ أحمد الصاوى قال: " حصل معى أمر يتعلق بالحكومة المصرية [أى اختلف مع

الحكومة][212] وخافت[213] على الأحبّة والإخوان، فبعد توسلى بهذا القطب الشهير وهو سيدى أحمد الدردير رأيت أنى فى قصر منفرد مغلق الأبواب، ممتلئ بالحيات الكبار والأفاعى وصغار الثعابين، فتجاسرت على قتل الصغار ثم تفكرت في نفسى فوجدت أنى لا أستطيع الصبر فى ذلك المكان لحظة خوفاً من الكبار ولم أجد مساغاً إلى الخروج بغلق الأبواب جميعها، فإذا بشباك مفتوح فى أعلى القصر، فنظرت فرأيت قصراً آخر مقابلاً للقصر الذى أنا فيه يسمى قصر الأمان، فتحيرت فى الوصول إليه لبعد المسافة التى بينه وبين الذى أنا فيه، وإذا بجوهرة يتلألأ نورها فى جو السماء إلى الأرض فخاطبتنى بقولها: أنا روح الدردير، افتح فمك حتى أدخل جوفك أو حتى أمتزج بلحمك ودمك، ففتحت فمى فدخلت فيه، فوجدت قوة عظيمة جداً،وقلت فى نفسي: سر كيف شئت حينئذ..وضعت إحدى رجلي فى الهواء والأخرى فى قصر الأمان." [214]

فالخوف من السلطة كان دافعاً لهذه الكرامة محتمياً بجاه الإمام الدردير الذى كانت له مكانة عظيمة لدى الحكام والأفراد.

ولا يخفى علينا هنا أهمية الكرامات فى وصف حالة المجتمع وموقفه من السلطة كما أنها تعد رافداً أساسيا فى فهم الحالة النفسية للأفراد وهذا ربما يجعلها قريبة من الأدب العجائبى فى هذه الوظيفة بالذات؛ حيث يرى تودوروف فى كتابه "مدخل إلى الأدب العجائبي" أن موضوعات الأدب العجائبى قد صارت أدبيا هى موضوعات الأبحاث السيكولوجية"[215].

ويركز الصاوى على وصف مسرح الأحداث حيث الأفاعى التى توشك أن تلدغه، ويأتى المخلص فى صورة إبداعية جميلة حيث يبلع جوهرة " يتلألأ نورها فى السماء إلى الأرض " فتهبه قوة خارقة تمنحه قدرة السير فى الهواء.

وقد عبر عن هذا الحدث بفعل "رأيت " الذى يتحمل الرؤية والرؤيا!

أو تكون الحاجة إلى الشفاء من مرض دافعاً للكرامة أيضاً فقد أورد حمد الله الداجوى أن:"إسماعيل بن بلال الحضرمى قد عمي؛ فأتى فى المنام فقيل له: قل: يا قريب يا مجيب، يا سميع الدعاء، يالطيف بمن شاء ! ردّ على بصرى؛ فقال الليث بن سعد: رأيته قد عمى ثم أبصر." ٢١٦

كما قد تكون الكرامة السلاح الأخير الذى يواجه به الأعزل السلطة وهذا يدخل فى إطار التحدى وفى الوظائف الاجتماعية والسياسية للكرامة.

ولقد ذكرت " Julia Gonnella أنه فى أثناء حرب الخليج ١٩٩١ ـ كما يروى بعض الناس ـ خرج الولى الشيخ يوسف قرلق (وكان عالماً وشاعراً من الخلوتية وتوفى فى ١٢٥١هـ = ١٨٣٥/ ١٨٣٦) من قبره [فى سوريا] ليعين الشعب العراقى في معركته ضد الأمريكان."٢١٧ وهنا نرى التوظيف السياسى والاجتماعى للكرامات وتحولها إلى سلاح فى يد الشعب.

تلعب الكرامة دوراً كبيراً فى تحقيق حلم دينى فقد حكى لى عبدالناصر عارف: أن محمد عبد الله روى له " أن الشيخ أبا العباس

أتى له فى المنام وقال له:كيف تتوقف الصلاة فى جامعى ؟ أقيموا الصلاة فى المسجد " وحكى للشباب فى الجبيل هذه الكرامة، وذهب الشباب جميعهم وأصلحوا من شأن المكان، وأقاموا الصلاة فيه.

انتشر الاحتفال بموالد الأولياء وقد عبر الاحتفال بالولى اعترافات صريحًا بالكرامات، فالناس يبدءون أوُلا فى رواية الكرامات التى يرونها وتهدف إلى المطالبة باقامة إحتفال سنوى بذكرى ميلاده أو وفاته فإن غُمّ الاثنان اختير تاريخ آخر يكون مناسبا للمحتفلين ولايتعارض مع احتفال بمولد وليٍّ قريب، وهنا تنشأ الذاكرة الجماعية للشعب مؤيدة بالكرامات مشروعية الاحتفال والبهجة، مصورة النقم التى ستحل بمن يقف ضد هذا القرار أو مفسرة لكوارث طبيعية حدثت للمنطقة أو لأشخاص مشهورين بها مُرجعةً ذلك إلى الولى وعلى هذا ينبغى دراستها من منظور اجتماعى.

٤-٣ الكرامة التعليمية:

هى الكرامة التى تحمل فى طياتها مغزىً تعليمياً تحكى من أجله لإقناع الناس بمضامينها التعليمية ولذلك فهى وسيلة تربوية ومن أمثلة ذلك ما حكاه لى حسن محمد عواد "إن الشيخ عبدالله النعيرى من عزبة البوصة فى نجع حمادى أراد الحج فأخذ جَدْي[٢١٨] يبيعه وفى الطريق سمع ولد يتيم فقير يقول لامه ياريت آكل لحم وفتّهْ، فراح البيت ودبح الجدى ووداه سرّاً لهم ولم يحج، فسبحان الله سمع الناس فى الحج حول الكعبة:]يأيها الحجاج غفر الله لكم جميعاً كما غفر الله للحاج عبد الله النعيرى من عزبة البوصة[الناس اللى

من هنا ذُهلوا، وكررها أكثر من مرة، فجاءت الناس تبارك لهذا الرجل"[٢١٩] فالكرامة هنا تهدف إلى الحض على البر والتصدق وتصل الى الهدف بالجائزة التي تمنح في نهاية النص الكراماتي للمتصدق، ونرى دور الهاتف الذى يحدد الاسم والقرية الموفد منها المغفور له وتبنى هذه القصة على كرامة تحكى عن عبد الله بن المبارك وقد حج ثلاثا وثلاثين حجة، وفى الحجة الأخيرة وقف بعرفات وقال إلهى قد حججت ثلاثا وثلاثين حجة فأما الأولى فعن نفسي وأما الثانية فعن أبي وأما الثالثة فعن أمي ووهبت الثلاثين لمن وقف بهذا المكان ولم تتقبل حجّه " فسمع هاتفا، يقول: أتتكرم على من خلق الكرم ؟ ياعبد الله. لقد غفرت لمن وقف بعرفات قبل أن أخلق عرفات بألف عام

وربما كانت نشأة الكرامة تعليمية فى المقام الأول ولذلك فقد دأب اليافعى بعد أن يحكى الكرامة أن يتدخل قائلاً:"فانظر يا أخى كيف..."[٢٢٠]

وقد تختتم الكرامة بفكاهة دفعاً للملل، فأحد المشايخ عليه ديْن بمبلغ ٣٠ جنيها يجب سداده الآن ولايملك المبلغ فيلجأ إلى مقام الشافعي فيأتى إليه رجل فسأله سؤالاً فيجيب عنه فيعطيه قرطاساً "ففتحته فوجدت بداخله ثلاثين جنيهاً فالتفت إلى مقام الإمام الشافعي وقلت:كنت زودتهم ولو جنيهاً واحداً."[٢٢١]

وفى تحليل ماهر جرار لكتاب عبدالله بن المبارك "مصارع العشاق ذهب إلى أن لهذه الحكايا التى رواها ابن المبارك حول الجهاد دوراً كبيراً فى الحث على الجهاد و"أنهااستقلت كنوع أدبى مميز فى القرن السادس مع ابن الجوزي: وهنا نجد بنية حكائية

مكتملة ابتعدت عن الأدب الرسمى وغدت أقرب ما يكون إلى الأدب الشعبي(...) فى فترة شهدت الصراع الشرس بين الصليبيين والمسلمين"[٢٢٢]

من هنا فإن الكرامة التعليمية تحضُّ على مكارم الأخلاق وعلى الجهاد ضد العدو وتعمل على تثبيت المقاتلين ، وتشجع ذوى القلوب الرحيمة على البذل والإحسان.

"أخذتم علمكم ميتاً عن مَيت، وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت"

أبويزيد البسطامي[٢٢٣]

"إن الوجود شاهد بوقوع الكثير من هذه الكرامات وإنكارها نوع مكابرة"[٢٢٤]

ابن خلدون

"والله ماجلست حتى جعلت جميع الكرامات تحت سجادتي"[٢٢٥]

أبو العباس المرسي

الفصل الخامس

صُوَرُ الكَرَامَاتِ

٥-١ صُوَر الكرامات:

من خلال تتبعى لصور الكرامات المدونة والشفهية أرى أن لها صوراً محددة لا تتجاوزها إلا نادراً، والمتغير هنا فى إطار تبدُّلى هو "الأشخاص محققو الكرامة"؛ وكذلك مسميات الأماكن أما الصور والأنماط فقد حصرتُها فى عشرين صورة لا تتجاوزها إلا فى حالات عصرية حديثة جداً تبعاً للتطورات المدنية المتلاحقة، وقد لحظت اختفاء بعض صور الكرامات فى الكرامات الشفهية عما هو مدوّن فى أُمَّات الكتب. فمثلاً كانت كرامة سماع الصوت من مكان بعيد لا يتجاوز آلاف الكيلومترات تعد فى أزمان قديمة من الكرامات المبهرة إلا أن اختراع التليفون والتليفزيون يكاد يكون قد قضى على هذا النمط من الكرامات وإن كانت الكرامات قد استبقت لنفسها بعض خصوصيات الإلهام الذى يتجاوز التقنية الحديثة.

إن هذه الصور التى سأوردها نستطيع أن نضع تحتها كل الكرامات القديمة والحديثة ومن المنهجية يلزم عليَّ أن أؤكد أن بعض الصور قد لا تندرج تحت الصور التى سجلتها فيما ذهبت إليه وربما تضيف صورة أو اثنتين لكنها لا تتجاوز الأنماط التى قسمتها إلا فى حالات نادرة.

وقد حاول السبكى أن يحدد أنواع الكرامات فعدّ منها خمسة وعشرين نوعاً إلا أنه أردف "وأظن أنواع كراماتهم تربو على المائة"[٢٢٦]وقد خلط فى الأنواع وأسرف فى بعضها.

وقد تناول السّبتى الكرامات التى عدّد أنواعها شعراً:

ثم الكراماتُ أنواعٌ إذا نُظِرت

كالزهر فى حسن أنفاسٍ وألوانِ

....إلخ

فى كتاب لؤى فتحى وشذى الدركزلّى وجمال نصار"علم خوارق العادات البارانورمالوجيا Paranormalogyيقررون "لقد قادنا التعمق فى دراسة عالم الظواهر الخارقة للعادة على استنتاج ضرورة التنازل عن اسم الباراسايكولوجيا حتى وإن تم تحويره على باراسيكولوجيا عربية مؤمنة أو باراسايكولوجيا خبراتية وذلك لقصور هذا المصطلح عن استيعاب ما يحدث فى الظاهرة الخارقة عموما وهذا هو السبب الرئيس وراء استحداثنا لمصطلح جديد هو علم خوارق العادات البارانورمالوجيا ليكون العلم الذى يقوم بدراسة الظواهر غير المألوفة فى هذا الوجود"[٢٢٧] ويمضون مؤكدين أن "علم خوارق العادات هو أولا وقبل كل شيء علم إيمانى بمستطاعه تقديم

البرهان الحاسم الذى يملك أن يقطع بوجود الله وجوداً فوق كل شك أو تشكيك وذلك بدراسته للظواهر غير المألوفة التى ترافق السير على الطريق إلى الله"[٢٢٨] ويرتضون وضع مصطلح المتزامنات وهى "توافقات غريبة بين حوادث بينها عناصر تشابه معين ولكنها لا ترتبط ببعض بعلاقة سببية تفسر توافقها فى الوقوع زمانيا أى فى نفس الوقت أو مكانيا أى فى نفس المكان أو زمكانيا أى فى نفس الوقت والمكان"[٢٢٩] وقد حصروا هذه الأشكال فى ظاهرة المتزامنات التى ليست إلا صورة من صور الكرامات وكم كان من المفيد لو نظروا إلى الأمر من كافة صوره وليس من بُعد واحد لكن هذا لا يقلل من الجهد الذى بذلوه فى دراسة هذه الظاهرة.

وصور الكرامات هى صور لخيالات أدبية تتلامس مع الأساطير والحكايات الشعبية إلا أن القدسية المصاحبة للحدث ولأبطالها تبتعد بها عن هذه الأصناف.

صور الكرامات:

والأرقام هنا لا ترمز إلى التتابع أو الترتيب وإنما ترمز إلى دلالات مستقلة:

٥-١ الطيران فى الهواء.

٥-٢ المشى على الماء.

٥-٣ تحمل الجوع والعطش والسهر والألم.

٥-٤ طى الأرض.

٥-٥ تسخير الملائكة والجن والحيوانات والجماد وكائنات أخرى للولي.

٥-٦ إنقاذ الناس وقت الحاجة.

٥-٧ التنبؤ بالمستقبل.

٥-٨ القدرة على شفاء الآخرين من الأمراض.

٥-٩ المعاونة على التأليف ومعرفة كل العلوم واللغات.

٥-١٠ مصاحبة الأنوار والغمام للولي.

٥-١١ إحياء الموتى وتكليمهم.

٥-١٢ خلود الولي بعد موته وارهاصات موته.

٥-١٣ إرهاصات الولي وهو جنين أو فى المهد.

٥-١٤ تحقيق النصر على الأعداء دون مقاومة.

٥-١٥ تحقيق الأمنيات للمريدين والمنكرين.

٥-١٦ القدرة على اختيار توقيت الموت ومعرفته قبيل الموت وإرهاصات الموت

٥-١٧ تغيير جوهر الأشياء مع بقاء صورها الأصلية.

٥-١٨ مشاهدة الخضر ومصاحبته.

٥-١٩ القدرة على الإخفاء.

٥-٢٠ استجابة الدعاء.

ومن خلال النظر فى هذه الصور نجد أن معظمها وليد حاجة الناس اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وجغرافياً أيضاً؛ فالعطش والجوع والفقر وعدم الزواج يلعب دوراً كبيراً فى هذه الكرامات، فقد روى عن إبراهيم الخواص أنه قال: عطشت عطشاً شديداً بالحاجر، فسقطتُ من شدة العطش: فإذا أنا بماء قد سقط على وجهي، وجدت برده على فؤادي، ففتحت عينى فإذا أنا برجل مارأيت أحسن منه قط

على فرس أشهب عليه ثياب خضر وعمامة صفراء، وبيده قدح ـ أظنه قال من ذهب أو من جوهر ـ فسقاني منه شربة، وقال لي: ارتدف خلفي، فارتدفت، فلم يبرح من مكانه حتى قال لي: ماترى؟ قلت: المدينة. قال: انزل واقرأ على رسول الله السلام وقل له: أخوك رضوان يقرأ عليك السلام"[٢٣٠]

فقد تحقق فى هذه الكرامة العديد من الظواهر المرتبطة بالحاجة إذا ماكان المرء فى الصحراء فالعطش يُحل بماء بارد فى إناء ذهب أو فضة، وشدة التعب من السير تحت لهيب الشمس يُحل فى النص الكراماتى بطى الأرض للولى ومن هنا فإن البيئة تلعب دورا كبيرا فى تشكيل النص الكراماتى.

وقد أكدالفنان يوسف وهبى مراراً أنه "شهد بنفسه أحد رجال الصوفية يستجلب صينية عامرة بأطايب الطعام من مطعم معين، بعد أن يبعث بالثمن بنفس الطريقة، وقد حدث ذلك أثناء وجودهما فى قطار الصعيد "[٢٣١]

وعبد الرحمن بن جعفر يضل طريقه فى البيداء فإذا به يرى الشيخ أبو سعيد الذى " ناولنى رغيفاً سخناً فأكلته فاشتد رمقي، ثم ناولنى ركوة فيها ماء أحلى من الشّهد وأبرد من الثلج وأبيض من اللبن فشربت منها وغسلت وجهى فعادت روحى ثم قال اتبعني."[٢٣٢] والشيخ فى البصرة.

إننا نستطيع أن نفهم هذه الصور إذا ما وضعنا فى الاعتبار أن الكرامة هى معرفة خارج حدود العقل.

وسأحاول توضيح صور الكرامات من خلال بعض الأمثلة المدونة والشفهية على النحو التالي:

٥-١ الطيران فى الهواء

كما ذكرت من قبل يعبر النص الكراماتي عن أحلام الناس وأمنياتهم ولذلك فإن الطيران فى الهواء يظل حلما منذ بدء الخليقة ولذا فوجوده فى النص وتحققه فى الكرامة يجعل النص معبرا عن أمنية الناس.

فقد قال التُّرمذي:" المشى فى الهواء جائز وقد قال الله تعالي: {وإذْ نَتَقْنا الجبلَ فوقهم كأنَّهُ ظُلَّةٌ}[٢٣٣]. ونتقنا:رفعنا، وظلة، سحابة؛ فأخبر تعالى أنه أمسك قطعة من الجبل فوقهم وهى فى الهواء فكذلك لا يمتنع إمساك غيره من الأجسام في الهواء ولافرق." [٢٣٤]

وقد وُظفت قصة الإسراء والمعراج فى التصوف توظيفاً كبيراً فأمُّ محمد تيلجى حدثت بما رأت فقالت:"رأيت بالليل شخصاً دخل إلى أبى محمد، فأيقظه من نومه ودفع إليه سطلاً فتوضأ منه. قالت:فرأيت حيواناً كأنه ناقة بيضاء قد أتته، فركبها فَعَلَت به سقف الدار وسارت به وأنا أبصرها. فلما حدثت بذلك خرست، فلم تتكلم فأقامت مدة قليلة فماتت."[٢٣٥]

وكذلك معراج امرأة عاشقة لأبى يزيد[٢٣٦]

ومن أجمل ماروى فى هذا الصدد ما رواه أبوالصبر قال" كنت أحضر مجلس أبى الحسن، فيحضره جماعة من المشاة فى الهواء، وكان فيهم رجل يظهر فى وجهه كأثر حرق النار من احتراق الهواء."[٢٣٧] وكذلك ما حكاه ذوالنون المصرى عندما أبصر رجلاً يطير فى الهواء فسأله "بمَ وَصلت إلى هذه المرتبة؟ فقال: تركت هواى لهواه فأسكننى فى الهواء"[٢٣٨] فالمشى فى الهواء يوحى بمدى تفرد

هؤلاء الناس وتميزهم عن الآخرين مما يجعل المتلقى ينظر إليهم وكأنهم حالة خاصة لاتتكرر.

٥-٢ المشى على الماء

يمثل المشى على الماء الجانب الثانى من صور الكرامات حيث إن الولى هنا يلقى فى الذهن ماحدث مع موسى عليه السلام حينما ألقى بعصاه فانشق البحر لكن الولى يتجاوز ذلك فى النص الكراماتى إذ يمشى على الماء فلا تغوص قدماه ولاتبتلان وكأنه يمشى على اليابسة، وبذلك يحدث ما أسميته الانفصال بين الولى وغيره من الناس من حيث المنزلة التى لايصل إليها أحد سواه، فيلقى النص الرعب والدهشة فى أذهان المتلقى الذى يحرص على متابعة الحدث.

"فى إطار العملية الصوفية نجد الكرامات تمثل ركناً أساسياً من أركان التأثير فى المريدين فالشيخ محمد شمس الدين الحنفى الشاذلى كان "يعبر النيل إلى الروضة ماشياً فوق الماء مع رفاقه"[٢٣٩]

"وحدثوا عنه [أبولقمان يِرْزْجَان] أنه جاء إلى وادى تانسيفت وهو ملآن من الضفة للضفة، فقعد أبولقمان على شاطئه وأخذ فى الذِّكر؛ فقال له تلميذه: أما ترى هؤلاء المشاة على الماء؟ فقال أبولقمان: أنظرتَ أنت هؤلاء المشاة فى الهواء ؟ فرفع رأسه فرأى قوماً يمشون فى الهواء."[٢٤٠] وربما كان المشى على الماء والطيران فى الهواء مباراة تنافسية بين مقامات الأولياء.

كما ذكر اليافعى حكاية رواها ذو النون المصرى عن شاب استقل سفينة معه وفى منتصف البحر فقد صاحب المركب كيساً فيه مال " ففتش كل من كان فى المركب فلما وصل إلى الشاب ليفتشه وثب من

المركب حتى جلس فى البحر فقام له الموج على مثال السرير، ونحن ننظر له من المركب ثم قال: يامولاى إن هؤلاء اتهمونى وإنى أقسم عليك ياحبيب قلبى أن تأمر كل دابة من هذا البحر أن تخرج رأسها وفى فم كل واحدة منهن جوهرة، فقال ذو النون فما أتم الشاب كلامه حتى رأينا دواب البحر قد أخرجت رءوسها وفى فم كل واحدة منهن جوهرة تتلألأ وتلمع كالبرق، ثم وثب الشاب ثانياً من البحر فى الموج وصار يمشى ولم تبتل قدماه وهو يقول:إياك نعبد وإياك نستعين؛ حتى غاب عن بصري، قال ذوالنون فحملنى ذلك على السياحة."[٢٤١] وفى هذا النص الكراماتى نجد التحدى ووصول المدد فى حينه للولى المجهول الذى يصل إلى درجة كبيرة فهو يسخِّر كل دواب البحر لتُخْرِجِ له الجواهر ثم يختفي، ونجد هنا النهاية المفتوحة حيث إن اختفاء الشاب عن بصر ذى النون لايعد نهاية بل هو بداية لذى النون الذى بدأ التغير فى حياته من هذا الحدث.

٥-٣ تحمل الجوع والعطش والسهر والألم

إن المجتمع الحار مناخياً يحتاج فيه الإنسان إلى قطرة ماء؛ ويصبح الحصول عليها فى الصحراء كرامة كما يصبح الحصول على كسرة خبز فى مجتمع فقير كرامةً أيضاً.ولذلك فالماء يوصف بأنه " أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل "[٢٤٢]

قال الكلاباذي"وسمعته يقول: بعض أصحاب الجريرى يقول:مكثتُ عشرين سنة لايخطر لى ذكر طعام حتى يحضر، ومكثت عشرين سنة أصلى الفجر بطهور العشاء الآخرة"[٢٤٣]

وأن أباعقال المغربى " أقام بمكة أربع سنين لم يأكل ولم يشرب إلى أن مات"[٢٤٤]

قال الجنيد"مارأيت أعبد من السرى أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئى مضطجعاً إلا فى علة الموت"[٢٤٥]

وقد مكث الشيخ أبوخليل ـ كما يحكى ابنه ـ مائة وسبعة عشر يوماً دون أكل وشراب:

" وصرتُ من الأبدالِ تطْوى مسافتي
وقد نسيت نفسى المآكل والشربِ
كماية يومٍ بعد عشرٍ وسبعةٍ
تركت غذائى طاويا خالى القلب
ولما تذكرتُ الطعامَ وطعمه
وجدت لرزقى مثل مريم بالجنب"[٢٤٦]

فالتحمل هنا خرق لعادة البشر الذين يأكلون ويشربون ولذا فالنص الكراماتى المميز للولى من خلال قدرته على التحمل يجعل صفات البطل / الولى أقرب إلى المتلقى وأوضح تشكيلا فى مخيلته، ويوصل الولى إلى التفرد بصفات لاتوجد فى غيره. وهذا التحمل اختيارى بمحض إرادته؛ وهذه الصورة من الكرامات نجدها فى معظم البلدان العربية حيث ينشر الفقر والعوز وحاجة الناس إلى المأكل والمشرب.

٥-٤ طيّ الأرض

من العجب أن يستهين ابن عربى بهذه الكرامة ورأى أنها لا تقع للولى إلا فى البداية حيث قال "فلا تزوي لهم الأرض ولا تقرب لهم

مسافة إلا فى بدايتهم"[٢٤٧] حيث إنها تختصر الطيران فى الهواء والمشى على الماء فى القدرة على طى الأرض كيفما شاء.

ويروى الشيخ محمد محمد أبوخليل عن أبيه أنه " كثيراً ما كان يفتح عينيه على بلاد لايعرفها وشعوب لايستقر بها فلا يعرف أين هو إلا إذا سأل من حوله فأجابوه بلغتهم التى يفهمها دون مترجم؛ إلهاماً من الله تعالي، وتعليماً من فضله، ولا غرابة فى ذلك فقد طويت له مسافات المكان والزمان مما رأيناه ولمسناه فى حياة الشيخ وما كان من بعض كبار تلاميذه الذين تعدته الآية بمدده إليهم"[٢٤٨]

ويفلسف أبويزيد البسطامي ماهية طى الأرض عندما قال له رجل:"إني سمعت أنك تعْبُر إلى المشرق والمغرب فى ساعة،فقال: يكون هذا؛ لكن هذا للمؤمن عناء، إنما المؤمن الجوهر أنّى يطلع فيكون المشرق والمغرب بين يديه، فيتناول من حيث يشاء"[٢٤٩]

ونجد فى هذا العرض فلسفة الكرامات حيث لا يرى الولى الأشياء بعيون دأبت على القياس فى معرفة الأمكنة والأزمنة بل يتجاوز هذا وذاك حيث يرى أنه قد جُمع المشرق والمغرب طوع يديه.

حدثنى سيد خضير (٣٦سنة) أن الشيخ "أحمد أبوالحسن" روى أنه " كان ذات يوم مع أستاذه وشيخه الشيخ محمد العربى فأمره الشيخ أن يمد رجله اليمنى وقال له: أنت الآن فى الصين؛ ثم قال له:اخط باليسرى، أنت الآن فى الهند، وكنت أرى وجوهاً متغيرة"[٢٥٠]

وقد "زعموا أن السيد البدوى قطع المسافة بين مكة ومصر فى إحدى عشرة خطوة."[٢٥١] والمتتبع لهذه الصورة من الكرامات يلحظ أنها تتكرر منسوبة إلى أولياء عديدين حيث نجدها لدى راعى

القصب الذى يرعى القصب بقنا بصعيد مصر لكنه يصلى كل جمعة بالحرم فأوصاه بعض المحْرمين أن يحضر له معه بعض أعواد قصب السكر معه ففعل تتلامس هذه الصورة مع صور أخرى.

٥-٥ تسخير الملائكة والجن والحيوانات والطيور والجماد وكائنات أخرى للولي

في التراث الكراماتى نجد أن المخلوقات مسخرة للولي، فالحيوانات المفترسة طوع أمره، ولديه معها حوار فهو يعرف لغتها وهى تلبى أمره حيث أوتى من القدرة أن يعرف جميع اللغات؛ ويستند الصوفيون على الحديث القدسى "...فإن أطعتنى أطاعك كل شئ..." وهذه الطاعة هى من أبواب الكرامات التى تحقق للولى مكانته وقدسيته؛ فأبوالمغيث بن جميل اليمني[٢٥٢] "خرج يحتطب فى وقت ومعه حمار يحمل عليه الحطب، فبينما هو يجمع الحطب فى بعض البرارى وثب الأسد على حماره فافترسه؛ فلما جاء بالحطب ليحمله وجده قد مات؛ فقال للأسد: على أى شئ أحمل حطبى ؟ وعزة المعبود ما أحمله إلا على ظهرك، فجمع الحطب وحمله عليه وهو هيّن، ليّن، مطيع وساقه إلى أن وصل به إلى طرف البلد ثم حط عنه الحطب، و قال له: اذهب."[٢٥٣] وهذه الكرامة لاتسير فى سياق النص المحتمل إذ يتوقع المتلقى أن يُحيى الشيخ حماره؛ لكن الشيخ يترك الحمار ويعاقب الأسد الذى يجعله يقوم بوظائف الحمار، وأصر الراوى على أن يأتى بالمترادفات فى الصفات فالأسد هيّن، ليّن، مطيع، حتى يؤكد فى ذهن المتلقى مدى استسلام الأسد للولى وكأنه نادمٌ على فعلته الحمقاء، وقد صور الراوى الموقف تصويراً رائعاً وقد

أتى الولى ليفاجأ بافتراس الأسد حماره؛ ويتعقد الموقف ويرمى الشيخ بالحطب ويبدأ فى توبيخ الأسد وصياغة الحُكم ضده، ويتقبل الأسد الحكم، وأنَّى له أن يستأنف فى حكم مُبرم فيخضع له فيبدأ الشيخ فى جمع الحطب ويضعه عليه ويسوقه صامتا لايبادله أطراف الحديث حتى يصلا إلى طرف البلدة فيصرفه الولى بلفظ:اذهب ! والأسد يعرف فى هذه الحكاية اللغة العربية، وربما صرفه الشيخ على طرف البلد مخافة أن يراه الناس فى البلدة فيُذاع السر الذى يفتقد أى شاهد بَشرى سوى الولي.

وقد ساق ابن كثير كرامة لولى من اليمن أحيا حماره وأردف أن البيهقى قال:"هذا إسناد صحيح، ومثل هذه يكون كرامة لصاحب الشريعة."[٢٥٤]

كما أن تكلم الجماد والحيوانات والنبات يُرى بشكل كبير فى التراث الشيعى المؤرِّخ لسيَر أئمتهم[٢٥٥]

"قال أبوحمزة الخراساني:حججت سنة من السنين فكنت أمشى فوقعت فى بئر؛ فنازعتنى نفسى بأن أستغيث، فقلت:لا والله لا أستغيث فما استممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر:تعال حتى نطمس رأس هذا البئر من الطريق، فأتوا بقصب وبارية، وهممت أن أصيح، ثم قلت:يامن هو أقرب إليّ منهما، وسكت حتى طموا[٢٥٦] ومضوْا؛فإذا أنا بشئ قد تدلى برجليه فى البئر وهو يقول: تعلق بي، فتعلقت به، فإذا هو سبع؛ وإذا هاتف يهتف بي، ويقول لى يا أباحمزة؛هذا حسن،نجيناك من التلف فى البئر بالسبع؟"[٢٥٧] ولتحليل هذه الكرامة نرى أن الكلاباذى قد نقل

هذه الحكاية على لسان أبى حمزة الخراسانى نفسه أى أن شكل الحكى جاء فى شكل (الأنا/الراوي) مستخدما كل الضمائر المتعلقة بالأنا ولم يتدخل الكلاباذى فى الرواية بل نقلها دون تدخل فى النص على عكس الهجويرى فى كتابه كشف المحجوب حيث أورد النص مخالفاً لنص الكلاباذى فى أشياء كثيرة سأذكرها؛ ومقطّعاً النص بتدخلاته وتعليقاته مبتدئاً النص فى الحكى بشكل (الراوي/الهو) حيث يبدأ بـ"أنه كان يسير يوماً فى طريق، فوقع فى بئر، وظل بها ثلاثة أيام وليال..."[٢٥٨] ثم الراوي/الأنا: "فكأنى أقول: إن الله أوقعني..."[٢٥٩] ثم يعود مرة أخرى إلى الراوي/الهو: "قال" ثم يورد بقية الحكاية فى صيغة الراوى الأنا.وقد اختلفت الأحداث فى رواية الكلاباذى عن رواية الهجويري، وجاءت الاختلافات بين النصين على النحو التالي:

وجه المقارنة	الكلاباذي	الهجويري
هدف الرحلة	الحج	؟
عدد الأشخاص	رجلان	جماعة
شكل المخلص	شـئ	شخص مُبْهم
أداة التنبيه	صوت متكلم	صوت حركة
الوصف الأولي	؟	حيوان ضخم
كينونة المخلص	أسـد	حيّـة
أداة الخلاص	رجلا الأسد	ذيل الحيّة

ويلحظ هنا مدى الاختلاف بين الروايتين إلا أن وظيفة الكرامة واحدة فى الروايتين، وهذا الاختلاف الوصفى يوضح لنا قابلية

النص الكراماتي للمغايرة الإبداعية وفق رؤية المبدع وحسه الأدبي وخياله.

إن النصين لايعتمدان إلا على راوٍ وحيد وهو الشيخ ذاته لكن وظيفة الحكي عند الكلاباذي والهجويري وأسلوبيهما أسهما في خلق نصين مغايرين شكلاً وأداةً بينما حافظا على وظيفة الكرامة وفي إثبات ولاية أبي حمزة الخراساني من جهة وترسيخ التوكل من جهة أخرى.

وقد ناقش ابن الجوزي في كتابه "تلبيس إبليس" قصة "أبوحمزة" مع البئر ونجاته من الموت بسبع، وذكر أنهم اختلفوا في أبي حمزة هذا الواقع في البئر، فقال أبو عبدالرحمن السلمي: هو أبوحمزة الخراساني وكان من أقران الجنيد، وقد ذكرنا في رواية أخرى أنه دمشقي"

وبعد ذلك قال " كان عليه أن يصيح ويمنع من طم البئر كما يجب عليه أن يدفع عن نفسه من يقصد قتله"[٢٦٠]

وقد أورد أبو نعيم الأصفهاني هذه الكرامة في حلية الأولياء مع تغير في بعض الألفاظ وزيادات حسب خياله ورؤيته وحاول أن يمسرح الحدث لاسيما في النهاية حيث البطل /الراوي في البئر وحكى لنا:" فمكثتُ يومي وليلتي،فلما كان في الغد ناداني شئ يهتف بي ولا أراه: تمسك بي شديداً، فظننت أنه جني، فمددت يدي ألتمس ما أريد أن أتمسك به فرفعت يدي على شئ خشن، فتمسكت، فعلاها وطرحني، فتأملت فوق الأرض فإذا هو سبع، فلما رأيته لحق نفسي من ذلك ما يلحق من مثله، فهتف بي هاتف:يا أبا حمزة استنقذناك من البلاء بالبلاء، وكفيناك ما تخاف."[٢٦١]

فتحديد الزمن عند أبى نعيم ساهم فى إضفاء حالة القلق فى نفسية المتلقي، بينما الزمن مجهول عند الكلاباذى وكأنه ساعة من نهار؛ ثم إن الحكاية الثانية حفلت بمصطلحات كافية لخلق الجو الأسطوري: ناداني شئ ! يهتف بى ولا أراه! فعدم معرفة كينونة الشئ قادرة على بث الفزع ثم وصفه بأنه ذو صوت بلا جسم ليزيد الفانتازيا ويكتشف أنه سبع فيخاف حتى يأتى التفسير الأخير فى جملتيْ الهاتف !

يبدو عندما نوازن بين الروايتيْن لكرامة واحدة مدى الاختلاف اللغوى وطريقة السرد بينهما مما يؤكد ماذهبت إليه آنفاً من تفرد كل أديب بإبداعه الروائى وبنظرته الفردية إلى بنية الحدث، ويؤكد ذلك طواعية الكرامة للزيادة والمغايرة وربما كان ذلك من أهم أسباب نموّها وتجددها عبر العصور، وأنها ماتزال حية رغم مدنية المجتمع وتطوره الحداثى تقنيةً وفكراً وربما تعود هذه القصة إلى مارواه الدميرى أن البيهقى قد روى "أن دانيال عليه السلام طرح فى جب، وألقيت عليه السباع فجعلت السباع تلحسه تبصبص إليه فأتاه ملك فقال يادانيال فقال من أنت ؟ فقال: أنا رسول ربك أرسلنى إليك بطعام فقال دانيال: الحمد لله الذى لاينسى من ذكره "[٢٦٢]

فى مجال الطيور نجد أنها قريبة من الولى ومُؤْتمِرة بأمره "قال أبوبكر القحطبي:كنت فى مجلس سمنون، فوقف عليه رجل فسأله عن المحبة،فقال لا أعرف اليوم من أتكلم عليه يعلم هذه المسألة، فسقط على رأسه طائر، فوقع على ركبته،فقال:إن كان فهذا ، ثم جعل يقول ـ ويشير إلى الطيرـ بلغ من أحوال القوم كذا وكذا ، فشاهدوا كذا

وكذا، وكانوا فى حال كذا وكذا، فلم يزل يتكلم عليه حتيسقط الطير عن ركبته ميتا"[٢٦٣]

والكرامة هنا بيان عملي أو تطوير في أسلوب طرق التدريس حيث التجربة حتى لو راح الطير ميتاً.

قال ابن عربى عن الشيخ أبى مدين إنه:"كان وقته التجويد وعدم الادخار، فنسى فى جيبه ديناراً، كان كثيراً ما يَرتُبُ منقطعاً فى جبل الكواكب، وكانت هنالك غزالة تأتى إليه فتَدِرُّ عليه، فيكون ذلك قوته. فلما جاء إلى الجبل جاءت الغزالة ـ وهو محتاج إلى الطعام ـ فمدّ يده على عادته إليها ليشرب من لبنها فَنَفَرت عنه وما زالت تنطحه بقرونها وكلما مد يده إليها نفرت منه، ففكر فى سبب ذلك،فتذكر الدينار، فأخرجه من جيبه ورمى به فى موضعٍ فقَدَه ولا يجده. فجاءت إليه الغزالة وآنست به ودَرّت عليه"[٢٦٤]

كذلك فإن كل الحيوانات والطيورالمفترسة والحشرات والزواحف السامة تغدو فى الكرامات أليفة،وديعةً، مسخّرة لخدمة الولى ورهن إشارته، فقد "أُلقى بنان الحمال بين يدى السبع، فجعل السبع يشمه ولايضره، فلما أُخرج قيل له: ماالذى كان فى قلبك حيث شمّك السبع؟ قال:كنت أفكر فى اختلاف العلماء فى سؤر السبع "![٢٦٥]

تأخذ الحيوانات والطيور والحشرات فى الكرامات جانباً يلقى الضوء على مدى وصول هذا الولى إلى درجة عالية أو تكون سبباً فى تعليمه ما جهل أو ما خفى عليه.

وذو النون المصرى يحكى أنه همّ بقتل عقرب رآها لكنه هرب مسرعا "حتى وقع فى البحر، فخرجت إليه ضفدعة فوثبت العقرب

على ظهرها،ثم عامت به حتى طلعت إلى الجانب الآخر، وأنا أنظر إليها، فتعجبت من ذلك وتبعتها فلما نزل العقرب عن ظهرها سار حتى أتى إلى مكان رجل نائم سكران وقد أتى إليه تنين [هَمَّ بقتل الرجل النائم فقتل العقربُ التنينَ]... (فأيقظت الرجل "[٢٦٦] وتاب بعد أن عرف الحكاية فالنص الكراماتى ملئ بسحر الإبداع وتوظيف الكائنات جميعها لإضفاء خاصية القدرة على تسخير جميع الكائنات ومن هنا فالجو الأسطورى فى النص واضح ويهدف إلى إبهار المتلقي.

ويحكى القشيرى عن شجرة الرمان التى تحدثت مع إبراهيم بن أدهم[٢٦٧] وغير ذلك مما يحكى عن أبى يزيد البسطامى الذى جعل الخشبة اليابسة فى يد أبى سعيد المنجواني تتحول إلى شجرة عنب مثمرة[٢٦٨]

والسيد أبو الحجاج الأقصرى عندما دخل من أحد الأبواب القصيرة "لم ينحن فلقد ارتفع له الباب ودخل قائماً كما هو"[٢٦٩]

ويروى القشيرى أن الفضيل كان "على جبل من جبال منى فقال:لو أن ولياً من أولياء الله تعالى أمر هذا الجبل أن يميد لماد؛ فتحرك الجبل فقال: اسكن لم أردك بهذا، فسكن الجبل"[٢٧٠]

وواضح أن خيال الصوفى قد أمده بهذه القدرة على تسيير الجبال، والجميل فى الكرامة السابقة أن الجبل ماد دون أن يأمره بل حسب الجبل أن الكلام موجّه إليه فأطاع وفى ذلك إثبات الولاية للفضيل، وتحقُّق الشهود النكرات فى الرواية من ولايته.يضاف إلى ذلك أن تمسرح الحكاية أسهم فى خلق صورة للموقع والحدث والحوار والشخصيات وتشخيص الجماد أيضاً.

ويروى اليافعى أن من كرامات الحضرمي[٢٧١] "وقوف الشمس له حتى بلغ مقصده لما أشار إليها بالوقوف فى آخر النهار"[٢٧٢] وواضح أن هذا النص تقليد لمعجزات الأنبياء.

وقد تحدث البحر مع أبى العباس المرسى وقال: الطاعة الطاعة على نحو ما روى ابن عطاء الله.[٢٧٣]

وقد ألهمت هذه الكرامات الفنان الشعبى الذى راح يصور الأولياء وقد تحولت الحيوانات الضارية إلى حيوانات أليفة فى معيتهم، فصور الفنان الشعبى عبدالقادر الجيلانى "كشيخ جليل فى لباس رجل دين، بيده مسبحة وأمامه أسد...."[٢٧٤]

وهذا الجانب فى دور الكرامات فى التصوير لمَّا يدرس بعد وحريٌ بأن يلقى الضوء عليه إذ نرى كثيراً من اللوحات وقد غدت الحيوانات والطيور المقدسة آمنة وادعة فى معيَّة الولى مما كان له الدور الكبير فى تطور الفنون البصرية أيضا.

٥-٦ إنقاذ الناس وقت الحاجة

يركز النص الكراماتى على إنقاذ الناس بحيث يكون لدى المتلقى أمنية أن يتحقق ذلك له عندما يكون فى مأزق مشابه، ولذلك يلجأ إلى تضخيم المشكلة والخطر ومن ثم يأتى المدد على قدر المشكلة وتتحقق درجة الولاية.

يروى حسن محمد عواد"أن الشيخ "أبوالوفا الشرقاوي" كان بينه وبين البرنس يوسف كمال ضدّيّات وأبوالوفا الشرقاوى كان عنده أرض عايز ياخدها البرنس،وفى يوم من الأيام راح جبال لبنان يصطاد،فجاه أسد،هجم عليه، فلقى واحدبيحوش منه الأسد،فوجده

الشيخ أبو الوفا الشرقاوي، ولذلك جا نقله من بلده اسمه الدير غرب بهجورة وجابه فى أرضه وبنى له قصرعلى البحر"[٢٧٥]

ويحكى أحدهم أنه كان فى معية الشيخ احمد الطيب الحسانى وجمع من المريدين يعبرون النهر فى مركب"سارت بنا وأصبحنا فى منتصف النهر، حدث بها ثقب ليس بالصغير وبدأ الماء يتسرب إلى باطنها، فصحنا جميعا:المركب انفتحت يا مولانا وسوف نغرق،(...)فردّ رضوان الله عليه:إقرءوا المنظومة[٢٧٦] (...)ولم نملك إلا الإذعان ، وأخذنا نقرأ المنظومة مع الاستعداد للقذف بالنهر حيث إن الماء قد ملأ المركب، حتى وصل إلى أعلى جزء بها (...)ووصلنا إلى الشاطئ، وبعد أن وضع آخر واحد منا رجله على اليابسة غاصت المركب بالماء ولم يظهر منها شيء"[٢٧٧]

ونلحظ هنا قوة التصوير؛ فالماء يتسرب إلى المركب بغزارة وهم فى منتصف النهر، وفزع المريدين فى مقابل رباطة جأش الشيخ وقوة يقينه بالله فلا ملجأ إلا إليه، ثم نصحهم أن يتجهوا إلى الله طالبين المدد منه، متوسِّلين إليه بأسمائه الحسنى، ولم ينسب الشيخ المدد إليه، كما لا يخفى علينا أهمية قصيدة الإمام الدردير التى اكتسبت أهميتها من أسماء الله تعالى، ويصل المركب إلى البر وينزل الشيخ والمريدون ويختفى المركب.

وعندما كان المئات من الناس فى ساحة الشيخ عبدالقادر الجيلانى فيخرج مسرعا وينادى عليهم:أسرعوا إلي"فأسرعوا إليه حتى لم يبق فى الرواق أحد، فسقط السقف وسلم الناس"[٢٧٨]

يلعب جانب إنقاذ الناس وقت الحاجة دوراً رئيساً فى توالى

الكرامات فأزمات الناس ولاسيما في مجتمعاتنا متكررة ومشاكلهم متواترة لذا فإنهم ينتظرون حلاً لمشاكل لايستطيعون حلها، وقد تكون مشكلة بسيطة لكنه الفقر والعوز ومن ثم فإن هذه الصورة من الكرامات لاتعدم متلقياً فكل من البشر في حاجة إلى إنقاذ وقت الحاجة.

٥-٧ التنبؤ بالمستقبل ومعرفة الغيب

في وفَيات الأعيان يذكر ابن خلكان كرامات الحلاج أنه "يُخرج للناس فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، ويمد يده إلى الهواء ويعيدها مملوءة دراهم عليها مكتوب: قل هو الله أحد؛ ويسميها دراهم القدرة، ويخبر الناس بما يأكلون وما يصنعون في بيوتهم، ويتكلم بما في ضمائر الناس"[٢٧٩]

وفي إطار تحليل عبدالستار الراوي لمثل هذه الظواهر فإنه يرجعها إلى Telepathyأي " التخاطر وهو عملية إرسال الأفكار واستلامها عن طريق الذهن " [٢٨٠] وربما يكون ذلك تفسيرا لبعض الكرامات التي يجمل فيها النص دلائل غيبية تأخذه إلى السحر والخيال ويجعل من الصعب تفسير ذلك عقلانيا لكن يبقى للنص دهشته التي يلقيها في مخيلة المتلقي، ومن ذلك:

الكرامة الشفهية:

١-الشيخ عبداللطيف الطيب (٦٤سنة):"في سنة ١٩٥٩كنت في القُرنة[٢٨١] في ساحة الشيخ الطيب ونمت ليلا، وإذا بالدكتور أحمد (ابن الشيخ محمد الطيب وكان في ذلك الوقت طالباً في الثانوية الأزهرية أيوقظني من النوم فجأة؛ فقلت له:مَ تْنام إيه فيه؟ إحنا

مـالنـاش سـاعـتـين نـايمـين؛ قـال:مراتك ولـدت دلوقت. فـصـحـى أخـوه الشيخ محمد وقال:ياحمد نام ومافيش داعى الكلام؛ دا عايز يؤكد كرامة أخوه.فقلت له:يا استاذ احمد لامؤاخذة امراتى باقى ٣ شهور وتلد.

الشيخ سمع الحوار ونزل وقال ايه فيه؟فقلت له يامولانا الشيخ أحمد بيزعم ان مراتى ولدت دلوقت فقال لى ياعبد اللطيف ودى غريبة على احمد؟! ولدت دلوقت. هل كسيتم المولود.؟الشيخ محمد قال انا سميته محمود فقال الشيخ أحمد: أنا سميته حساني؛ الشيخ قال: ولدت فى هذه اللحظات وسميت المولود محمود الحساني.

أنـا حـتـى الآن كـرامـة أحـمـد مش داخـلـة فى دمـاغى وإذا فى الصباح يامولانا الساعة ٩ ياجي[٢٨٢] خفير من عند عمدة القرنة ويقول:فيه واحد هنا اسمه عبداللطيف؛قلت له أيوه؛ قال عمدة الشيخية عايزك عَ التليفون؛ورحت ماكانش فيه حينذاك تليفونات؛ ورحت؛

أهلا ياعمدة...

مبروك مرتك ولدت

الساعه كام؟

الشيخ الوالد معك.

وتكلمت مع أبى فقال:

ولدت الساعه الثانية، وجابت ولد.

وسميته محمود الحساني"[٢٨٣]

وقد انفردت هذه الكرامة بتعدد مشايخها فالأب وهو الشيخ

محمد الطيب وابناه الشيخ محمد والشيخ أحمد يؤكدون الكرامة؛ وتتطور الكرامة من معرفة ماحدث لمعرفة تفاصيله وتوقيته؛ كذلك فإن الراوى غير مصدق إلا من خلال بيّنة تتحقق فى الصباح ليطمئن قلبه.

الكرامة هنا مغايرة لنواميس الحياة لكنها متفقة تماماً مع المنظور الصوفى فى الكرامات. ولقد ذكر الراوى أن الشيخ محمد الطيب كان يقول:" لحظاتنا كلها كرامات" [٢٨٤]

وربما كان ذلك من الكشف الذى يصاحب الولى وفى رأى ابن خلدون أن " هذا الكشف كثيرامايعرض لأهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود مالايدرك سواهم، وكذلك يدركون كثيرا من الواقعات قبل وقوعها ويتصرفون بهممهم وقوى نفوسهم فى الموجودات السفلية، وتصير طوع إرادتهم"[٢٨٥]

وقد يطلق عليها بعض الناس المتزامنات أو الحدس.

٥-٨ شفاء الآخرين

تكثر الأمراض فى بعض البلدان وقد يقف الطب عاجزا عن إدراك كنهها، ومن ثم عن تحديد علاجها وفى هذه اللحظة يلجأ المريض إلى الولى الذى يكون على يديه وفق الكرامات الشفاء؛ لكن هذا لايجعل الناس يعتقدون أنه الشافى فهم يدركون أن الشافى هو الله: ولكنهم يرون أنهم بذنوبهم غير جديرين بأن يطلبوا من الله فيتبركون بأوليائه.

يقول الشيخ أحمد الطاهر الحامدى (ت١٩١٢) فى رثاء شيخه أحمد بن شرقاوي:

"وأصبحت الدنيا تؤمّك كلها   قبائلُ تأتى للشفا وشعوبُ "[٢٨٦]

وعندما جاء الشيخَ أحمد بن حندقها رجلٌ يشكو مسن يشكو من آلام مبرحة فى ركبتيه ينصحه بعجن السدب ودهنهما لكن الرجل يرد عليه قائلا:ومن أين لى السدب ،إنه لا ينبت عندنا"فأطرق الشيخ، ثم أدخل يديه بفتحتيْ ثيابه، وليس فيه جيوب، وإنما مجرد فتحتين، وأخرج يديه وبكل يد كمية من السدب الأخضر"[٢٨٧]

ويحكى محسن التليلى أن "زوجين شكيا من العقم، وقد كانت لهما رغبة شديدة فى الإنجاب فقدما الزاوية[زاوية الشيخ التليلى بتونس]حيث باتا معا فى روضة الشيخ احمد التليلى وبعد مدة حملت المرأة ثم أنجبت من زوجها ابناً أسمياه التليلي، وذكر لى محدثى أن ذلك الابن إمام الآن بأحد مساجد قفصة"[٢٨٨]

ويروى عبدالحميد السيد فى كتابه "سيدى عبدالرحيم القناوي" أن أذنه اليسرى قلّ سمعها وزادت آلامها " فذهبت إلى المسجد والمقام، وطلبت من ربى وتوسلت إليه بكل من أحب (...) وعدت إلى المنزل،وفى النوم رأيت فيما يرى النائم سيدى عبدالرحيم يقول لي: هات أذنك أفتحها لك، وبيده مجموعة من الإبر فى حزمة أخذ يدخلها فى الأذن، فشعرت بألم أيقظنى من النوم سعيداً بما حدث (...) وعادت إلى السعادة القلبية بتمام الشفاء وزوال الداء."[٢٨٩]

وتكثر هذه الصورة فى مجتمع تفشت أمراضه الظاهرة والباطنة وفى ظل غياب مظلة تأمينية للعلاج نرى تواتر هذه الصورة من الكرامات مع اختلاف أماكنها وتعدد شخصيات مشايخها.

٥-٩ المعاونة على التأليف ومعرفة كل العلوم واللغات

في معظم مؤلفات الصوفيين نلمح في المقدمة أنهم مأمورون بالكتابة، وأنها إلهامات من الله وأنها كما عبر السُّهروردي "مواهب ربانية، ومنائح حقَّانية، استنزلها صفاء السرائر وخلوص الضمائر، فاستعصت بكنهها على الإشارة، وطفحت[٢٩٠] على العبارة."[٢٩١] ويصنع الصوفيون على العلم الدنيوي في منزلة متدنية قياسا إلى العلم اللّدني ويذكر إقبال القصة المعروفة في سيرة جلال الدين الرومي مع شمس الدين التبريزي، إذ جادله شمس الدين في جدوى الفلسفة والعلوم التي كان يعلمها جلال الدين. واشتد الجدال بينهم كل يفنّد صاحبه. فهاج شمس الدين وألقى نظرات على كتب جلال فإذا هي تحترق، وتبع جلال الدين شمس الدين فانقلب صوفيا إماما وكتب كتابه الخالد " المثنوي " وديوانه الرائع الذي نسبه إلى صاحبه فسمّاه " ديوان شمس تبريز "

ولقد لفت نظري عبارة لابن عربي وردت في رسالة فريدة له أسماها "الولاية والنبوة" قال في ثناياها "إن هذه المسألة التي أذكرها هي السبب الذي حرّك دعاوينا إلى إبراز هذا الكتاب إلى الوجود الحسي"[٢٩٢] وكأن للكتاب لديه وجودين هما :معنويّ قَبْليّ وحسيّ بَعْديّ والوجود المعنوي مخصوص بذاته بينما الوجود الحسي مخصوص بالأغيار، وهذا يجعل للكتاب تاريخاً قبْلياً لايُدرك فحواه.

وفي تقسيم ابن عربي للعلوم يرى أنها على ثلاث مراتب:علم العقل وعلم الأحوال و"العلم الثالث علوم الأسرار؛ وهو العلم الذي فوق طور العقل وهو علم نَفْث روح القدس في الرُّوع، يختص به النبي والولي "[٢٩٣]

ويعلق أحمد الطيب على مقولة ابن عربى حول أقوال أصحاب المكاشفات "من الجدير بالذكر أن ابن عربى لايلزم الناس بما يقوله أصحاب المكاشفات ولكن يحذرهم من تكذيبهم بغير دليل أو برهان"[٢٩٤]

وذكر المناوى أن إبراهيم الدسوقى كان يتكلم بجميع اللغات، ويعرف لغات الوحش والطير،وقد علق عامر النجار على هذه المقولة "لقد حامت الأسطورة حول الدسوقى منذ مولده حتى وفاته"[٢٩٥] وهذه العلوم ليست علوماً مكتسبة بل هى كما عبر ابن عربي:"العلم الصحيح لا يعطيه الفكر ولا ما قررته العقلاء من حيث أفكارهم، إنما هو مايقذفه الله فى قلب العالِم، وهو نور إلهى يختص به من يشاء من عباده من ملَكٍ ورسولٍ ونبى وولى ومؤمن، ومَن لا كشف له لا علم له."[٢٩٦] وقد ذكر السبكى فى إشارة واضحة إلى أن المؤلفات ليست من الولى بل هى من الله "فقد اتفق النَّقلة على أن عمْر الشافعى رحمه الله لايفى بعُشر ما أبرزه من التصانيف"[٢٩٧]

ولو نظرنا إلى عناوين الكتب والرسائل والدواوين التى ألفها الأولياء لوجدنا ألفاظاً دالة على ذلك مثل: الفتوحات؛ الوهبيات؛ التجليات، المِنح؛ الإشراقات؛ كشف المحجوب؛ المواقف؛ المخاطبات؛ الإلهامات؛ الرؤى؛ البركات، الأسرار الربانية، الفيوضات الرحمانية،وغير ذلك مما يوحى بالقصد من عَنْونة مؤلفاتهم بما يخالف عناوين المؤلفات الشرعية. وقد قال أبويزيد البَسطامي:"علمى من الله إلهامات من عنده"[٢٩٨]

وقد حكى عبدالمقصود محمد سالم فى كتابه راحة الأرواح "كنت أرى فيما يرى النائم أهوالا قاسية مثل الأبواب المغلقة والطرق المسدودة فإذا بى بعد تلاوتها[صلوات النسب الشريف] بهذا النص الذى ماكنت أعرفه فى اليقظة أرتفع عن الأرض فى الهواء"[٢٩٩]

وعندما سمع عزالدين بن عبدالسلام الشيخ أبا الحسن الشاذلى يتكلم فى مجلسه بعد كبار علماء العصر "خرج إلى خارج الخيمة من المجلس وقال اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله." وهذا إن صح فإن ابن عبدالسلام يرى أن علم الشاذلى علم وَهْبى من الله؛أوعلى حد قول الشيخ عبد الحليم محمود:"الكلام الغريب لأنه ليس مأخوذاً من الكتب ولا محبراً فى الأسفار،القريب العهد من الله لأنه إلهام الساعة، ووحى الزمان الراهن"[٣٠٠]

ويبدو أن هذا الاتجاه نحو اضفاء القداسة على المؤلفات قد تجاوز المؤلفات الدينية الى كتب المؤرخين فقد ذكر المقدسى فى مقدمة كتابه "دول الاسلام الشريفة البهية" أنه فى احدى الليالى "وأنا مستلقٍ على فراشي، تفكرت فى (...)فألهمنى الله تعالى من ذلك أشياء فيها مواعظ واعتبار لأولى البصائر والأبصار؛ فخطر لى جمعها وتسطيرها"[٣٠١]

وتأخذ هذه المؤلفات طابع القداسة من خلال الكرامات التى هى أشبه بالإعلانات عن هذه المؤلفات التى تُرَوِّج لها بين المريدين، وقد قرأت على آخر ورقة من مخطوط تنبيه الغافلين "قال الفقيه أبوالليث وهو نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، وهو مشهور بالفقه والكنية فلذلك ذكر بهما،وقيل سماه رسول الله فقيهاً، وروى أنه لما

وصّف كتابه المسمى تنبيه الغافلين عرضه على روضة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبات الليلة فرأى رسول الله فناوله كتابه فقال: خذ كتابك يا فقيه، فانتبه فوجد فيه مواضع ممحوة"[٣٠٢]

وهى كرامة تعضد من موقف الفقيه بين أقرانه وتجعل لفتاويه تأثيراً قوياً يفتقده خصومه.

وقد صاحبت الكرامات كتاب إحياء علوم الدين للغزالى منذ كتابته فقد روى الشيخ ابن حرزهم أنه اعتكف على قراءة إحياء علوم الدين للغزالى فى بيت مدة عام، فجردت المسائل التى تنتقد عليه وعزمت على حرق الكتاب، فلما نمت رأيت قائلاً يقول: جردوه واضربوه حدّ الفِرية، فضُربت ثمانين سوطاً فلما استيقظت جعلت أقلب ظهرى فوجدت به ألماً شديدا من ذلك الضرب، فتبت إلى الله تعالى مما اعتقدت ثم بعد ذلك تأملت تلك المسائل فوجدتها موافقة للكتاب والسنة."[٣٠٣]

وقد حكى لى شوقى بشير[٣٠٤] أنه بعد أن فرغ من تأليف كتابه عن الشيخ عبدالقادر الجيلانى نام فى ليلته فرأى الشيخ عبدالقادر يسلم عليه ويحتضنه "وأعطانى ثلاث طاقيات اثنتين منهم بِيض والثالثة خضراء، فاستيقظت وفرحت لأنى أدركت أن الكتاب أعجبه ووافق عليه"

وقد شُغل المتصوفة بالعلوم الوهبية التى لا تتأتى للعبد إلا بعد موت نفسه؛ فالدرقاوى يحكى عن هذه العلوم "فوردت إلى حينئذ علوم وهبية كأمواج البحر، حتى لو اجتمع علماء المشرق وعلماء المغرب وسألنى كل منهم عن شئ لأجبت كل واحد عما سأل، ولم نفتقر إلى ما نقول له،إذ صرتُ والله كالمصباح"[٣٠٥]

ومن الكرامات الشفهية التى قمت بتجميعها فى هذه المجال:

يَروى محمود عبد الوهاب أحمد (٢٢ سنة) "من الكرامات الواضحة فى الشيخ جاد أبو غاى أنه فى يوم من الأيام وهو بيكتب قصائد فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم وآل البيت وداخل حشو القصائد بيكون ذكر السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها ابنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

السيدة فاطمة جاءته فى المنام وبتعاتبه وبتلومه: لماذا خصصت جميع آل البيت بمديحك إلا أنا؟ فلماذا لا تخصنا بقصيدك؟وهذا ما حدث كما يحكوه وكما يحكيه لنا الشيخ جاد أبو غاى فصحى من منامه أى قبل الفجر، فصحى من منامه وكتب القصيدة قبل أن يفيق من الهيمنة بتاعة الحادثة أو الحلم أو الرؤيا ديّه فكتب القصيدة بتاعته:

يا بضعة المختارْيا فاطمة الزهرا

زوجك على الكرارْ أنْعِمْ به صهرا

إلى آخر القصيدة. والقصيدة ديه فيها حاجات تخلى جسم الإنسان يقشعرّ من هيبة القصيدة لأنها بتصدر عن إلهام أو وحى أعلى من عقل البشر لأنها بتوحى بأشياء جميلة وأتمنى فى يوم من الأيام تسمعها." [٣٠٦]والراوى هنا يصف ما يحس به تجاه القصيدة التى كُتبت بالأمر من صاحبتها؛ أى أن هذه الكرامات كانت دافعاً إيجابيا نحو التأليف والمناقشة.

٥-١٠ مصاحبة الأنوار والغمام للولي

يحيط النص الكراماتى الشيخ بهالة من التقديس والإجلال لدرجة

تجعله منفرداً بين المريدين فالغمام يصاحبه ويأتمر بأمره والأنوار تحوط به حتى إن نصوصاً كراماتية تحكى عن مريدين سقطوا فاقدى الوعى لحظة رؤيتهم للشيخ فيحكى أحدهم: "صليت خلف الشيخ أبى العباس[٣٠٧] فشهدت الأنوار ملأت بدنه، وانبثقت من وجوده حتى أنى لم أستطع النظر إليه."[٣٠٨] هذه الرؤية هى حالة روحية تنتاب المريد فيحكى عما شاهده أو تخيله ويأتى النص الكراماتى معبراً عن هذه الرؤية.

فقد "كان شيبان الراعى إذا أجنب وليس عنده ماء دعا ربه؛ فجاءت سحابة، فأظلت،فاغتسل[٣٠٩]" وهذه الكرامة يجب أن تفهم فى الإطار الجغرافى الذى حدثت فيه فغالباً تحدث أمثال هذه الكرامات فى الصحراء حيث تتحول الغمامة إلى شئ غير مألوف وخارق، وهنا يجب أن نعرف دور المكان فى الكرامة، وكذلك تسخير السحاب طوع إرادة الولى كيفما شاء.وقد لحظ " Richard Gramlich أن المكان والزمان قلّما يذكران فى الكرامات إذ يُتوقع من المستمع أن يعرف ذلك"[٣١٠] وهذا الرأى خاطئ حيث يخالف ماورد إلينا من نصوص كراماتية تهتم بالمكان وبوصف الجو الدرامى للحدث من خلال وصف الديكور المسرحى للحدث فى النص وربما لاتهتم بالزمان الظاهرى أو الغيْرى لأن الزمان له خصوصيته فى الكرامة على نحو ما سيأتى لاحقاً.

ويتحكم الولى فى النص الكراماتى فى الظواهر الطبيعية فقد حكى: "أن بعضهم كان يبيع المطر"[٣١١] وكما يتضح تلعب جغرافية المكان دوراً كبيراً فى توالى هذه الكرامات وأهميتها، فنزول المطر فى

بيئة جافة صحراوية يعد حدثاً نادراً لايأبه به من يعيشون تحت المطر ليل نهار، وظهور نور فى مكان مظلم يخطف الأبصار والبصائر.

٥-١١ إحياء الموتى وتكليمهم

يتعارض النص الكراماتى أحيانا مع النصوص القرآنية فإذا كان عيسى عليه السلام يحيى الموتى بإذن الله " فإن الولى قادر على إحياء الموتى أيضا، وهذا ما أطلقت عليه تقليد المعجزات ولكن يظل الولى من خلال هذا التفرد فى مكانة أقرب إلى منزلة الأنبياء وقد ورد الكثير من ذلك:

أ ـ إحياء البشر:

أورد اليافعى حكايات كثيرة فى إحياء الموتى فقد حكى عن أحدهم أنه "رأى ميتاً محمولاً يعرفه، فقال: من هذا الميت؟ فقيل فلان، وكان بين يديه طعام فأقسم بالله إنه لا يأكل من ذلك الطعام حتى يأتى ذلك الميت ويأكل معه، فحيى بإذن الله ثم أتى إليه فأكل"[٣١٢] وهذه الكرامة حكاها معاصره ابن كثير منسوبة إلى امرأة من الأنصار مات ابنها فدعت الله أن يحييه فقال الراوى وهو أنس بن مالك :"فكشف الثوب عن وجهه فما برحنا حتى أكلنا وأكل معنا"[٣١٣]وواضح تشابه الحكايتين مع اختلافات بسيطة تبعا لانفراد المبدع بأدواته الفنية وخياله الخصب ورؤيته للحدث وإن كان هنالك تشابه فى الأسلوب فمردّه إلى وجود نص أصلى يستمدون منه فيترك بصماته الأسلوبية على أسلوبهم.

ب ـ إحياء الحيوانات والطيور:

قال اليافعي:"إن محمد بن سعيد البصرى قال:بينما أنا أمشى فى بعض طريق البصرة إذ رأيت أعرابياً يسوق جملاً،فالتفتُّ فإذا

الجمل وقع ميتاً، ووقع الرجل والقتب،فمشيت ثم التفتُّ فإذا الأعرابى يقول:يامسبب كل سبب، ويا مأمول من طلب،رُدّ عليّ ماذهب، يحمل الرحل والقتب، وإذا الجمل قائم والرحل والقتب فوقه"[٢١٤] ونلاحظ أن هذه الكرامة قد سمّت الراوى بينما أغفلت اسم الأعرابى وهوأجدر بالتسمية كذلك فإن خيال الراوى مبدع هذه الحكاية قد ساعده على معرفة الدعاء المسجوع ولايخفى هذا الوقع الأسطورى فى بناء هذه الكرامة متغافلاً أنها تصطدم مع نص دينى واضح.

وتتطور الكرامة وفق مبدعها فالحيوانات والطيور تتحدث مع الولى الذى يعرف كل اللغات بحثاً عن التميز، فأحمد بن عطاء الروذبارى يقول:"كنت راكباً جملاً فغاصت رجلا الجمل، فقلت: جلّ الله، فقال الجمل: جلّ الله"[٢١٥]ويلحظ فى مثل هذه الكرامات عدم وجود شاهد.كما تكلم فرس أبى بكر المقابري.[٢١٦] وفى هذه الحكايات نرى كيف يسيطر الولى على جميع الكائنات، ومن ذلك أن الشيخ مفرج الدماميلى لما تكاثرت كراماته أحضرت عنده فراخ مشوية، فقال لها:طيري، فطارت أحياء بإذن الله"[٢١٧] وأرى أن ذلك يصنف تحت ما يسمى Fabel، ومن ذلك ماروى عن عبد القادر الجيلى وقد أحيا عظام دجاجة وحدأة ميتة[٢١٨] وغير ذلك من الخرافات أو المدسوسات.

بيد أننى أود أن أنبه إلى أن أدب الكرامة التعليمية يلجأ أحيانا إلى استكلام الحيوانات بحيث تأتى مقولات أقوالها معلمة الحكمة وخبرة الحياة للمتلقين وهذا ليس مقصورا على أدب الكرامة بل نجده فى الأدب الشعبى عموما؛ ويرى عبدالحميد يونس أنه "تروى

الحكايات الشعبية وسائل منوعة لاكتساب المعرفة بلغة الحيوان والطير ولعل أشهر هذه الوسائل هو الثعبان أو التنين"[٣١٩] وهذا يجعل الحكاية ذات غرض تعليمي يأخذ بأساليب التنوع ويعمل على توزيع أدوار الشخصيات والكائنات الحاكية.

٥-١٢ خلود الولي حتى بعد موته

تحقق هذه الكرامة عقدا متواصلاً بين المبدع والمتلقي فالنص الكراماتي لاينتهي عندوفاة الشيخ بل يبتدئ من جديد محققا الخلود الأبدي والتواصل الروائي بين الأجيال بحيث يتحول النص إلى فراغ لانهائي قابل للزياة والإضافة والمغايرة.

كان الشبلي يردد:

"قبور الورى تحت التراب، وللهوى

رجالٌ لهم تحت الثياب قبور"[٣٢٠]

وقد ذكرت Julia Gonnellaأن قبر الشيخ مصلّى عندما توجهت البلدية بالبلدوزر لهدمه توقف فجأة. وظل القبر مكانه حتى الآن.[٣٢١] وهذه القصة تكررت في بيروت حيث قررت الدولة توسيع سوق الطويلة التي تقع فيها زاوية الشيخ ابن عراق إلا أنه كما يحكي الشيخ طه الولي "الجرافة الضخمة التي استعملها مجلس الإنماء والإعمار لهدمها فيما يهدم من أسواق المدينة بغرض إعادة تخطيط هذه الأسواق، إن هذه الجرافة تعطلت مرّتين دون أن تفلح في إزالة هذه الزاوية وتقويض قبتها التي بنيت قبل نحو ٥٠٠ سنة في بداية العهد العثماني ببلادنا، فلقد طغى اهتمام الرأي العام البيروتي بهذه الزاوية واستعصائها علىالجرّافة وكذلك على ألغام الديناميت على

الاهتمام بأخبار الأزمة الوزارية وفلكها الذى تدور به الدولة اللبنانية."[٣٢٢]

"واستشير السيد رفيق الحريرى شخصيا حول هدم القبة الأثرية أو عدم هدمها، فزار المنطقة ميدانيا حيث هى وأمر ببقائها والحفاظ عليها".[٣٢٣]

ويحكى شاذلى بكرى أن الشيخ موسى "كذا مرة يقطع واير الكرّاكة٣٢٤ التى جات لهدمه"[٣٢٥]

ومثل هذه الكرامة يُحكى عن "الحاج علي" عندما هَمّ بعض أهل الشيخية بصعيد مصر فى حفر ضريحه لإخراج رفاته تمهيداً لبناء المسجد والمقام.

ومن الكرامات الشفهية المعاصرة ما رواه لى شاذلى بكرى أنه سمع أن "الشيخ سعيد ساكن جبانة[٣٢٦] الكلاحين لما توفى تأذت نفس المغسل من تغسيله لكترة الشقوق فى حسمه فقال للمغسل (غسِّل يا مغسل ولا تبالي[٣٢٧] فهذا من برد طوبه[٣٢٨] وسهر الليالي"[٣٢٩]

أى أن الولى يدافع عن نفسه ميتاً حسب الرواية.

قال"ابن عمر الإصطخري:رأيت أبا تراب النخشىٰ فى البادية قائماً، ميتاً،لايمسكه شئ."[٣٣٠] وعندما مات الربيع بن الخراش الذى كان قد أقسم ألايضحك حتى يعلم أهو فى الجنة أمٓ فى النار؟حكى أخوه ربعى "فإنهم لجلوس حوله إذ [٣٣١] طرح الثوب عن وجهه؛ فاستقبلهم وهو يضحك، فقال له أخوه ربعي: أبعد الموت حياة؟ قال نعم (...) فبلغ ذلك عائشة أم المؤمنين فقالت: أخو بنى عبس، رحمه الله؛ سمعت رسول الله يقول: يتكلم رجل من أمتى بعد الموت من خير

التابعين"[٢٣٢] وواضح أنه محاولة لإضفاء قدسية على كرامة إبداعية.

ويحكى القشيري:"سمعت أباعبدالله الشيرازى يقول:سمعت أحمد بن عطاء الروزارى يقول:مات الجريرى سنة الهبير، فجزت به بعد سنة فإذا هو مستند جالس وركبته إلى صدره، وهو مشير إلى الله بإصبعه."[٢٣٣]

وقد ساق الكلاباذى عدداً من الكرامات دلّل بها على حياة الولى بعد موته ومخاطبته لأهله وأصدقائه فإبراهيم بن شيبان يحكى عن أحد المريدين الذى مات عنه فكفنه وعندما كان يلحده تكلم معه فسأله إبراهيم"أحياة بعد الموت؟ فأجاب:أما علمت أن أحباءه لايموتون، ولكن ينقلون من دار إلى دار"[٢٣٤]

وقد حكى لى عبد النعيم عثمان "أن أحداً حكى له أن الشيخ أبو الحسن الشاذلى قبل أن يتوفى أوصى مريده حميثرا أنه سيتوفى عما قريب وعليه أن يغسله ويكفنه ثم يقبره وسيرى رجلاً ملثماً فى القبر سيتناول الجثمان ليوسّده وعلى حميثرا ألا يسأله عن هويته، فلما توفى فعل ماأمره وعندما تناول الرجل الملثم جثمان الشيخ لم يطق المريد صبراً فسأله عن هويته فكشف اللثام عن وجهه، فأبصره الشاذلى ذاته"

والعجيب أنّ النويرى يحكى كرامة مشابهة عن ابنة الشيخ أبى الحسن الشاذلى واسمها عريفة الخير وكانت مكفوفة البصر فماتت فأردف النويرى قائلا:"حدثنى من أثق به قال: حضرت فى دفن هذه الحرة الفاضلة بالإسكندرية، فلما حطت فى قبرها نزل بعض قرابتها ليلحدها، فطلع من القبر وهو مبتسم، فقال: لمّا كشفت عن وجهها

لألحدها التفتت إليّ ثم ضحكت؛ فقلت: ماهذا؟ فقالت: مما رأيت من إفضال الله تعالي، وأعرفك أنك تلحقني بعد ثلاثة أيام، فتوفى بعد ثلاثة أيام."[٣٢٥]

ذكر محمد أشرف على التهانوى الهندى فى "بزم جمشيد" أن والد الشاه ولى الله الدهلوي، ١٣٠٨هـ. كان يجيء إلى مزار قطب الدين بختيار كاكى رحمه الله (ت٦٣٤هـ) فخطر فى قلبه يوماً هل يحصل له علم بزيارتى إياه، فسمع من القبر شعراً معناه هكذا: احسبنى حيا مثل نفسك، إن كنتَ جئتَ بجسدك فإنى جئتك بالروح"[٣٣٦]

ويلجأ قطاع كبير من الشعب إلى الأضرحة تبركاً ولتحقيق أمنياتهم فالشيخ المقرون الذى مات منذ زمن "أخذ الأفراد ينذرون له النذور، ويؤدونها له فى حالة تحقيق مطالبهم، وتدعم الحكايات التى يرويها ويتناقلها الأفراد إلى أن الشيخ المقرون ظهر لأناس كثيرين بجلبابه الناصع البياض (...)يظهر ليلاً وبخاصة ليلة الجمعة "[٣٣٧] وقد أسهم النص الكراماتى فى تدعيم سلطة الولى بعد وفاته إذ سرعان ماتتناقل الروايات حول خلوده فى قبره، ومن ثم قدرته على قضاء الحوائج كما يؤمن العامة أو على الأقل قدرة الولي بعد موته أن يكون واسطة بين العبد وربه، ويشفع لدى الله تعالى لقضاء حوائج الناس.

وقد تتخذ هذه الحكايات وسيلة ضغط عند مريديه وذويه ضد منتقديه.ويروى أن والد إقبال " رأى قبل مولده حمامة بيضاء ناصعة تطير فتقع فى حجرة وتسكن إليه، وعبّرت الرؤيا أنه سيرزَق ابنا عظيم الجد والإقبال يعلو على الناس"[٣٣٨]

تروى السيدة شيمل عن قصة ولى سندى أخذ رجلاً "وربط عنقه بحجر الطاحونة ورماه فى نهر السند (Indus) وبعد فترة رُئِىَ الرجل راكباً بكل اطمئنان فوق حجر الطاحونة الذى يطوف مع تيار النهر."[٣٣٩] ويتضح هنا خلود الولى الغريق وتفوقه على الولى السندى الذى ودّ أن يقتله ولذلك ترى السيدة شيمل وجود خطورة فى أن تكون هناك هبات خارقة تستخدم لأغراض دنيئة ومبتذلة.

وقد نشر بالأهرام أن الشيخ صالح من مركز اهناسيا ببنى سويف "عندما حمل المشيعون نعشه فى طريقهم إلى المدافن سالكين إحدى الأراضى الزراعية، فجأة توقف النعش ثقل على حامليه، تبدل الأشخاص، حاولوا تحريكه لتغيير مساره. أبلغوا الشرطة، تم إرسال قوة برئاسة العقيد(...) لكنه فشل. أثبت هذه الواقعة فى محضر رسمى (...)استعان الضابط برجال الأمن لتحريك وتغيير مساره، وعندما حاول المأمور رفع الجثمان من مكانه فوجئ الأهالى بخلع كتفه اليمنى وكسر ذراعه!(...)قررت النيابة دفن الشيخ صالح فى المكان الذى توقف فيه داخل الأرض الزراعية وسط تكبيرات المشيعين ودهشة رجال النيابة والشرطة!!"[٣٤٠]

أى أن الولى يتحقق له مايريد حيا وبعد انتقاله إلى مثواه الأخير.

٥-١٣ إرهاصات الولى وهو جنين وفى المهد:

فى التراث الشيعى نجد أن الأئمة يتميزون عن سائر الناس بطقوس مصاحبة للميلاد وأحياناً سابقة عنه وهذا من الكرامات الممهدة للولي، وهى التى تجعل المغايرة سابقة للميلاد مما يوحى بالتنبؤ والانتظار، فالإمام جعفر الصادق يتحدث ساعة ميلاد ابنه

موسى أن امرأته حميدة أخبرته" أنه لما سقط رأته واضعاً يديه على الأرض، رافعاً رأسه يسبح الله ويهلله ويصلى على رسول الله (ص)، فأخبرتها أن تلك أمارة رسول الله وأمير المؤمنين وإمارة الإمام"[٣٤١] وقد طوّر الصوفيون هذه الكرامات فجاءت كطقوس لازمة لإقناع المريدين بالوليّ القادم

ويقول عبد القادر الجيلاني:

" أنا كنتُ قبل القبْلِ قطباً مُبَجّلاً
تطوفُ بى الأكوانُ، والربُّ سمّانى "[٣٤٢]

وكان عبد الخير بن عبد الرحيم القنائى يقول:"اطلع والدى فى عالم الكشف فرآني، فسماني كما رأى فى صفة الحال."[٣٤٣]

وتحت عنوان " ذِكر من حملته أمه أكثر من مدة الحمل " قصّض الدميرى أن سعيان بن حيان ولد لأربع سنين خلون فى بطن أمه، ومحمد بن عبد الله بن حسن الضحاك بن مزاحم ولد وهو ابن ستة عشر شهراً خلون فى بطن أمه ويحيى بن على بن جابر البغوى كذلك، وسلمان الضحاك ولد ابن سنتين خلتا فى بطن أمه " ومن عجب أن الدميرى لم يُنظر إليه كأديب ذى خيال واسع.

يحكى أبويزيد البسطامى قال:"حدثتنى أمى أنها كانت حاملةً بى فكان إذا قدم إليها القصعة من حلال امتدت يدها فأطالت؛ وإذا قدم إليها القصعة من حرام فلم تمتد"[٣٤٤]

وجاء فى مناقب السيدة عائشة المنوبية " وقد كانت سيدتى عائشة المنوبية وهى فى بطن أمها حُكى عنها أننا جربنا لها ثمانين كرامة؛ شهد منها أربعين كذا سيد من أهل العلم"[٣٤٥]

وتحكى القابلة التى أشرفت على ولادةالشيخ أبوالمجد الشرقاوى لحظة ميلاده:"أنه قد حصل لها خوف ورعب شديدان فحينما انفصل عن أمه خرج مستوراً بشئ يشبه البرنس بحيث إنه لم يظهر من أعضائه الشريفة شئ، ولم يعرف ما بداخل البرنس إن كان ذكرا أو أنثى، ثم أخرج من البرنس، وبعد مضى أربعين يوماً من ولادته سُمع يذكر اسم الله (حق) وكان يأتى أفعالاً تهتز لها القلوب وتحار فى إدراكها العقول"[٢٤٦]

وقد وظّف الشيخ محمد متولى الشعراوى الكرامات الصوفية المرهصة بمشيخته كما سنرى ذلك لاحقاً فى السيّر الذاتية.

إن النص الكراماتى هنا ممهد لظهور البطل على مسرح الأحداث، وغالبا ما تحكى هذه النصوص بعد شهرة الولى على أنها أحداث حدثت قبل ميلاده وغالبا تحكى من الأم وفى الأدب الشعبى يُصنع البطل قبل مولده وقد ذكر أحمد شمس الدين الحجاجى فى كتابه " مولد البطل " العديد من القصص والحكايات حول البطل المرجو والمنتظر ميلاده بحيث يركز الأدب الشعبى على تفرد البطل قبل وجوده بصفات تؤهله أن يكون، ويتلامس الأدب الشعبى مع الأدب الكراماتى فى هذه الخاصية فكلاهما يسعى لإقناع المتلقى بالبطل القادم.

٥-١٤ تحقيق النصر على الأعداء دون مقاومة

على مدى التاريخ العربى والإسلامى قامت حروب كثيرة ضد الأعداء وهم كُثُر لذا فإن الناس وجدوا فى الكرامة سلاحاً يقوى الهمم ويرفع من الروح المعنوية ويبشر بالنصر القريب وهذا جانب

إيجابى إلا أن لها جانباً سلبياً حينما يلجأ الناس من خلالها إلى تبرير هزائمهم وانكساراتهم.

وقد ذهب صابر عبد الدايم فى كتابه "الأدب الصوفي، اتجاهاته وخصائصه" إلى أن الكرامات الصوفية كانت عاملاً كبيراً فى قيام المتصوفين بالحث على الجهاد فى العصر المملوكى ضد المغول والصليبيين إذ "سيطر المتصوفون على الناس حيث تمكنت فى الناس عقيدة الكرامات لأولياء الصوفية."[٣٤٧]

يروى البدوى حسن محمد عواد، ٢٥ سنة: "أن الشيخ أبو الوفا الشرقاوى بيقولوا فى بداية الستينات أو فى حرب ١٩٧٣ مع إسرائيل إنهم بيدخلوا عليه يجدوا ثيابه فيها دم فبيسألوه "الدم ده من فين" فيقول إنه كان بيحارب فى إسرائيل. ومعروف أن مقره فى نجع حمادى وإسرائيل فين."[٣٤٨]

وهناك روايات كثيرة عن جهاد السيد البدوى ضد الصليبيين هذه الحكايات تهدف إلى مشاركة الولى الناس وقت الحاجة لاسيما فى الخروج للجهاد من جهة ومن جهة أخرى تشير إلى أن الحق فى صف من يقف معه الولي، وبهذا تكون الكرامة حثا للروح المعنوية وحفزا لقواهم ضد الأعداء.

٥-١٥ تحقيق الأمنيات للمريدين والمنكرين أيضاً

تقوم الكرامة هنا بدور إبداعى يجعل المتلقى طرفاً أساسياً فى الحكاية ولذلك فالراوية هنا ليس بمعزل عن مادة الرواية بل هو أحد أطرافها كمريد أو كشاهد أوكناقل بالتواتر وتبقى الدهشة مصاحبة للحكاية أينما تُروى .

وفي مثل هذه الكرامات يحقق المبدع انبساطاً ذاتياً للمتلقى الذى ينفعل لأحداث الحكاية وتعقيداتها منتظراً حدوث كرامة ما مغايرة لنواميس الطبيعة ومريحة تماماً للمتلقي الذى ينتظر تحقيق العدل مثلاً ضد ظالم أو إنقاذ المستجير وقد سُدت فى وجهه السبل فيأتى المدد محققاً للأمنيات مما يبعث فى نفس المتلقى الرضا والانبساط فيجد قاسماً مشتركاً بينه وبين النص الكراماتي.

وربما يكون هذا الشعور بالانبساط من العوامل التي ساعدت على تواتر النص وتجدده وبقائه دون الاندثار.

روى أبو عبد الله الجلاء" خرجت إلى شط نيل مصر، فرأيت امرأة تبكى وتصرخ فأدركها ذو النون، فقال لها: مالك تبكين ؟ فقالت: كان ولدى وقرة عينى على صدري، فخرج تمساح فاستلب منى ولدي. قال فأقبل ذو النون على صلاته، وصلى ركعتين، ودعا بدعوات، فإذا التمساح قد خرج من النيل والولد معه ودفعه إلى أمه، قال أبو عبدالله فأخذته وأنا كنت أرى "[٣٤٩] وهذه الكرامة تصنف تحت Maerchen فالتمساح يخرج من البحر، ويخطف الطفل، ويأتى المخلص فيُخرج التمساح والولد معه دون أى أذى، ودفعه إلى أمه؛ ولم يوضح الراوى مَن الفاعل فى دَفْعه ؟ أهو ذو النون أم التمساح ذاته ؟ وربما كان الاحتمال الأخير أقوى حتى تتم الأسطورة، وكأن الراوى قد أحس أن الشك قد أخذ بعقل المتلقى فود أن يطرده فقال: "وأنا كنت أرى " وهيهات !! وهذا النص له مشابه عند الشعرانى الذى نجد نصه متكاملا من حيث البنية والسّرد، وترد أنّا مارى شيمل ظهور هذه الحكايات المتعلقة بالتماسيح إلى البلدان

التى بها الأنهار كمصر وباكستان وترى أن أصل هذه الكرامات ما روى عن ذى النون المصرى (ت ٨٥٩)؛ وفى قصة الشعرانى نجد أن الشيخ الفرجل يأمر والد الفتاة التى خطفها التمساح أن يتوجه إلى مكان الاختطاف وينادى على التمساح أن يأتى للشيخ، ويخرج التمساح طائعا حتى يصل إلى باب الشيخ الذى يأمر الحداد أن يخلع أسنان التمساح كلها، ويأمر التمساح أن يرد الابنة فيخرجها التمساح حيّة تتعجب مما حدث ويحذر الشيخ التمساح من معاودة ذلك طالما هو حيّ، فاغرورقت عينا التمساح بالدموع ومشى نحو النهر باكيا ، وفى هذا ابداع لايُنكر.

ويحكى المهندس عبدالحميد داود الذى كان مفتشاً لرى قنا سنة ١٩٤٧ وقد نُقل إليها مغضوباً عليه، وكان لايؤمن بالكرامات لكنه رأى رؤيا فى المنام: أن شخصاً يأمره أن يذهب إلى مقام السيد عبدالرحيم القنائى وسيجد شخصاً عليه أن يعطيه عشرة قروش، فانتبه من نومه وتوجه إلى المقام "فإذا بى أجد نفس الشخص الذى رأيته مناماً (...) وفاجأنى هذا الشخص وقال لي: انت اللى رايح تدفع العشرة قروش ؟ قلت: نعم. ثم دفعت له العشرة قروش وخرجت."[٣٥٠] ونُقل بعد ذلك فوراً.

وعبدالحميد السيد يحكى أن ضائقة ألمت به فجاءه [السيد عبد الرحيم القنائي] فى المنام وعلمه دعاء كشف الله به عنه الضر[٣٥١]

وإبراهيم بن أدهم يحقق أمنية أصدقائه فى أن يأكلوا لحماً مشوياً فى طريقهم إلى الحج[٣٥٢]

وفى قصة مشابهة نجد أن الحلاج فى طريقه من واسط إلى

بغداد يتمنى أصحابه فجأة أكل الحلوى فيدعو الله أن يحضرها لهم على نحو ما يحكى الحلواني"ثم مال عن الطريق مقدار ميل فرأينا هناك قطعاً من الحلاوة الملونة فأكلنا ولم يأكل منه، فلما استوفينا ولرجعنا خطر ببالى سوء ظن بحاله وكنت لا أقطع النظر عن ذلك المكان وحافظته أحوط ما يحافظ مثله.ثم عدلت عن الطريق للطهارة وهم ذاهبون، ورجعت إلى المكان فلم أر شيئا، فصليت ركعتين وقلت: اللهم خلصنى من هذه التهمة الدنية؛ فهتف بى هاتف: ياهذا أكلتم الحلاوة على جبل قاف وتطلب القطع ههنا، أحسن همك، فما هذا الشيخ إلا ملك الدنيا والآخرة"[٣٥٣]

والمحلل لهذه الرواية يجد أن الحلوانى يشك فى تدبير الشيخ لهذه الكرامة فيحفظ المكان بيد أنه يفاجأ باختفاء المكان وربما يقال إنه ضله لكن الهاتف يشرح له بُعد المكان عنه فالمكان فى جبل قاف ذلك الجبل الذى لايدخله سوى الأولياء وهيهات للحلوانى أن يعرج نحوه دون الحلاج والكرامة استوفت هنا عناصر القصة التقليدية شخوصاً وعقدة وحلاً واستطاع الراوى أن يشوق المتلقى نحو تتمة حكايته وتوالى عقدها.

ويحكى الشيخ أحمد عبدالرحيم البشلاوى أنه كان فى معية الشيخ احمد الطيب الحسانى وجمع من المريدين يجتازون الصحراء في شهر رمضان ولاماء معهم ولا طعام والحر شديد وعندما يحين موعد الإفطار يأمرهم الشيخ بالنزول والإتجاه نحو الغرب وألا ينظر أحدهم إلى الشرق (جهة القبلة) ثم قال لهم "الآن اتجهوا إلى جهة الشرق، فاستداروا فإذامائدة بها أطيب الطعام وألذ الشراب فطعموا وشربوا مالم يطعموا وما لم يشربوا مثله من قبل"[٣٥٤]

وكان الشيخ محمد الحفنى "يتوضأ فورد عليه وارد، فأخذ فردة قُبقابه فرمى بها، وهو داخل الخلوة فذهبت فى الهواء وليس فى الخلوة طاق تخرج منها، وقال لخادمه: خذ هذه الفردة عندك حتى تأتيها أختها، فبعد زمان جاء بها رجل من الشام مع جملة هدية، وقال: جزاك الله عني خيراً؛ إن اللص لما جلس على صدرى ليذبحنى قلت فى نفسي: ياسيدى محمد ياحنفي، فجاءته فردة القبقاب فى صدره فانقلب مغمى عليه ونجانى الله عز وجل بفضل بركتك."[٢٥٥] والكرامة هنا قصة مكتملة الجوانب؛ والخيال يغلف أجواءها والراوى يؤخر كشف الغموض الموجود فى هذا الوارد غير مفهوم، لكن يأتى الحل فى النهاية لتتضح جوانب القصة.

ويحكى الشيخ ماضى أبوالعزايم أنه كان فى مجلس شيخه أبى الحسن الشاذلى فقال إن الشيخ يحفظ مريديه فى حضوره وغيابه فاعترض فى نفسه، وفى الغد جلس على الكورنيش فى الإسكندرية فراودته امرأة جميلة عن نفسها فامتنع وكاد لولا أن أبصر يد شيخه فانصرف وعندما رآه الشيخ قال له:"اعترضت عليّ يا ماضي، أين كانت يدى منك اليوم لما أردت أن تقع فى المعصية ؟ يا ماضي: مَن لم يكن كذلك فليس بشيخ "[٢٥٦] وواضح أن هذه الكرامة تقليد لمعجزة سيدنا يوسف حينما همّ بالمعصية مع امرأة العزيز {لولا أن رأى برهان ربه}[٢٥٧] قد ذكر بعض المفسرين أنه رأى يد أبيه يعقوب.

وعندما سُرقت عجلة ذهب صاحبها كما يروى شاذلى بكرى إلى مقام الشيخ ثابت وهدّد قائلاً"إذا ما جات سأهدمك وإذا رجعت حَ ادْبحها أمام المقام؛ ورجعت العجلة وذبحها لله عند الضريح"[٢٥٨]

وذكر عبد العزيز الدباغ أن شيخه أحمد بن المبارك قال له: "حاسبْنى بين يدى الله عز وجل إن كنت لاأنتبه لك فى الساعة الواحدة خمسمائة مرة "[٣٥٩]

ولا يقتصر الأمر فى الاعتقاد بالأحياء بل بالأضرحة وقد أرجع عبدالرحيم تمّام انتشار ظاهرة الطب الشعبى فى بعض قرى صعيد مصر إلى "ضآلة المؤسسات الخدمية بالقرى وعدم وجود الكهرباء والمياه النقية وضعف المستوى الاقتصادى وانتشار الأمية والعزلة الفيزيقية ووجود الأضرحة "[٣٦٠]

إلا أن هذه الظواهر ليست موجودة فى البيئات الريفية أو الرعوية بل فى البيئات الحضرية فى معظم البذان الإسلامية لذا فإن حصرها فى بيئة معينة يخالفه الواقع.

٥-١٦ اختيار توقيت الموت وإرهاصات موته:

يبدو الموت فى النص الكراماتى طريقاً مخلِّصا من هَمّ الشوق إلى الله ولذا فإن مسرح الأحداث مجهز لاستقبال الموت، وغالبا ما تنتهى الكرامة بحدث مفاجئ يكوّن الموت إحدى دعائمه بحيث نرى مسرح الأحداث وقد ملئ بالموتى وكأننا نقرأ نهاية مسرحية لشكسبير مثلاً.

فأبوالقاسم الجنيد يلتقى بشاب فى الصحراء يبادره:" مرحباً بك يا أبالقاسم " فيتعجب من معرفته لاسمه، ويطلب الشاب منه أن يغسله ويكفنه لأنه ميت عمّا قريب ثم أوصاه أن يذهب إلى درب الزعفران ببغداد ليقرئ أمه وابنه السلام، ثم يموت الشاب ويقوم الجنيد بما أوصاه به، وينادى للصلاة عليه فى الصحراء "وإذا

بجماعة قد أقبلوا من كل فج عميق كأنهم البدور،فصلينا عليه، ودفناه."[361]ثم يذهب الجنيدإلى درب الزعفران ويرى أطفالاً يلعبون " فنهض من بينهم غلام صغير السن، حسن الوجه، فصيح اللسان فقال:ياأباالقاسم لعلك جئت تخبرني بموت والدي؟ فتعجبت من كلام الغلام على صغر سنه ومكاشفته ثم سلم عليّ، وأخذ بيدى وأتى إلى باب دار وطرق الباب فخرجت لى عجوز عليها سيم الخير والصلاح فسلمت على وهى باكية العين حزينة القلب؛ ثم قالت: ياجنيد أين مات ولدي؟"[362] ثم " شهقت شهقة فارقت روحها الدنيا "[363] ثم "نظر الغلام إلى السماء وقال: إلهى وسيدى ومولاى لامع أبى أخذتنى ولا مع جدتى خلفتني؛ اللهم بهما ألحقني؛ ثم شهق شهقة فمات رحمة الله تعالى عليهم أجمعين، فأخذت فى غسلهما وتجهيزهما ودفنهما."[364]

الحكاية السابقة تظهر لنا توظيف الموت فى النص الكراماتى فالموت هو القاسم المشترك بين الشاب والأم والابن، والجنيد هو الشاهد الوحيد المشترك بين حالات الموت الثلاثة وقد جاءت الأحداث على النحو التالي:

الشاب	يتعرف	على الجنيد	[دون سابق معرفة]
الشاب	يشهق	ويموت	
الجنيد	يدفن	الشاب	
الطفل	يتعرف	على الجنيد	[دون سابق معرفة]
الأم	تتعرف	على الجنيد	[دون سابق معرفة].
الأم	تشهق	وتموت	

الطفل يشهق ويموت

الجنيد يدفن الأم والطفل

إذن الكرامة الأساسية هنا هى فعل الموت الاختيارى وإن صاحب الموت كرامة أخرى وهى التعرف دون سابق معرفة، ومجئ المخلوقات مجهولة الهوية للصلاة على الشاب فى البيداء إلا أن الموت يظل هو الذروة فى الحدث الحكائى.

وابن الفارض يحكى أنه بينما كان فى مكة سمع الشيخ البقال يناديه من مصر "ياعمر تعال إلينا إلى القاهرة، واحضر وفاتى وتجهيزى مع الجماعة، وصلّ عليّ، فأتيته مسرعا؛ فوجدته قد احتضر، فسلمت عليه وسلم على وودعني(...)[٣٦٥]

ومن الكرامات الشفهية ماحكاه لى نصر محمد الغنام عن الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر حيث طلب منه الرئيس [٣٦٦] أن يوحد مناهج كتب الدين للطلاب المسلمين والمسيحيين ولكنه رفض واعتكف فى منزله شهرين على حد قوله وطلبه السادات وألح عليه فخرج على مضض وذهب إلى مسجد الحسين "ووقف أمام المقام ومعه الحارس والسائق الذى سمع الإمام وهو يقول:

يامولانا الحسين أبلغ جدك عليه الصلاة والسلام أن يبلغ ربه أنى أود قبل أن يفتن الناس فى عهدى أن أُقبض إليه..ياالله ياالله ياالله

وأخذ يتمتم بأدعية كثيرة، ثم خرج من المسجد فقبَّل الحارسُ والسائقُ يده وقالا: لماذا ياмولانا ؟ ولم يجب.

وفى صبيحة اليوم الثالث كان قد توفى رحمه الله"[٣٦٧]

قال اليافعي"وحكى عن بعضهم أنه كان يسأل الله تعالى أن

يكرمه ويستره فقام ليلةً لإحيائها، فنظر إليه بعض أصحابه فرأى فوق رأسه قنديلاً معلقاً من النور يشعشع لناظريه، فقيل له فى ذلك فأنشد:

يا صاحبَ السرِّ إن السرّ قد ظهرا

ولا أريد حياةً بعد ما اشتهرا"[٣٦٨] ؟!

وقصص "ثم شهق شهقةً فمات"موجودة فى كتب التراث العربى فقد نُقل ان امرأة قُتل ولدها فأقبلت وقالت:

"يا جامعاً جامع الأحشاء والكبد

ياليت أمك لم تولد ولم تلد

ثم كبت عليه فشهقت شهقة وماتت فى لحظتها "[٣٦٩]

وكذلك القصة المنسوبة إلى ولد هارون الرشيد الذى زهد فى الدنيا وعمل طياناً وعرف ساعة موته [٣٧٠]وقد تنبأ الشيخ أحمد بن شرقاوى بوفاته وأنه سوف يموت بغتة فقد أثر عنه أنه قال فى ذلك:

" أتانى واردٌ يدعو حثيثا

ولاأدرى إلى أين انتهائي؟

أحبائى أودعكم بروحي

وأوصيكم بتقوى ذى العطاءِ

وقد أخبر أصفياءه وتلامذته ومريديه بذلك."[٣٧١]

وينقل نور على القفطى كرامة للشيخ شيث القفطى وقد رآه محمد بن على بن الغمر الإسنائى فى النوم يقول:

"أنبئكم ياأهلَ ودِّى بأن لى

ثمانين عاماً أردفت بثمان

ولم يــبق إلا هــمــفــوة أو صـــبـــابـــة
فـــجُــدْ يـــا إلـــهى مـــنك لى بـــأمـــان

قال الراوى (ابن الغمر):فأصبحت وجئت إلى الفقيه شيث وقصصت عليه الرؤيا؛ فقال: لى اليوم ثمان وثمانون سنة، وقد نعيت لى نفسي، ثم توفى بعدها"[٣٧٢]

وروى أن أبالحسن قال " حضرت جنازة ذى النون المصرى فرأيت الخفافيش تقع على نعشه وبدنه وتطير "[٣٧٣] وقال محمدبن زياد "لما مات ذو النون رأيت على جنازته طيوراً خضراء فلا أدرى أى شئ كان."[٣٧٤]

وقد روت لى Annemarie Schimmel أنها فى السبعينيات قد رأت قبيل الفجر أن سفير باكستان وامرأته كانا معها فى بستان جميل وبينما كانوا يمشون فى اتجاهٍ ما انحرف السفير إلى اتجاه آخر صوب نهر ونادت عليه محاولة اثناءه عن السير فى هذا الاتجاه لكنه مضى فى وجهته، وعندما أفاقت فى الصباح رنَّ هاتف المنزل ليعلن لها المستشار الثقافى الباكستاني نبأ وفاة سفير باكستان[٣٧٥].

وقد يحيا الولى بعد موته على قول أبى بكر أحمد بن على بن ثابت قال بلغنى المعروف بحامل كفنه (محمد بن يحيى أبوسعيد) توفى وغُسّل وكُفّن وصُلِّى عليه ودُفن فلما كان فى الليل جاء نباش فنبش عنه فلما حلّ أكفانه ليأخذها استوى قاعدا فخرج النباش هاربا منه فقام وحمل كفنه وخرج من القبر وجاء إلى منزله وأهله يبكون فدق الباب (...) ففتحوا وعاد حزنهم فرحا وسُمى من يومئذ حامل كفنه"[٣٧٦]

وقد تنبأت الحاجة زكية بموتها قبل سبعة أشهر؛ فقد ذكر الشيخ فارس أنه زار مقام الشيخ أبوالحسن الشاذلي وقابلها هناك وكانت الحاجة زكية هي أول من زار قبر الشيخ أبو الحسن الشاذلي في١٩٢٢، ومكثت بجواره وطلبت منه" أن ينتظر بعد العيد عشرين يوماً لأنها ستموت "[٢٧٧] إلا أنه كان مرتبطاً بأشياء أخرى، فغادر جبل حميثرا؛ وبعد عشرين يوماً ماتت إذن فالموت في النص الكراماتي اختيار.. والولي يحدد موته توقيتا ومكانا... ولذا فالمتلقي منبهر بالحدث المأساوي الذي تنتهي به الكرامات.

ورؤية الموت عندهم مختلفة فالولي إذا مات "انتقل إلى الضياء الأول حيث يشاهد مالم يكن يقدر على مشاهدته ويرتقي إلى معارج لم يكن بوسعه الوصول إليها وهو في مرابع الدنيا الفانية"[٢٧٨]

وفي توظيف الموت في الكرامات نلمح أنه لايأتي غالبا إلا في نهاية الحكاية حين يبلغ الحدث ذؤوته ليكون اختياراً وقربى إلى الله تعالى.

٥ – ١٧ تغيير جوهر الأشياء

في توظيف جلال الدين الرومي للكرامات في مثنوياته يتحدث عن المريد الذي اعترض على شيخه لأنه أبصره يشرب الخمر في حانة لكن الشيخ يأمره أن يتذوق الكأس، " فاقترب منها فرآها عسلاً صافياً"[٢٧٩] ولم يكتف الشيخ بذلك بل أمره:" اذهب والتمس لي خمراً (...) فدخل ذلك المريد إلى غرفة الدنان، وأخذ ـ من أجل الشيخ ـ يتذوق من كل دنّ ، فلم ير في كل غرف الدنان خمراً، فكل دنان النبيذ كانت قد غدت ممتلئةً بالعسل."[٢٨٠]

وتحكى زوجة الشيخ جمال السنهورى أنها لم تُقَبِّل فى حياتها يد أحد إلا يد أبيها [وكان تركياً] بيد أنها حينما قبلت يد الشيخ محمد عثمان البرهانى السودانى " أبصرت يد الشيخ وقد تحولت إلى صورة يد أبيها."[٢٨١] أى بيضاء.

ومن الكرامات الشفهية ما يرويه البدوى حسن محمد عواد "يقولوا الحريم: ان الشيخ سليم له مقام فى "هُوْ" والشيخ أحمد مقامه فى "فاو" وبين "هو" و"فاو" حوالى ١٠ أو ١٥ أو ٢٠ كم. بس ده على البرّ من هنا [شرق النيل] وده على البر من هنا [غرب النيل]. الشيخين دول حسب ما يقال كانوا بيقيدوا الدوم فى الشتاء، ثمر الدوم لحد ما يحمر يبقى جمر، وبيتبادلوه كالكرة يضربوه لبعض، ده يقول "خد يا شيخ سليم" والتانى يقول:خد يا شيخ أحمد".[٢٨٢] وتوضح هذه الكرامة الشفهية إلى مدى تأسر الحكاية ذهن المتلقى وتعمل على شحذ طاقة الإبداع لديه.

وحدث أبو النضر قال " كان إبراهيم بن أدهم يأخذ الرطب من شجرة البلوط "[٢٨٣] أى أن الإشياء تغدو فى صورة تخالف ماهيتها فما نراه خمراً ليس بخمر؛ وما نراه بلوطاً ليس بلوطاً وإنما كأنه هو بل نخيل يؤخذ منه الرطب وكأنه كان إرهاصاً بتحقيق ثورة الجينات وكل علوم الهندسة الوراثية فى عالمنا المعاصر.

وفى سجن الحلاج وقد قيّده السجان "ووضع فى عنقه سلسلة وأدخله بيتاً ضيقاً فقال له الحسين: لِمَ فعلتَ بى هذا؟ قال: كذا أُمرت، فقال له الحلاج:الآن أمنت منى قال: نعم؛ فتحرك الحلاج فتناثر الحديد عنه كالعجين وأشار بيده إلى الحائط فانفتح فيه باب..."[٢٨٤]

فكل الأشياء تفقد جوهرها وتغاير حقيقتها وكأن الحلاج يملك ذلك وقتما يود.وقد أوضحت هذه الكرامة مدى قدرة الحلاج على إرهاب معاديه وعلى تحقيق أمانيه؛ فمحبسه يغدو حديقة، وقيوده تتحول إلى عجين؛ والنار في يديه تصير برداً وسلاما وهذا يجعل المتلقى متلهفاً على إتمام بقية الحكاية، أعنى الكرامة

٥ – ١٨ مشاهدة الخضر ومصاحبته

يحدد الترمذى علامات الأولياء فى الظاهر وأن منها "محادثة الخضر الذى يطأ الأرض، برها وبحرها وسهلها وجبلها" [٣٨٥] ولذلك فقد اهتم الأولياء بلقاء الخضر الذى غدا أمنية يتكبدون المشاق من أجل تحقيقها ولايحظى بلقائه سوى من أُوتى حظاً سعيداً، ومنزلة عالية تؤهله لهذا المقام.

وقد ذكر عدد كبير من الصوفيين أنهم اجتمعوا به يقظةً؛ وأَقْسَم اليافعي" واللهِ لقد أخبرني غير واحدٍ من الأولياء أنهم اجتمعوا به: بل والله لقد أخبرونى أنه اجتمع بي، وسألنى عن شئ فأجبته ولم أعرفه."[٣٨٦]

وتتعدد الروايات عن لقاء الأولياء بالخضر مما يعد كرامة لهم يحكونها فى نصوص أدبية جديرة بالنقد والتحليل.[٣٨٧]

إن أشهر قصة فى هذا المجال هى ما حكاه ابن عربى فى الفتوحات المكية عن لقائه عدة مرات بالخضر[٣٨٨] وواضح ان ابن عربى ودّ أن يثبت قطبيته من خلال هذه الروايات.

ويقول الشيخ محمد محمد أبوخليل على لسان والده:

وكنتُ على حدّ الشريعةِ واقفاً

ولو أننى بالخضْر علمتُ للغيبِ"[٣٨٩]

ويُحكى عن السيد يوسف الحجاجي (١٨٤٢ ١٩١٤) "أنه كان يجتمع بالخضر رضي الله عنه، يعظه ويذكّره ويدعو له بالقبول والرضوان"[٣٩٠] وتتكرر هذه اللقاءات مع غيره من الأولياء الذين يجمعون على بقاء الخضر حياً على مر العصور.وقد أحصى النبهاني فى كتابه جامع كرامات الأولياء[٣٩١] عددا كبيراً من الأولياء الذين اجتمعوا بالخضر وحكوا عنه ووصفوا شكله وهيئته.وتهدف هذه الكرامات إلى إضفاء قدسية على الولى الذى يحظى بلقاء الخضر فقد يعلمه اسم الله الأعظم الذى إن سُئِل به أجاب أى يصبح الولى مستجاب الدعوة، كما يحقق بعداً آخر وهو أن الخضر هو خازن العلم اللدنى وفقاً للتفسيرات التى رأت أن الخضر هو العبد الصالح الذى أشارت إليه الآية الكريمة فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلّمْناهُ مِن لَدُنّا عِلْما"[٣٩٢] وقصته مع موسى عليه السلام وعلى هذا فلقاء الأولياء بالخضر اعتراف ضمنى بولايتهم وتمكينهم فى الأرض واطلاعهم على العلوم الوهبية التى تعد عند معظم الصوفيين أعلى منزلة من العلوم الشرعية.

٥ – ١٩ القدرة على الإخفاء والاختباء

يشير النص الكراماتى إلى خاصية قدرة الولى على إخفاء نفسه أو الغير وربما يتكئ النص هنا على التراث النبوى حيث معجزة الهجرة عندما خرج النبى صلى الله عليه وسلم من بيته والكفار حول البيت ولم يروه، والنص هنا يشير إلى تحكمه فى المكان وفى تشكيل صورته وفق ما يود وأظن أن هذه الحكايات تهدف إلى التركيز على قدرة الشيخ على جسده هو أى أن قدرته لاتتوقف على الغير بل تمتد

إلى الذات كواقعة خلوة الشيخ "أبوخليل" التى امتدت إليخمس سنوات، وفى ذات يوم توجهت إليه بنت أخته لتعطيه كمية الطعام القليلة "فدقت الباب دقاً عنيفاً متتابعاً فلم يجبها، هنا اقتحمت عليه خلوته فلم تجده بها؛ بل رأت أنها داخل بستان عظيم لاترى له حداً؛ وعمها ذهول؛ صارت تجرى معه هنا وهناك باحثةً عنه فى كل موضع وهى تنادي:ياخال، ياخال...

هنا حضر حضرته وسكّن روعها وأخذ منها ما معها وأمرها بعدم إفشاء السر"[٣٩٣]

"تصرفت فى جسمى فلى تكبيره
كذاك وتصغير يحيّر للّبّ "[٣٩٤]

وغير ذلك من الحكايات[٣٩٥]؛ وقد مرت بنا كرامات الشيخ عدى بن مسافر[٣٩٦].

٥ – ٢٠ استجابة دعائه

يصر الصوفيون على الاستشهاد بالحديث النبوى القائل "ربَّ أشعثَ أغبرَ لو أقسم على الله لأبرَّه."ويستنبطون منه أن الله تعالى قد تكفّضل بأوليائه يناصرهم فى كل وقت وحين، وحسب المفهوم الصوفى والشعبى فإن دعوة من ولى قد تضمن لك السعادة أو سوء الحظ ولذلك يقصد الناسُ الصالحين طلباً للتبرّك والدعاء فهم مكشوفو الحجاب مستجابو الدعوة، يدعون لك أو عليك حسب الحال الذى يكونون عليه لذا رأى البعض ضرورة عدم سؤل المجذوب الدعاء لتغير أحواله ومن هذه الكرامات ما يحكى عن "أبوالمغيث اليمني"لمّا "طلبت زوجه شرى عطر من السوق، فذهب ليشترى لها فكلم بعض

العطارين فى ذلك، فقال العطار: ماعندى شيء، فقال له أبوالمغيث: ماعندك شئ، فانعدم فى الحال جميع مافى دكان العطار، فجاء إلى الشيخ يشكو إليه، فاستعداه الشيخ وخاصمه بسبب إظهار ما ظهر له من الكرامة."[٣٩٧] والحكاية هنا تشير إلى هذه القدرة الكبيرة والسريعة أيضا التى يتحلى بها الولي، حيث تثبت مكانته فى الأرض، وقد حمل لنا النص كراهة الولى لإظهار كرامته.

وقد يكون المرء مستجاب الدعوة حين توسله بأحد الأولياء على نحو ما أوصى به الجيلانى صراحةً فى قوله:

" توسلْ بنا فى كلّ هولٍ وشدةٍ
أغيثك فى الأشياءِ طراً بهمتى "[٣٩٨]

وقد وُجد بالكرامات العديد من الدعوات المستجابة للأولياء مما يدعم سلطتهم ويقوى الإعتقاد بأنهم واصلون بالله تعالى لكن جانبا صغيرا من الكرامات حذر من أن يذهب الناس إلى الولى المجذوب ويسألوه الدعاء حيث هو فى حالة جذب وقد لا يكون صافى المزاج فيدعو على السائل بدلا من أن يدعو له وهنالك كرامات فى هذا المجال. ولا تتناقض تلك الكرامات مع ما سبقها فسواء كانت دعوة للسائل أو عليه فإن الدعاء مستجاب

"فالعظماء منهم لايعتبرون هذا الكشف ولايتصرفون ولايخبرون عن حقيقة شئ لم يؤمروا بالتكلم فيه بل يعدون ما يقع لهم من ذلك محنة ويتعوذون منه إذا هاجمهم "[٣٩٩]

ابن خلدون

"من لايؤمن بالكرامات فقد كفر."[٤٠٠]

أبوتراب

الفصل السادس

الزمن والرؤيا والتصوير فى الكرامات

٦- ١ الزمن فى الكرامة:

يخضع الزمن فى الكرامة إلى أبعاد متغيرة تشكل نسيجاً يبدو لأول وهلة متداخلاً إلا أنه سرعان ما تتشابك خطوطه مكوّنة أحادية الزمن/اللّازمن فى الكرامة؛

وقد أستطيع أن أقسم الأزمان فى الكرامة إلي:

٦- ١- ١ الزمن لدى الأغيار فى الكرامة. وينقسم بدوره إلي:

أ) الزمن الافتراضى لوقوع الكرامة تاريخياً.

ب) زمن التدوين.

جـ) زمن الحكْى.

د) زمن الزيادات والإضافات.

هـ) زمن التروية.

٦-١-٢ الزمن/الّلازمن فى داخل الكرامة: وينقسم بدوره إلي:

أ) الزمن الداخلى أو اللازمن فى حدوث الكرامة.

ب) الزمن المعتاد لحدوث الفعل الكراماتى دون واسطة المدد.

جـ) الّلازمن من خلال الّلامكان.

د) الّلازمن من خلال اللامعتاد.

وهذا التقسيم يتضح عند تحليل الكرامات إلا أننا نفتقد فى معظمها إلى تحديد زمنى مثبت، ولكن إذا كانت هناك إشارات تاريخية يجب أن تُستثمر لتحديد زمن الأغيار؛ أما الزمن الذاتى للكرامة ذاتها فهو زمن مطلق وخاص فهو زمن/الّلازمن؛ ولا يخضع لأى اعتبارات زمنية متعارف عليها وهذا ما يجب فنياً حدوثه، فالكرامة خرق للعادة؛ وإذا كان الزمن المتعارف عليه هو عادة فإن خرقه فى الكرامة هو إبداع يضفى على الحكاية جانبها الإبداعى التشويقى مما يجعل القلق والانتباه وليديْ خرقٌ كلّ من الزمان والمكان فى الكرامة.

٦-٢ الرؤيا والرؤية فى الكرامات:

أود أن أذكر أننى أستخدم مصطلح الرؤيا لما يشاهده المرء مناماً بينما يقتصر استخدامى لمصطلح الرؤية على ما يشاهده المرء يقظةً. والرؤيا لها دور كبير فى تهيئة الصوفى فهى سبيل من سُبُل الإلهام والهداية والنجدة، ويتكئ الصوفيون على أحاديث نبوية كثيرة وردت فى ذلك ومنها ما رواه ابن كثير أنه "قد صح فى الحديث: لم يبق من النبوة إلا المبشرات، وفى رواية:إلا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له."[٤٠١]

ولقد اشتط الصوفيون فى توظيف الرؤيا وشطحوا كثيراً حتى تلاشت الحدود بين الرؤيا والرؤية.

وهذا الاهتمام بالرؤيا ربما يعود إلى محاولة الإنسان منذ القِدم إلى معرفة كُنه الرؤيا وفك طلاسمها.[٤٠٢] ولا تبعد الرؤيا كثيراً عند الصوفيين عن الرؤية حيث "يمتاز الأولياء بأنهم يرون فى اليقظة ما يراه غيرهم فى النوم"[٤٠٣]

وقد كتب الوهرانى كتابه ""منامات الوهراني" الذى أوضح فيه رؤيته ليوم القيامة من خلال منام بناه على جملة "رأى فيما يرى النائم" وجاء قطعة أدبية إبداعية من أديب ينتمى للقرن السادس الهجري.[٤٠٤]

٦-٢-١ رؤية الله ومحادثته:

أبدع الصوفيون نصوصاً تتحدث عن كراماتهم وأحوالهم، وربما لأول مرة نجد نصوصاً كراماتية من نوع جديد تحمل بوح تجربة المواقف والمخاطبات، ولعلّ أهم نص فى هذا المجال ما خطه النفَّرى الذى أثر كثيراً فيمن جاء بعده من المبدعين ولاسيَّما فى الحركة الشعرية العربية الحديثة، ولأن النص الكراماتى لم ولن يُحد فقد وجدوا فيه ضالتهم فراحوا يبدعون الوصف فى لغة تشى بالحال دون التصريح، وراح النص الكراماتي يتطور معنى ومبنى؛ فلم يعد حكاية عن أمر خارق فحسب بل حكاية عن حال فابن عربى يقول "أوقفنى مَنْ أوقف كل وارث وعارف، وأمدنى بالأسرار الإلهية فى المشاهد والمواقف، وأثبتنى فى ديوان الكشف والظهور، وجعلنى أتردد بين سدرة المنتهى والبيت المعمور، وإذ هى درجة الصديقية."[٤٠٥]

وعلق حامد طاهر على هذا النص قائلاً:"يستعير [ابن عربى] أسلوب النفرى صاحب كتاب المواقف، ويخبرنا بأنه وقف فى موقف الصديقية وهو من أسمى المواقف الصوفية، وفيه تيقَّن من أن العلماء ورثة الأنبياء (...)لكن ابن عربى يقصر مصطلح العلماء على الصوفية وحدهم"[٤٠٦] ثم يمضى ابن عربى مهدئاً من شطحاته "إن آخر قدم يضعه الولى هو أول قدم يضعه النبى عليه السلام، فبدايات الأنبياء نهايات الصديقين والأولياء."[٤٠٧]وهذه الرؤية يستعيرها ابن عربى من الغزالى القائل: "كرامات الأولياء على التحقيق هى بدايات الأنبياء "[٤٠٨]حيث يبدو النصّان متشابهين.

وقد كُتبت أبحاث كثيرة حول الحلاج ومادعاه من رؤية الله أوحلوله فيه بيد أن هناك نصاً يبرر فيه الحلاج ما نُسب إليه "عن الشيخ ابراهيم بن عمران النيلى أنه قال:سمعت الحلاج يقول:النقطة أصل كل خط، والخط كله نقط مجتمعة؛ فلا غنى للخط عن النقطة، ولا للنقطة عن الخط.

وكل خط مستقيم أو منحرف فهو متحرك عن النقطة بعينها. وكل ما يقع عليه بصر أحد فهو نقطة بين نقطتين؛ وهذا دليل على تجلى الحق من كل ما يُشاهد، وترائيه عن كل ما يُعايَن.

ومن هذا قلتُ: ما رأيتُ شيئا إلا ورأيتُ الله فيه"[٤٠٩]ومن هذا النص نلمح تفسير رؤية الحلاج لله على أنها رمزية مجازية وإن كانت هنالك نصوص منسوبة إليه ترمى إلى خلاف ذلك.

وفى مكاشفات روزبهان بقلى ت٦٠٦هـ يقول "رأيت الله تبارك وتعالى على سطح بيتى بوصف العزة وجلال القدم رأيت كأن العالم

بأسره نور شعشعانى كثير عظيم، فنادانى من وسط النور بلسان الفارسية مرة"يا روزبهان ! اخترتك للولاية، واصطنعتك للمحبة، أنت وليى ومحبي، ولا تخف ولا تحزن فأنا أكمل وأعينك فى جميع مرادك"[٤١٠]

ويذكر شاه ولى الله صراحةً أنه رأى الله[٤١١] ويضيف "أطلعنى الله سبحانه على ما هو فاعل بي"[٤١٢]

والرؤية هنا رؤية إبداعية من خلال تجلى الحق فنظر الولى بنور الله إلى الحقائق فكشف كُنهها وعاين ماهيتها.

يتحدث أدونيس عن الرؤيا لدى المتصوفة:إن الرؤيا "معرفة استشراقية، فى معزل عن العقل "[٤١٣]

قال أبويزيد:"طلبت قلبى ليلة من الليالى فلم أجده ,فلما كان السّحَر سمعت قائلاً يقول:ياابايزيد ! هو ذا تطلب غيرنا؟!"[٤١٤]

وأظن أن رؤية الله وهى الغاية المنشودة عند المتصوفين جعلت النص الكراماتى مملوءا بالمغايرة قياسا إلى النصوص الأخرى، فإذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد عرج به فلماذا لايعرج بالأولياء إلى رؤية الله، ومحادثته، وقد اكتسب النص درجة عالية من الشفافية حيث الحوار والحب.

ويتحدث بشر الحافى عن سبب توبته: أنه أصاب فى الطريق كاغدة مكتوباً فيها اسم الله عز وجل قد وطئتها الأقدام؛ فأخذها واشترى بدرهم كان معه غالية فطيّب بها الكاغدة،وجعلها فى شق حائط؛ فرأى فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول له: يابشر طيَّبت اسمى لأطيبن اسمك فى الدنيا والآخرة"[٤١٥]

"يقول أبوموسى الدَّيْبُلِيَ يقول:سمعت أبا يزيد البسطامى ـ قدّس الله روحه ـ يقول: [رأيتُ ربّ العزة فى المنام فقلت: كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك وتعال"[٤١٦]]

والحسن البصرى يذكر انه رأى الله فى المنام وتحدث معه[٤١٧]

وقد وردت حكايات كثيرة فى هذا المجال في حلية الأولياء[٤١٨] لأبى نعيم الأصفهانى لاداعى لذكرها هنا لكثرتها.

والسرى يحكي "رأيت كأنى وقفت بين يدى الله تعالى فقال ياسرى (...)"[٤١٩]

يفسر ابن سيرين رؤية الله تعالى مناماً أن من " رآه واستطاع النظر إليه فإنه يكون فى دنياه مشهوراً، ويدخل الجنة لأن رؤية الحق تعالى لاينالها إلا أهل الجنة "[٤٢٠]

ويقول ابن خلدون: "الرؤيا مدرك من مدارك الغيب."[٤٢١]

ويروى ابن الزيات أن أباإبراهيم إسحق بن محمد الهزرجى أخبر "أنه رأى رب العزة في المنام فقال له: ياإسحاق:أنا آخذ بيد السخى إذا عثر، أنا آخذ بيد السخى إذا عثر، أنا آخذ بيد السخى إذا عثر. يقولها ثلاث مرات، فلما أصبح أبو إبراهيم تصدق بجميع ماله، وأعتق مماليكه."[٤٢٢]

والكرامة هنا تُتخذ تفسيراً لحدث غير مبرر، فالتصدق والعتق يصاحبهما استهجان من مجتمع دأب على غير ذلك، إلا أن أبا إبراهيم يُرجع الفعل إلى أمر إلهى لاراد له، فالحكاية هنا تهدف إلى تبرير الفعل، لكن الراوى حجب عن المتلقى ماهية الرؤية إما لأنه "إذا اتسعت الرؤية ضاقت العبارة "على حد قول النفري؛ أو لأن المتلقى

ليس على درجة تؤهله لمعرفة التفاصيل. ولا تخفى دلالة العدد الثلاثى فى تكرار الجملة الوعظية

يصور عبدالقادر الجيلانى معراجه إلى الله ولقاءه به فى عدة مواضع فى ديوانه:

وقــفتُ بــبــابِ الــله وحــدى مــوحّــداً

ونــوديتُ: يــاجــيلانيَ ادخل لحــضــرتي[٤٢٣]

ويعد كتاب النِفّري: المواقف والمخاطبات من أمتع ماكُتب نثراً فى هذا الصدد، فالنفرى يصرّح بما أُمر أن يصدع به:"وقال فيّ اكتب كيف تعرّفت إليكَ بمعرفة اليقين المكشوف واكتب كيف أشهدتك وكيف شهدت ليكون ذِكراً لك، وليكون ثبتاً لقلبك (...)"[٤٢٤]

وأبوسليمان الدارانى يناجى ربه "فنودى يا أباسليمان لاندخلك النار ولا نعذبك بها أبداً بل ندخلك الجنة"[٤٢٥]

ولا يخفى استناد هذه الرؤيا على حديث للنبى صلى الله عليه وسلم أخبر فيه عن رؤيته لله تعالى"نور أنَّى أراه" لكن هذه الرؤيا تؤكد بشكل غير مباشر أن الولى طالما يرى الله ويحادثه ويتلقى عنه؛ فكأنه قد تجاوز النقل أى أنه اكتسب درجة عالية من درجات الولاية قريبة ما من درجات النبوة.

٦-٢-٢ الهاتف[٤٢٦]

للهاتف حضور قوى فى التصوف فهو الإلهام الداخلى والصوت الخارجى المنقذ والمعين والمراقب وكونه صوتاً بلا جسم ساعد على إيجاد بُعد بينه وبين المتلقى فلا يُبحث عن كينونته بل يُبحث عن كُنه مقولته؛ وفى الكرامات نجد أن الهاتف مسئول عن تصحيح مسار

عدد كبير من الأولياء حيث إن سماعه يقلب حياتهم رأساً على عقب فيتركون حياة اللهو والمجون ويدخلون فى سلك الأولياء.

"سئل إبراهيم بن أدهم عن بدء أمره في التصوف كيف كان، فقال: كان أبى من ملوك خراسان، وكنت شاباً، فركبت إلى الصيد، فخرجت يوماً على دابة لى ومعى كلب، فأثرت أرنباً أو ثعلباً، فبينما أنا أطلبه إذ هتف بى هاتف لاأراه: ياإبراهيم، ألهذا خُلقت ؟ أم بهذا أُمرت؟ ففزعت ووقفت، ثم عدت فركضت الثانية، ففعل بى مثل ذلك ثلاث مرات، ثم هتف بى هاتف من قربوس السرج (أى مقدمه):والله ما لهذا خُلقتَ، ولا بهذا أُمرت!.

قال: فنزلت فصادفت راعيا يرعى الغنم لأبي، فأخذت جبته الصوف فلبستها،ودفعت إليه الفرس وما كان معي، وتوجهت إلى مكة."[٤٢٧]

ويلحظ هنا اتفاق هذا النص شكلا مع ماجرى مع النبى صلى الله عليه وسلم وقد دُعى ليلعب مع أقرانه صبياً فقال: مالهذا خلقت !، ثم حين مبعثه ونزول جبريل قائلا: اقرأ ثلاث مرات.. وأعنى أن النص يتفق مع نص تراثى بشكل واضح.

وقد صرح المرتعش بدور الهاتف عندما قال "لقد نوديتُ فى سري"[٤٢٨]

وقال أبويزيد البسطامي:"قعدت ليلة فى محرابى فمددت رجلي، فهتف بى هاتف من يجالس الملوك ينبغى أن يجالسهم بحسن الأدب"[٤٢٩] ومالك بن ديناريقول هممت أن أدعو على جار سوء "فهتف بى هاتف يامالك لاتدع عليه فإنه من أوليائنا"

وروى المقرى " أن بعض الصلحاء[٤٣٠] كان يتعبد بالليل وكان كثير التعبد، فهتف به هاتف، وقال له: ياهذا لو اطلع العالم على ما أعرفه فى فعلك لرجموك، فقال العابد: وعزتك وجلالك لو يعلم الناس ما أعرفه من كرمك ماعبدوك. فقال له: لا نقول وتقول؛ أنت عندنا مقبول"[٤٣١] يحرص النص على وجود السجع والجناس فى الحوار وهنا يفتقد النص مغايرة الأسلوب فى الحوار؛ فما يقال لا نجد فيه تباينا فى الأسلوب إذ أن الراوى يروى ما حدث بأسلوبه الإبداعي..

وقد كثرت الحكايات عن الهاتف المخاطِب والمخاطَب وغالباً ما يأتى الهاتف فى حالة النجدة من خطر حسى أو معنوي،فقد قال بنان البغدادي:"دخلت بادية تبوك فاستوحشت، فهتف بى هاتف: نقضت العهد ؟ لِمَ تستوحش ؟ أليس حبيبك معك؟[٤٣٢]

وقد استخدم عمرالخيام الهاتف فى رباعياته المشهورة، يقول فى إحداها:

"سمعتُ صوتاً هاتفاً فى السَّحَرْ
نادى من الغيبِ: غُفاةَ البشرْ
هُبوُّا املئوا كأسَ المُنى قبل أنْ
تملأ كأسَ العُمرِ كفُّ القدرْ[٤٣٣]"

والسرى السقطى سمع هاتفاً حاوره وهذا نادر إذ إن الهاتف غالباً ما يحكى جملة أو جملتين ويختفي، وقد يظهر مرة أخرى ليكرر الملفوظ ذاته؛ إلا أنه فى كرامة السرى حاوره حواراً طويلاً[٤٣٤]. ونلحظ دور الهاتف فى عدم وجود واسطة بين الولى وربه.

٦-٢-٣ رؤية النبى صلى الله عليه وسلم

تتحدث الكرامات الكثيرة عن رؤية الأولياء للنبى صلى الله عليه وسلم مناماً ويقظةً فهم يحادثونه وينقلون عنه الأحاديث التى لاتستند إلى أى مصدر مدوّن، فقد قال محمد بن منصور الطوسي "رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت: مرنى بشئ حتى ألزمه، قال: عليك باليقين "[٤٣٥]وذكر الشيخ خليفة:أنه كثيراً مايرى النبى صلى الله عليه وسلم يقظةً ومناماً "ورآه فى ليلة واحدة سبع عشرة مرة"[٤٣٦]

وقد اعتزل أبوحنيفة الناس "إلى أن رأى الرسول عليه السلام فى النوم يقول له: ينبغى أن تكون بين الخلق لأنك سبب إحياء سنتي"[٤٣٧] فكف عن العزلة.

وقد كثرت الكرامات حول أبى حنيفة مما أوجد كرامات مماثلة لأصحاب المذاهب الأخرى على نحو ماذكره ابن كثير فى كرامات أحمدبن حنبل[٤٣٨]. وربما يشير هذا إلى أن حرباً خفية دارت بين تابعى المذاهب.واتخذت من الكرامات سلاحاً ودعايةً فى آن واحد.

ويحكى شاه ولى الله أن الرسول صلى الله عليه وسلم برز له[٤٣٩]؛ وأخذ يسأله ويجيبه[٤٤٠]

وحكى ابن القاسم بن عثمان أنه سمع أباه يذكر:"أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام، قال:فقلت له: يارسول الله أبايعك على ان أدخل الجنة، قال: فبسط يده فبايعته، فما رأيت بناناً قط أحسن من بنانه."[٤٤١]وأبوالحسن الشاذلى يرى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو بتونس يقول له:ياعلى انتقل إلى الديار المصرية

تربى [!]فيها أربعين صديقاً."[٤٤٢]ويسافر إلى مصر.ويذكر فى موضع آخر "ووعدنى فى رؤياى له صلى الله عليه وسلم بسبعين كرامة."[٤٤٣] وكان يردد "لو غاب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ماعددت نفسى من الموحدين"[٤٤٤]

"فرأيته فى المنام وهو يقول:ياهذا نسيت الصلاة علينا"[٤٤٥]

والكرامة هنا تصديق للولى وتثبيت للكرامة حتى لايقدح أحد فيها، كما أنها توضح منزلة الولى وارتفاع مقامة مما يؤهله لرؤية النبى صلى الله عليه وسلم.

فقد حكيالشيخ فضل حق الخيرابادى (ت ١٢٧٨هـ = ١٨٦١م) فى مقدمة قصيدته فى رثاء أخيه الشهيد أن أخاه حدثه أنه "رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه فأكرمه إليه صلى الله عليه وسلم أجلسه عن يمينه بعدما ضمه إليه ورؤيا النبى صلى الله عليه وسلم بذلك صدق"[٤٤٦]

وقد ذكر ابن الفارض:

نسب أقرب فى شرع الهوى   بيننا من نسبٍ من أبوي

يشير إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم.له مناماً "يا عمر أنت منا، أنت منا"[٤٤٧]

وحكى اليافعي:"وقال بعضهم: رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت له:روى عنك أنك قلت: شيبتنى هود فمالذى شيبك منها، قصص الأنبياء وهلاك الأمم ؟ فقال:لا، ولكن قوله{فاستقم كما أمرت"}[٤٤٨]

ويستند النص هنا على الرسول صلى الله عليه وسلم فى تفسير حديث نبوى وحجته لاتستند إلى علم منقول بل الى علم موهوب كما يراه المتصوفة.

وقد التقى الشيخ أبوخليل بالرسول يقظةً كما ورد فى سيرته:

"وقـد قـابـلـت روحى لـروح رسـولـنـا
بـغـيـر وسـيط يـقـظـةً يـاأخـا الـقـلب
وصـرت أنـا المـأمـور والحب آمـري
أنـفـذ أمـراً شـاءه قـبـلـنـا ربي
ومـا هـو رؤيـا نـائم قـد رأيـتـهـا
ولـكـنـه أمـرٌ تحـقق بـالـقـرب"[449]

كما عبر حمدالله الداجوى عن ذلك أيضاً:

"قـالـوا يـزورك أحـمـد وتـزوره
قـلت الـفـضـائل لا تـفـارق مـنـزلهْ
إن زارنـى فـبـفـضـلـه أو زرته
فـلـفـضـله، فـالـفـضـل فى الحـالـيْن لهْ "[450]

ولم يبدأ الشيخ أبوالمعارف أحمد بن شرقاوى (١٨٣٤ ١٨٩٨) فى الدعوة للطريقة الخلوتية كخليفة للشيخ أحمد الخضيرى إلا بعد أن " رأى ذات ليلة حضرة المصطفى عليه الصلاة والسلام يأمره بالإرشاد، وينشر طريق السداد."[451] وقد روى الشيخ أحمد أبوالحسن " أنه رأى الرسول فسأله عن الفتوح، فأشار بيده إلى [بلدة] الكِلْح".[452]

وفى خطابات الشيخ محمد مجذوب إلى أصدقائه ونفر من أهله يذكر أنه يستشير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمور كثيرة بل إن الصدّيق بن الأمين يطلب منه ذلك كما ورد فى رده عليه"عرضنا ذات يوم عليه (صلوات الله عليه) حالكم؛ فقال: جزاه الله عنا خيراً

هـو أهـله؛ داعـيـاً لك غـفـر الـلـه له، وقل له:أبـشـر وطب نـفـسـاً، وقـرّ عيناً،واحمد الله يقيناً، وبشرني الهاتف عليه السلام أنك قد كُتبت من الزائرين، وستزور إن شاء الله"[453] وعندما يستشيره حمد الأمين فيمن يتزوج ابنته يجيبه الشيخ "وقد فعلنا وظهرت الإشارة من حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم للأخ الطيب، وامتثلنا ورضينا وهو قادم إليكم بجميع أُهبته"[454]

وقد حكى مكفرسون في كتابه "الموالد في مصر" أنه سمع أن الشيخ عبدالرحيم القناوى حاول أن يحج لكن ناقته ماتت في الطريق فعاد ليموت في قنا وقبيل وفاته جاءه النبي صلى الله عليه وسلم وحياه قائلاً"لقد بذلت كل الجهد الذي يستطيع بشر أن يبذله وأكثر لتأتي إلي لكنك لم تستطع لذلك فإنني جئتُ إليك لأباركك"[455] وهذا يجعل كرامة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم كرامة متوالية لدى الأولياء بل إنها ربما كانت أكثر الكرامات شيوعا.

ويتخذ النص الكراماتي من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم سلاحا ضد الخصوم وحجة ضد المنتقدين وإضافة علم لم يرد في النقول.

وقد شُغل العالم الإسلامي بورقة كانت تُصَوّر من متلقيها ثلاثين نسخة بالأمر وتوزع وهي ـعلى مازعموا توصية من الشيخ أحمد حامل مفاتيح حرم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مشارق الأرض ومغاربها ويحكي فيها رؤيا رآها للنبي صلى الله عليه وسلم تبشر بقرب يوم القيامة وتحذر من فساد المجتمع المعاصر وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له "إذا قام أحد الناس بنشر هذه الوصية

فسيحظى بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويحصل على الرزق كما حدث مع أحدهم الذى قام بنشرها "فرزقه الله بخمسة وعشرين ألف روبية[٤٥٦]" وآخر كسب "فى صفقة تجارية تسعين ألف دينار بحريني"، وتحذر من عدم التصوير ورميها ومن يفعل ذلك يكون آثماً ويفقد ابنه أو يلقيى مصرع فى حادث سيارة وتختتم بالتأكيد على أن "ماسبق هو كله صدق وليس هواجس أو وسواس"

والورقة ملأى بالأخطاء المطبعية والنحوية والتناقضات فمرة يطلب تصويرها وتوزيعها ثلاثين ومرة وفى النهاية يطلب تصويرها خمساً وعشرين نسخة.

والعجيب أن هذه الورقة تخطت معظم الدول العربية بل تُرجمت إلى اللغة الفارسية والأردية والتركية وربما غيرها وصُورت تصويراً لا يُحصى طمعاً أو خوفاً، والطريف أننى رأيتُ بعضهم يصورها على أجهزة التصوير الحكومية ولم يدر بخلده أنه يستغل هذه الماكينة فى غرض خاص به بعيداً عن مصالح العمل.

بيد أن هذا يلقى لنا الضوء على مدى وقْع رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم على المسلمين من جهة ومن الإيمان بالكرامات من جهة أخرى.

٦-٢-٤ رؤية آل البيت والأولياء:

وفقاً للمنظور الصوفي يراقب الشيخ مريديه من بُعد، ويشعرون بهذه المراقبة من خلال الرؤيا التى تكون تثبيتا لهم أو محاكمةً لهم أيضاً؛ وهى السبيل الوحيد فى بعض الطرق للترقى والوصول إلى منزلة أعلي؛ ففى الطريقة الخلوتية مثلاً يرى المريد رؤيا فيذهب

ليقصها على شيخه الذى يطرق ثم يفسرها له ويمنحه اسماً جديداً فإن كان فى الاسم الأول مثلاً يُمنح الاسم الثانى وهلم جرا.

وقد ذكرت Valerie J. Hoffman فى كتابها Sufism, Mystics and Saints in Modern Egypt أن " الشيخ محمد الطيب كان يصحح رؤى مريديه عندما يقصونها عليه "[٤٥٧]

وقد حكى عزالدين الأصفهانى قال:"كنت أجتمع بسيدى أحمد الرفاعى فى المنام كثيراً فيأمرنى وينهانى ويربيني، فقال لى يوما: لست أنا بشيخك الذى يفتح على يديه، وإنما شيخك عبد الرحيم القنائى فاقصده، فسافرت إليه فأول ما اجتمعت به حكى لى ما وقع لى فى المنام مع السيد الرفاعي."[٤٥٨]

من خلال الرؤى يتوب العاصى وينضم إلى الطرق الصوفية وأحيانا يصير شيخا كما ذكر الشيخ عز العرب الهوارى فى مقابلة معه أنه " دخل التصوف من خلال رؤية الإمام الحسين وقد ناوله كوباً من الحليب "[٤٥٩] وأنه رأى الشيخ 'أبوالحسن الشاذلي' وهو يأمره قائلاً:"لاتكن متصوفا بكلامك، بل كن الكلمة الصوفية ذاتها"[٤٦٠]ويحكى السيد البدوى أنه "رأى فيما يراه النائم من يأمره بالسفر إلى العراق"[٤٦١]

وقد حكى الشيخ محمد عثمان البرهانى (ت١٩٨٣) أنه رأى السيد أحمد البدوى (ت١٢٧٨)فى المنام " وأخذه إلى جبل الأولياء الذى يبعد ثلاثين كم من الخرطوم؛ وربت السيد البدوى بيده على الجبل فظهر غار أُمر محمد عثمان أن يصلى فيه."[٤٦٢] ويفسر جمال السنهورى الكهف بأنه شبيه بغار حراء الذى كان الرسول يتعبد فيه.[٤٦٣]

وتحكى الحاجة زكية أنها "رأت الشيخ أبوالحسن الشاذلى وقال لها :أنت ستموتين عندي"[٤٦٤] وتتحقق الرؤيا.

فالرؤيا هنا ليست أضغاث أحلام بل من خلالها تتغير المسارات وتتعدد المشارب وتختلف النظرة للأمور، وقد وجد النص الكراماتى فيها متسعا من الخيال مما أضفى عليه فانتازيا ساعدت على وجود النص وجمال ألوانه وأشكاله.

تتم الرؤى كلها بشكل أحادى ذاتى لايراه غير الولى أى أنها تحقق للولى تفرده ولا يستطاع تكذيبه فيما رأى.

٦-٣ التصوير فى الكرامات:

٦-٣-١ تصوير الملائكة فى الكرامات:

يبدو تصوير الملائكة فى الكرامات تصويرا باهتا، لكنهم يكادون يتفقون على أن الملائكة مسخَّرون لهم.ويذكر الغزالى أن "من أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى إنهم فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتاً، ويقتبسون فوائد."[٤٦٥]

يسوق اليافعى قصة أحد الأولياء الذى كان يصنع المراوح "من ريش الطيور العاتية مثل العنقاء والنسر والعقاب والطاووس"[٤٦٦]ثم يفسر سر هذه الأرياش فيذكر "إن الله سبحانه وتعالى سخر لى ملكا من الملائكة يأتينى بذلك كل جمعة"[٤٦٧]

ثم يركّب كرامة أخرى عندما يفتقده أخوه عدة أيام لايخرج فيها فيزوره فى خلوته وبينما هما يتحادثان إذا بمائدة عليها أنواع من طعام الجنة، ثم شراب كذلك،ثم يحكى لأخيه سبب احتجابه أنه كان

فى أحد الشوارع يبيع المراوح فخطفته جارية لسيدتها التى غلّقت عليه أبواب القصر وهمّت به إلا أنه يصعد أعلى القصر ويلقى بنفسه من علٍ فيتلقفه الملاك ويعود به إلى داره ويتكفل بإطعامه من الجنة.

وواضح هنا مدى تأثيرالخيال فى بناء النص الكراماتى فى حلقات متوالية متصاعدة، والملاك هنا ملازم للولي، منقذ له فى كل حالاته.كما لايخفى تأثير قصة يوسف عليه السلام وزليخا فى بنية الحكاية.

وقد يستخدم لفظ الرجال بدلاً عن الملائكة "رأيت القيامة قد قامت وخرج الناس من قبورهم فبينما أنا كذلك إذ أتانى رجلان لم أر أحسن منهما، فسلما على فرددت عليهما السلام، فقالا لى ياسعيد أبشر فقد غفر ذنبك."[٤٦٨]

ومن أطرف ماحكى فى هذا المجال "أنه نزل يوماً فى حلقة السيد عبد الرحيم [القنائي] شبح من الجو لايدرى الحاضرون ماهو فأطرق رضى الله عنه ساعة ثم ارتفع الشبح إلى السماء، فسألوه عنه، فقال هذا ملَك وقعت منه هفوة فسقط علينا يستشفع بنا فقبل الله شفاعتنا فيه فارتفع، وكان الشيخ إذا شاوره إنسان فى شيء يقول:أمهلنى حتى أستأذن لك فيه جبريل عليه السلام فيمهله ساعة، ثم يقول له افعل أولاتفعل حسب مايقول جبريل."[٤٦٩] وهذه الكرامة تتعامل مع الملائكة على أنهم شهود بقطبية الولى وأنه أقرب إلى الله منهم، وربما تلقى ضوءاً على تفشى مبدأ الواسطة فى المجتمع حتى إن الملائكة فى حاجة إلى واسطة، وقد اجترأت هذه الكرامة فوظّفت جبريل كوحيٍ مستشار فى حين يكاد يجمع المجتهدون على انقطاع

الوحي بعد الرسول ومن ثم فلا ينزل جبريل بعد ذلك، إلا أن هذه الكرامة ربما قصدت وضع القطب بمنزلة الأنبياء.ولذلك فقد عقب الشعراني على هذه الكرامة "ومراده جبريل صاحب فعلته هو من الملائكة لاجبريل عليه السلام."[٤٧٠] وهو تعقيب يتعامل مع النص الكراماتي على أنه نص مقدس لايجوز نقده وعلى هذا فالشعراني يرى أن لكل ولي جبريله الخاص وليس جبريل الوحي الرسولي!

وكما ذكرتُ في المقدمة ليس من أهداف بحثي التحقق من حدوث الكرامة أوعدم حدوثها بل وصفها إبداعياً وتحليلها نقدياً.

٦-٣-٢ تصوير إبليس في الكرامات

شغل إبليس جانباً كبيراً من الفكر البشرى ، وقد اهتمت الكرامات بتصويره دلالة على وصول الولى إلى درجة تجعله بمأمن من إبليس وربما كان ذلك من تأثير الآية الكريمة {إن عبادى ليس لك عليهم سلطان}[٤٧١] أو يكون مجئ إبليس اختباراً للولى حتى لايُخدع فقد يأتى إبليس متخفيا فى هالة من الأنوار متصنعاً أنه الله تعالى وهذا ما أطلق عليه الصوفيون "الاستدراج"

فقد حكى عبدالقادر الجيلانى "تراءى لى نور عظيم ملأ الأفق ثم تدلى في صورة تناديني:عبدالقادر أنا ربك وقد حللت لك المحرمات، فقلت:اخسأ يا لَعين، فغدا ذلك النور ظلاماً "[٤٧٢]

وهذا مانبه عليه ابن الجوزى فى كتابه " تلبيس ابليس "حينما قال " وقد يتفق له الشئ الذى يطلبه فيظن ذلك كرامة، وربما كان اتفاقا؛ وربما كان اختباراً وربما كان من خدع إبليس"[٤٧٣]

وأنه " لما علم العقلاء شدة تلبيس إبليس حذروا من أشياء ظاهرها الكرامة وخافوا ان تكون من تلبيسه"[٤٧٤]

بيد أنني قد ألفيت أن بعضاً من رجال التصوف يضعون ابليس فى مرتبة الشر أقل من شرور البشر ويصرح الدرقاوى الحسنى قائلاً أننا"نرى أن الشيطان المسلط على أهل الطريقة هو من بنى آدم لا من الجان، ونراه أيضاً أفقه وأقوى من شيطان الجن"[٤٧٥]

وقد يصل موقف الأولياء من ابليس إلى درجة أنهم يتمنون رؤيته على حد ما حكى الهجويرى على لسان الجُنَيد "تمنيت وقتاً ما أن أرى ابليس عليه اللعنة وذات يوم كنت واقفا بباب المسجد، فإذا بشيخ يقبل من بعيد متجهاً إليّ، فلما رأيته أحسست وحشة فى قلبي، فلما اقترب مني، قلت: من أنت أيها الشيخ، إذ لاطاقة لعينى برؤية وجهك من الوحشة، ولا طاقة لقلبى بالتفكير فيك من الهيبة ؟ قال: أنا الذى تتمنى مشاهدتي. قلت: يا ملعون ! ما منعك أن تسجد لآدم؟ قال: يا جنيد ! كيف تصور أنى أسجد لغيره ؟ قال الجنيد: فتحيرت فى كلامه، فنوديت فى سرى أن:(قل له: كذبت، ولو كنت عبداً لما خرجت عن أمره ونهيه)، فسمع النداء من قلبى فصاح؛ وقال: أحرقتنى بالله ! وغاب."[٤٧٦] وهذا النص يثير قضية خطيرة تتعلق بفكر الجنيد الذى يكاد يتلامس مع فكر الحلاج فى هذه القضية، فالحلاج فى كتابه الطواسين[٤٧٧]يعقد فصلاً لقضية إبليس التى يناقشها مناقشة أقرب شكلاً من نص الجنيد فابليس عند الحلاج "قال له: اسجد ! قال: لاغير ! قال له: وإن عليك لعنتى ؟ قال: لاضير ! مالى إلى غيرك سبيل، وإنى محب ذليل.

فقال: أبَى واستكبرَ، تولى وأدبر، وأقرّ وما أصرّ. قال له: استكبرت قال: لوكان لى معك لحظة لكان يليق بى التكبر والتجبر، فكيف وقد قطعتُ معك الأدهار ؟ فمن أعزُّ منّى وأجلّ ؟ وأنا الذى عرفتك فى الأزل ! أنا خيرٌ منه؛ لأن لى قِدْمة فى الخدمة، وليس فى الكونين أعرفُ منى بك. لى فيك إرادة، ولكَ فيّ إرادة: إرادتك فيّ سابقة، وإرادتى فيك سابقة. إن سجدتُ لغيرك وإن لم أسجد فلابد لى من الرجوع إلى صادق الأصل؛ لأنك خلقتنى من نارٍ والنار ترجع إلى النار، ولك التقدير والاختيار !"[478] فصورة إبليس الذى جاء متخفياً فى شكل شيخ يحس الجنيد بأنه لايُطاق تختلف عن صورة إبليس عند الحلاج بيد أنهما يسوقان دفاعاً عن لسانه يُلهم الجنيد بإجابة مُفحمة لإبليس بينما يترك الحلاج دفاعه دونما تعليق! وهذا الموقف يتكرر فى الطواسين فهاهو يقول "قال أبوعمارة الحلاج وهو العالم الغريب: تناظرتُ مع إبليس وفرعون فى باب الفتوة:إن سجدتُ سقط منى اسم الفتوة..."[479] وصورة إبليس عند الحلاج هى صورة المتكبر، المجادل بينما عند الجنيد سرعان ما يُهزم ويولّي، ويوظف الجنيد الإلهام فى الرد عليه.

إننى أعتقد أن النصّين متناظران فيما بينهما ولا أدرى أى النصّين أسبق تأليفاً ؟ وربما أحس الجنيد بعاقبة طريق الحلاج فاختار منهجا آخر.

يجسد النص الكراماتي إبليس تجسيدا أقرب إلى الوضوح فهو متنكر فى صورة شيخ عند الجنيد، وقد يأتى على شكل نور يتكلم كما عند المتصوفة لكن الشيخ يفطن إلى الاختبار وينتصر عليه فيغدو

النور ظلاما، وهذا الحوار الذى يدور بين الولى والشيطان يذكرنا بقضية فاوست Faustفي الأدب العالمى حيث عقد الشيطان عقدا مع فاوست العالِم والباحث وقد عولج هذا الموضوع فى كثير من الآداب العالمية.

٦-٣-٣ تصوير الجن فى الكرامات

تبدع الكرامات فى تصوير الجن الذى يمتلك القدرة على التشكل فى صور مختلفة لايفطن إليها إلا الأولياء، فمثلا راشد بن سليمان يجتمع ونفر في ظل الكعبة يقرءون القرآن فيسأله الضحاك عنهم فيقول " هم من الجن يقرءون عليّ ويحجون معى كل عام."[٤٨٠] وقد شغل المفسرون بماهية الجن أيضاً فابن كثير يقول "الغول هى الجن المبيت بالليل في صورة مرعبة."[٤٨١]

وهناك علاقة كبيرة بين الحيوانات الخرافية والجن فى الكرامات ولأن النصوص الدينية لم تحدد بشكل تفصيلى شكل الجن فإن النص الكراماتى اكتسب قدرة على الإبداع التخيّلى دون حدود فى رسم صور الجن وماهيته ولغته وتصرفاته وممالكه ونُظُم حكمه.

فبينما كان عبد القادر الجيلانى يلقى درساً عن القضاء والقدر سقطت عليه حية من السقف فانفض الحاضرون فزعا ولم يحرك ساكناً، فدخلت الحية تحت ثيابه ومرت على جسده وخرجت من طوقه والتوت على عنقه، وهو مع ذلك لايقطع كلامه ولا غيّر جلسته وكلمها فانصرفت وقال الشيخ عبد القادر:"فلما كان الغد دخلت خربة فرأيت شخصاً عيناه مشقوقتان طولاً فعلمتُ أنه جني، فقال لي: أنا الحية التى رأيتها البارحة ولقد اختبرت كثيراً من الأولياء بما اختبرتك به فلم يثبت أحد منهم"[٤٨٢]

ولايُخفى القطب إنه متمكن من الإنس والجن فقد جاء رجل إلى عبد القادر الجيلي وأخبره باختفاء ابنته البكر فأمره أن يذهب إلى خراب الكرخ ليلاً ويخط دائرة، ويفعل الرجل ما أمره به فمرت به طوائف الجن "إلى أن جاء ملكهم راكباً فرساً وبين يديه أمم منهم، وقال: يا إنسي ما حاجتك ؟ فقلت له: قد بعثني إليك الشيخ عبد القادر فنزل عن فرسه وقبّل الأرض (...)فذكرت له قصة ابنتي، فقال لمن حوله عليّ بمن فعل هذا، فأتي مارد ومعه ابنتي فقيل له: إن هذا مارد من مردة الصين، فقال له ما حملك على أن اختطفت هذه من تحت ركاب القطب ؟ فقال إنها وقعت في نفسي، فأمر به فضربت عنقه."٤٨٣

إن النظام السياسي للجن هنا يقوم على مملكة عادلة، وربما كان ذلك معادلاً موضوعياً للنظام العادل الذى يطمح إليه الشعب وقد لا يجده ماثلاً أمام عينيه فى حياته وبيئته فيلجأ إلى إيجاده فى إبداعه من خلال الكرامات، ومن هذا المنطلق تأتى أهمية دراسة الكرامات من وجهة نظر اجتماعية وسياسية.

٦-٣-٤ تصوير الكائنات الخرافية فى الكرامات:

لم يتوقف النص الكراماتى على تصوير البشر والحيوانات والطيور بل تجاوز ذلك إلى تصوير كائنات خرافية تنتسب إلى كائنات معروفة لكنها تكتسب مواصفات مغايرة على نحو مارأينا فى تكلُّم الحيوانات والطيور فى لغة فصيحة وتتحلى بعقلانية مقنعة أو فى إيجاد كائنات خرافية تدخل تحت مسمى Fabel تتجاوز الموجود لتبدع فى رسم كائنات لها وظيفة إبداعية لدى الراوى حيث تجذب

المتلقى وتجعله أسير هذا الخيال وينفعل به، وفى نفس الوقت تمثل محاولة للخروج من نمطية الكرامات وتكرارها فى بعض الأحوال؛ ووجد النص الكراماتى فى تصوير هذه الكائنات الخرافية متسعاً للإبداع والتفرد، فلو قرأنا التصوير التالى لحيوان خرافى فى إحدى الكرامات: "دابة على وجه الماء تسبح الله تعالى بلسان فصيح وتقول (...) فلما وصلت تلك الدابة إلى البر إذ رأسها رأس نعامة ووجهها وجه إنسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة."[٤٨٤]لوجدنا أن المبدع قد جمع لهذه الدابة عدداً من الصفات فهى تمشى على الأرض وتتكلم بلسان فصيح، وجمعت فى جسدها رأس نعامة ووجه إنسان وقوائم بعير وذَنَب سمكة وترك للمتلقى تجميع هذه الأجزاء المفككة فى كائن خرافى "دابة" لانجد لها مثيلاً فى الواقع و أستطيع أن أقول إن الكرامات قد تأثرت فى ذلك بالأساطير والخرافة حيث إن الخيال الأسطورى صاحب الإنسان منذ القِدم.

ويوظف المبدع الكائنات الخرافية توظيفا جيدا ساعد على انطلاق النص وتلاشى الحدود الفاصلة لتصوير الكائنات ويلحظ أن الحيوانات بل الكائنات جميعها تتكلم فى النص الكراماتى بلسان عربى مبين وتشعر وتحس فقد أضفى عليها المبدع جميع صفات الإنسان الحسنة وفى هذا إعلاء لدور الحيوانات والكائنات فى النص الكراماتى فالنبات يتكلم ويتحاور مع الولى والجبال تؤنس من وحشة الطريق لكن الممتع هو تركيب الكائنات التى تتغير أشكالها وفق خيال الراوى لكنها تتحدث وتتحاور بشكل عقلانى مع الولى دون غيره أو مع غيره بواسطته وينتصر الولى من خلال تسخير هذه الكائنات وانصياعها لأوامره.

٦-٣-٥ تصوير المرأة فى الكرامات

أنصفت الكرامات المرأة أيما إنصاف فقد أعلت من دورها وجعلتها في مصاف الرجال الأولياء بل تفوقت على معاصريها منهم؛ كما تجعل الكرامات لحظات ضعف المرأة نقطة تحوُّل نحو الولاية متكئة في ذلك على النصوص المروية حول رابعة العدوية وكيف هجرت ماضيها لتغدو ولية من أولياء الله، ومن هنا تحتل المرأة دوراً كبيراً فى الكرامات ويمكن تقسيم دورها إلى ثلاثة محاور:

١- المرأة كمحقِّقة للكرامة أى وليّة

٢- المرأة كرمز: أ للثواب ب للدنيا

٦-٣-٥-١ المرأة الوليّة:

ترسم الكرامات صوراً للمرأة الولية تحوطها بهالة من التقديس والرهبة وتشير إلى مساواة المرأة بالرجل فى التصوف فقد حفلت السِّيَر الصوفية بنصوص أستطيع أن أصنفها تحت مصطلح السِّيَرالذاتية من خلال ماكنّ يحكينه عن حيواتهنّ الأوليات قبل أن يتخلصن من أوزارهنّ من خلال ولى أو إلهام أو هاتف، وغالباً مايكن فى بدء حياتهنّ آثمات مستهترات؛ وتركز الكرامات على إبراز هذا الجانب وإلقاء الضوء عليه حتى يبدو التناقض جلياً بعد التوبة، ومن أشهر الأمثلة على ذلك رابعة العدوية كما ذكرت آنفاً، وتريزا وهدايتها على يد أبى الحجاج الأقصري؛ وفاطمة بنت برى[٤٨٥] وهدايتها على يد السيد البدوي.

فى ترجمة ذى النون المصرى النوبى فى تحفة الأولياء نجد أنه قد التقى فى سياحته كثيراً من الوليات اللواتِي يعرفنه دون أن

يعرفهنّ،كما يروى " بينما أنا أسير فى جبال أنطاكية وإذا أنا بجارية كأنها مجنونة، وعليها جبة من صوف، فسلمت عليها فردت السلام ثم قالت: ألست ذا النون المصرى ؟ قلت: عافاك الله كيف عرفتيني؟ قالت: فتق الحبيب بينى وبين قلبك فعرفتك باتصال معرفة الحبيب (...) ثم مرت وتركتنى "[٤٨٦] ومرة أخرى يحكى عن أخرى علمته صدق المحبة:" ثم تركتني ومضت"[٤٨٧] وتختلف صورة المرأة عنددى النون النوبى المصرى عن الأنموذج المعد سلفاً للمرأة فهى "سوداء"[٤٨٨] وهى "جارية عليها دباء شعث الكلال"[٤٨٩] بينما فى معظم التراث بيضاء ! ودائماً تفارقه هى أو تفارق الحياة "ثم شهقت شهقة فإذا هى قد فارقت الدنيا"[٤٩٠] أو تختفى طياً "ثم غابت عنى فلم أرها"[٤٩١]

ويحكى اليافعى عن كثير من الوليات اللواتى لهن قدم كبيرة فى التصوف ومن ثَم فى الكرامات؛ مثل المرأة التى رآها إبراهيم الخَواص[٤٩٢] وأخرى لقيها عثمان الجرجانى "فبسطت يديها، وهمهمت بشفتيها فإذا يداها مملوءتان دنانير."[٤٩٣] ويغلب على هذه الشخصيات تصوير شخصية رابعة العدوية، ومعظمهن يموت شوقاً لله بإرادتهن مثل الجارية التى اشتراها محمد بن أبى الفرج.[٤٩٤] وقد تنقذ الولية الركب من خطر محدق كما حكى اليافعى عن الأصمعى فى حكاية لطيفة، فقد خرج أسد معترضاً قافلتهم، فخاف الرجال نزاله؛ فنادى رجل ابنته من هودجها " يابنية انزلى وردّى عنى هذا الأسد، فقالت: يا أبت أيطيب قلبك أن ينظر إليّ الأسد وهو ذكر وأنا أنثى ؟ ولكن قل له: ابنتى فاطمة تقرئك السلام وتقسم عليك بالذى لا

تأخذه سنة ولانوم إلا ماعدلت عن طريق القوم، قال الأصمعي فوالله ماأستتمت كلامها حتى رأيت الأسد ذاهباً أمامنا."[٤٩٥] وتتفوق المرأة في النص الكراماتي على الرجل فهي أصدق محبة لله، وأعلى مقاما، وربما حققت الكرامات مساواة المرأة بالرجل بينما افتقدت ذلك في الواقع، وربما لإحساس المجتمع بظلم المرأة ودّ أن يعلى من شأنها ويمنحها جانبا من حقها في الكرامات، وربما يعود لنظرة المتصوفة السمحة حيال المرأة.

وقد ترجم التادلي في كتابه: التشوّف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السَّبْتي لستٍّ وليات هنّ: أم محمد السلامة؛ وفاطمة الأندلسية؛ ومنية بنت ميمون الدكالي؛ وثلاث مجهولات[٤٩٦]. وكلهن ذوات كرامات.كذلك فإن عبد الواحد كما يحكى اليافعي يسأل الله أن يريه رفيقته في الجنة فقيل له:ميمونة السوداء فيمضي إليها وهي ترعى الغنم مع الذئاب فلما رأته "قالت:ارجع ياعبدالواحد ليس الموعد هنا"[٤٩٧] ويصور اليافعي ميمونة السوداء على أنها مكشوفة الحجاب تريالأسرار وتتحكم في مخلوقات الله، ولذلك فقد أفلح التصوف في خلق تعادلية بين المرأة والرجل، ولم يلجأ إلى التفريق بينهما طبقاً لعوامل بيولوجية بل المرأة تتفوق على قرنائها من الأولياء الذين يتوددون طالبين رضاءها ودعاءها فابن عربي يذكر أنه خدم بعض الوليات.

وقد احتلت الشيخة زكية (ت١٩٨٢) مكانة كبيرة في التصوف المعاصر بصعيد مصر، فقد أُثر عنها كثير من الكرامات مثل أنها كانت " مع الحاج عبده في الحج، وأخرجت السمك من الرمل."[٤٩٨]

وأنها "تعرف كل اللغات"وتحوّل "الحائط إلى ذهب" وتظهر "فى أماكن متعددة فى آنٍ واحد"،و "تشفى المرضى "[٤٩٩]، و...الخ.

وصفات المرأة الولية كما تجئ فى التراث الصوفى هى التى شُغفت حباً وأنهك العشق جسدها ولذلك ففى احدى الكرامات التى أوردها اليافعى وحللها المستشرق "Daiber Hans جارية مصفرة اللون متغيرة،(...) بكت بكاءً طويلاً؛ (...) ونزعت جميع ما كان عليها، ولبست جبة من صوف وخماراً من شعر، وخرجت هائمة، وهى تنشد وتقول شعراً(...)؛ بصوت مقروح يخرج من كبد مجروح (...)؛ امرأة كالخيال، ذاهلة العقل والبال؛ بكت وانتحبت وهاجت واضطربت (...) ثم صرخت ووقعت إلى الأرض، فحركتها فإذا هى ميتة"[٥٠٠] لكن ذلك لا ينفى أن تكون "امرأة حسناء ذات جمال بديع"[٥٠١] و"مسفرة عن وجهها وهى تمشى من غير خمار"[٥٠٢]

وتموت المرأةُ غالباً فى نهاية الكرامة موتاً اختياريا دراميا تُحدد توقيته "ثم خرت ساجدة لله تعالى فحركتها فإذا هى ميتة"[٥٠٣] والجنيد يحكى عن أخرى " تشهدت وخرّت ميتة فغسلناها ودفناها"[٥٠٤]

وفى الكرامة التى حللها Hans Daiber تموت تحفة باختيارها لكنه يعلق "إن موت تحفة ليس كرامة وإنما هو شئ مدهش"[٥٠٥] وأرى أنه كرامة لأنها هى التى حددت التوقيت، وكان لها ماأرادت.

٦-٣-٦ المرأة كرمز: أ للثواب:

يصف لنا القرآن الكريم الحور العين بصفات جمالية[٥٠٦] لا تُحَد وهذا ما جعل المتصوفين يبدعون فى تصوير الحور العِين؛ ورأوا أنهن

يمـثـلن آيـة الجـمـال؛ وكـون الجـمـال غـيـر مـحـدد فـقـد حـاول النص الكراماتى إبداع رؤية خاصـة بالمرأة الحورية؛ هذه الرؤية جاءت فى نصوص كراماتية أقرب إلى الشعر أو ماأطلق عليه حديثاً بالقصة/ القصيدة أو القصة الشاعرية حيث الوصف والخيال والتناص والحلم، وقد حاول كل صوفى أن يحدد ذاتية إبداعه من خلال وصف الحور العين حتى استغرق عليهم حياتهم، وربما تفسر لنا هذه الرؤية عزوف السيد البدوى عن الزواج فى بعض الروايات حيث إن أخا البدوى عرض عليه الزواج فأجابه:"يا أخى تأمرنى بالزواج وأنا موعود من ربى ألاَّ أتزوج إلا من الحور العين الحِسان" بينما يميل عبدالله صابر إلى تفسير هذا الموقف من عدم الزواج إلى أنه كان "مسايراً لأستاذه أحمد الرفاعى "[٥٠٧]

وحُكى عن حسن المسوحى "أنه استلقى يوماً فى مسجده فكظه الحر فغلبته عيناه، فرأى كأن سقف المسجد انشق فنزلت منه جارية عليها قميص فضة يتخشخش، ولها ذؤابتان، فجلَست عند رجلى فقبضتُ رجلى عنها، فمدّت يدها ومست رجلي، فقلت لها: ياجارية أنت لمن ؟ قالت: أنا لمن دام على مثل ما أنت عليه."[٥٠٨]

والمرأة هنا ذات أنموذج ثابت لايتغير كثيراً فهى جميلة حسناء ترتدى ملابس من الذهب والفضة وهما أغلى شئ فى ذاك العصر، وهذا يوحى بجمود خيالهم فى تصوير الحورية، وقد اختار الراوى الفضة للونها الأبيض، ولايخفى علينا عشق الناس فى التراث للّون الأبيض دون سواه؛ وربما جاء هذا استنادا لقوله تعالى {وحورٌ عِيُن كأمثالِ اللؤلؤِ المكنون}[٥٠٩] ومن تمام الحسن لدى الوصف الكراماتى

أن يكون شعرها طويلاً، كذلك فإن الرؤيا لجأت إلى التصوير الإبداعى فى إنشقاق سقف المسجد، وإعراضه عنها.

وعند أحد مريدى منصور بن عمار "إذ حملتنى عيناى فرأيت كأن حوراء خرجت على من المحراب فلما رأتنى أنشأت تقول برخيم صوتها:

أتخطب مثلى وعنّى تنام ... ونوم المحبّين عنّى حرام؟!

لأنَّا خُلقنا لكلّ امرئٍ ... كثير الصلاة براهُ الصّيام"[٥١٠]

والحوريات الشاعرات كثيرات فى كرامات الأولياء المصورة لهن، وربما كان هذا للارتقاء بالنص من نثريته من جهة ومن جهة أخرى تصلح أن تكون كرامة تعليمية تحث على الجهاد والعبادة وما ينتظره المؤمن من الله كمكافأة تجاه ماقدّم إليه.

وقد رأى ماهر جرار "أن الشعر يناسب طقس الزواج"[٥١١].

وهى "جاريةأحسن من الشمس والقمر،لايستطيع أحد من الخلق أن يصفها"[٥١٢] وهى "جارية من الحور العين أشرق من الشمس وأبهى من القمر"[٥١٣] وهى "العيناء المرضية قاعدة على سرير من ذهب أحمر مكلل بالدر والياقوت والجوهر"[٥١٤] وهى "جارية تفوق الدنيا حسنا"[٥١٥] وهى ذات رائحة جميلة، وهى مضيئة كما أن لديها حبا وعشقا وشغفاً بمن وُهبت له، وأنها متحدثة، لبقة، تتزيى بأحسن لباس، وتتثنى ،وهى أفضل من كل نساء الأرض قاطبة؛ أى أنها المرأة الكاملة خَلْقاً وخُلقا.

وقد تكون الحورية العيناء فى المنام سبباً للتوبة فقد حكى محمد بن قاسم وقد أسرف على نفسه إسرافاً حتى القنوط :"رأيت فى النوم جاريةً وبيدها جام من الذهب مكتوب عليه بالنور: ياهذا (...)وعلى جبينها مكتوب(...)فوضعت الجام بين يدي، فأكلت منه طعاماً لايشبه طعام الدنيا فوجدت حلاوة الرجاء فى قلبي، واستقمت من تلك الليلة على طاعة ربي."[٥١٦]

فتصوير الحور العين يكاد يكون ثابتاً فى معظم أدب الكرامات؛ ويستقى روافده من الآيات القرآنية ومن الأحاديث النبوية وكتب التفاسير.

" لاترغب للكرامات وخوارق العادات فإن الأولياء يستترون من الكرامات كما تستتر المرأة من الحيض."[517]

أحمد الرفاعي

"والكراماتُ منهمُ معجزاتٌ   حازَها من نوالك الأولياءُ "[518]

البوصيري

ويحدثنا روزبهان بقلي فى إحدى مكاشفاته أنه رأى أسداً أصفر "كان يمشى على رأس جبل قاف، وهو جبل من زمرّد يتعذر الوصول إليه وهذا الجبل يشير إلى نهاية العالم الأرضي"[519]

الفصل السابع
إبداع العالم المثالى فى الكرامات

٧-١ الشعر فى الكرامات:

يعتمد النص الصوفى على الخيال وبلاغة الأسلوب فيعتنون بلغتهم ويضمنونها رؤاهم لأحوالهم ومقاماتهم، وقد يلجئون إلى الغموض فى أحايين كثيرة مما يجعل النص حمّال تفسيرات متضاربة لكنه على المستوى الإبداعى يبقى للنص حضوره ودهشته والنص الكراماتى نص مجهول المؤلف حيناً وفى أحايين كثيرة معروف المؤلف لكن الزيادات مجهولة المؤلف قد أضرت به من حيث المستوى الجمالى للنص لأن المضيف أحياناً ليس بمنزلة المبدع.

من هنا يجىء الشعر ليرتقى بالنص فالشعر يحتل المقام الأول من حيث البلاغة وفقاً للمنحى البلاغى القديم، وهنا يقوم الشعر بتثبيت النص بلاغيا، وزحزحته من دائرة النثر ليصعد إلى آفاق

جماليات النص الشعري، لكن تبقى إشكاليتان:

الأولي:التباين الواضح بين النص النثرى والشعرى مما يحملنى على الظن بانفصالية النَّصَّيْن تأليفاً وزمنياً بل قد يكون النص الشعرى فى بعض الكرامات مُقحَمًا على النص النثرى ولايخدم النص وإنما يمزقه.

الثانية:لمن نرد هذا النص الشعرى ؟ هل ننسبه إلى من جاء على لسانه طبقاً لرواية الحاكي وغالبا يكون مجهولاً أونرده للراوى الذى تخلى عن النص للشخصية الأخرى ؟

وتبقى الإشكالية الثانية أكثر صعوبةً إذا ما ورد النص الشعرى منسوباً لهاتف أو لشخص مناميٍّ مجهول أو محدد.

وقد لحظت أن الأشعار تكون خاتمة الحكاية وهى المعبرة عن ذروة العشق الذى لايُحتمل ولذلك غالباً ما يتمنى الشاعر أو الشاعرة الموت فى شعره وتتحقق الأمنية الأخيرة وكأن الموت هو القافية الحتمية للبيت.

للشعر مكانة كبيرة عند الصوفيين فهو لسان حالهم والمعبر عنهم دوماً.

ويظل ابن الفارض (٥٧٦ ٦٣٢هـ =١١٨١ ١٢٣٥م) علما من أعلام الشعر الصوفى وتوظيفه فى التعبير عن الكرامات؛فابن الفارض يدخل جامع عمرو بن العاص ويصرخ قائلاً:

"من ذا الـــــذى مـــــا ســـــاء قط

ومن لـه الحـــــســـــنى فـــــقـط

فسمعتُ قائلاً يقول بين السماء والأرض، أسمع صوته ولا أرى شخصه:

مـــــحـــــمـــــد الـــــهـــــادى الــــذى
عـــلـــيـــه جـــبـــريـــل هـــبـــط"[٥٢٠]

وواضح من هذه الرواية أن الهاتف قد أكمل المقطوعة الشعرية على البحر العروضى "مجزوء الرجز " وعلى القافية المقيدة وحرف رويها أيضا.

كما ورد منسوبا للشيخ عبد القادر الجيلاني:

"ضـــريـــحـي بـــيـت الـــلـه من جـــاء زارهُ
يـــهـــرول يـــحـــظى بـــعـــزٍّ ورفـــعـــة[٥٢١]
وســـرى ســـر الـــلـه ســـار بـــخـــلـــقه
فـــلـــذ بـــجـــنـــابى إن أردت مـــودتي
وشـــاهـــدتُ مـــا فـــوق الـــسـمـوات كـلـهـا
كذا الـعـرشُ والكـرسيُّ فى طَيِّ قـبـضـتى "[٥٢٢]

وقد اتخذوا من الشعر كما رأينا متسعا للتعبير عن شطحاتهم.

"قـال أبـوسـعـيـد الخـراز: كـنت فى الـبـاديـة، فـنـالـنى جـوع شديد،فطالبتنى نفسى بأن أسأل الله طعاماً؛فقلت ليس هذا من فعل المتوكلين، فطالبتنى نفسى بأن أسأل الله صبراً فلما هممت بذلك سمعت هاتفاً يقول:

ويـــــزعـمُ أنّه مـــــنّـــــا قـــــريبٌ
وإنـــــا لا نـــــضـــــيّع مَن أتـــــانـــــا
ويـــســـألـــنـــا الـــقُـــوى عـــجـــزاً وضـــعـــفـــاً
كـــأنّـــا لا نـــــراه ولا يـــــرانـــــا"[٥٢٣]

وما روى عن أحمد الرفاعى وقد وقف بالروضة النبوية وأنشد:

"فى حالة البُعد روحى كنت أرسلها تقبل الأرض عنّى وهْى نائبتي

وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامددْ يمينك كيْ تحظى بها شفتي.

فخرجت له اليد الشريفة من القبر فقبّلها بحضرة الناس وهم ينظرون"[٥٢٤]

فالصياغة الشعرية والحوار فى الشعر يعين على مسرحة الحدث مما يؤثر فى المتلقي.

ولقد كان للشعر سطوة كبرى فكثير من الكرامات تحكى أن عاصيا سمع بيت شعر فغيَّر مجرى حياته ومن ثم غدا وليا من الأولياء؛ أو أن بيت شعر سمعه أحد الأولياء فخرَّ مغشيا عليه؛ أو خرَّ ميتا؛ وقد أسموا ذلك السماع ولهم فيه مواجد عدة؛ حتى ذكر شوقى بشير "لقد كان السماع المحدث سببا فى موت بعض الصوفية "[٥٢٥] وقد جاء ذلك تعليقا على قصة موت أبى الحسين النووى التى نقلها الخطيب البغدادى فى "تاريخ بغداد" فحينما سمع النووى هذا البيت

"لا زلتُ أنـــــزل من ودادك مـــــنـــــزلا

تـــتـــحـــيـــر الألـــبـــاب عـــنـــد نـــزوله

فتواجد النووى وهام فى الصحراء (...)ومات بسببه"[٥٢٦]

ويروى ابن العماد أن ذا النون المصرى سمع منشداً ينشد:

"صـــــغـــــيـــــرُ هـــــواك عـــــذبـــــنى

فـــكـــيف به إذا احـــتـــنـــكـــا

وأنتَ جـــــمـــــعت من قـــلـــــبي

هـــوى قـــد كـــان مـــشـــتـــركـــا

فتواجد ذو النون وسقط وانشج رأسه"٥٢٧

ويرى ابن تيمية أنه "لو سمع السامع بيتا يناسب بعض حاله فحرك ساكنه المحمود، وأزعج قاطنه المحبوب، أو تمثل بذلك ونحو ذلك لم يكن هذا مما ينهى عنه؛ وكان المحمود الحسن حركة قلبه التى يحبها الله ورسوله إلى محبته التى تتضمن فعل ما يحبه الله وترك ما يكرهه الله..."٥٢٨

وقد يكون الشعر قد قيل فى مناسبة بعيدة عن التصوف لكن الصوفى يؤول الشعر إلى حاله فيرى فيه مالا يُرى وينعكس عليه حال المعنى المؤول وليس المعنى الظاهر.

وربما كان كما ذكر عبدالإله نبهان "مما لم يكن يخطر من الشاعر على بال ! ولكن متى كان الصوفية يعبأون بمقاصد الشاعر، إنهم ينقلون شعره إلى مالهم من المعاني"٥٢٩

يسمع أبو الفتح الأعور الصوفى هذا البيت:

"وجـــهك المـــأمـــول من حـــجـــتـــنـــا

يـــوم يـــأتـى الـــنـــاس بـــالحـــجج

فتواجد وصاح ودق صدره إلى أن أغمى عليه وسقط فلما انقضى المجلس حركوه فوجدوه ميتا"٥٣٠

والجنيد يسمع جارية تغنى شعرا فصعق وصاح فوهبها له صاحب الدار فأعتقها الجنيد وزوّجها لبعض أصحابه٥٣١

فالشعر هنا يمتلك هذا التأثير القوى فى الكرامات كما أنه يرفع

النص الكراماتي من دائرة النثر على دائرة الشعر وفي هذا إثراء للنص ودلالة على تمكن الصوفيين من فهم دلالات التأويل للنص الأدبي، وهذا أضفى على النقد رؤى جديدة لا تستنبط من قواعد اللغة وجماليات البلاغة التقليدية بل من تأويلات ذاتية حرّكت النقد الأدبى وجعلت للنص قراءات متعددة بعد أن كان النص محصوراً في قراءة أحادية مكرورة.

يعد ابن الفارض خير مثال على البوح بما يرى والحكْي شعراً عما يشاهده،وقد يصرح بما يبدو كرامة أشبه بالمعجزة؛ ولو أخذنا المثال التالى لبدا لنا أنه يستخدم التناص استخداماً دقيقاً كما في قوله:

"أَنَســـــسْتُ بـــــالحيِّ نـــــاراً
لـــــيلاً فـــبـــشّـــرتُ أهــــلي
قـــلت امـــكـــثـــوا فـــلـــعـــلِّي
أجـــــد هـــــداى لــــــعـــــلي
دنـــــوتُ مـــــنـــــهـــا فـــكـــانتْ
نـــــار الــــمُــــكَـــلَّمِ قـــبـــلي
نـــوديتُ مـــنـــهـــا كِـــفـــاحـــاً
ردّوا لـــــيـــــالى وصـــــــلي
حـــــتى إذا مـــــا تـــــدانى الـ
ـــمـــيـــقـــاتُ فى جـــمع شـــمـــلي
صـــــارتْ جـــــبـــــالى دكـــــاً
من هـــيـــبـــة المـــتـــجـــلي

ولاح ســــــــــرٌ خـــــــــفيٌ

يـــــدريه من كـــــان قـــبـــلي

وصــــــرتُ مـــــوسى زمــــاني

مُـــذ صـــار بـــعــضى كــلي"٥٢٢

فالنص الشعرى يتناص مع نصوص قرآنية حول معجزة سيدنا موسى إذ كلمه الله وتغدو أمنية من أمانى الشاعر لا تفارق خياله بل يعيش فيها فيكررها فى شعره مرات ومرات:

زدنى بــفــرط الحبِّ فــيك تحــيّــرا

وارحم حــشــا بـلــظى هــواك تــســعّــرا

وإذا ســـألــتك أن أراك حــقــيــقــةً

فــاســمح ولا تجــعل جــوابي:لن تــرى

(...)

ولــقــد خــلــوتُ مع الحــبــيب وبــيــنــنــا

ســـرٌ أرقّ من الـــنـــســـيم إذا ســـرى

وأبــاح طــرفى نــظــرةً أمّــلــتــهــا

فــغــدوتُ مــعــروفــاً وكــنتُ مــنَــكَّــرا

فـــدهـــشــتُ بـــين جـــمـــاله وجلاله

وغــدا لـــســـان الحــال عــنى مـــخــبــرا٥٢٣

ويمضى ابن الفارض تاركا لسان حاله مخبرا عنه وكأنه لم يصرح بشيء.

ولم يقف هذا فى المواقف التى ضربت أمثلة عليها بل تعداها لفهم أشعار بطرق نقدية ترى فى الكلام مددا لم يره النُّقدة من قبل.

فعبدالقادر الجزائرى فى نقده بيْتيْ ابن المستوفى:

"رأت قـــمـــرَ الـــســـمـــاءِ فـــأذكـــرتـــنـي
لـــيـــالـى وصـــالِـــنـــا بـــالـــرقـــمـــتـــينِ

كِـلانـــــا نـــاظـــرٌ قـــمـــــراً ولـــكـنْ
نـــظـــرتُ بـــعـــيـــنـــهـــا ورأتْ بـــعـــيـــنـي

قوله "رأت" يريد به حقيقة الغيبية التى بها هو هو، وإنما أسند الرؤية الحقيقية الغيبية دون صورته الشهادية لأن رؤية هذا القمر لا تكون بالأبصار الشهادية وإنما تكون بالبصائر الغيبية (...)وقوله "نظرتُ بعينها ورأتْ بعيني" فجاء بالنظر فى حقه وبالرؤية فى حقها لأن حقيقة النظر وهو تقليب الحدقة نحو الشيء طلباً لرؤيته مع تأمل، بخلاف الرؤية فإنها مجرد إدراك، فنـزّهها عما تقتضيه لفظة النظر وهذا غاية الأدب"[٥٣٤]

وكم وظّف الصوفيون الشعر فى الكرامات توظيفا أفاد الحكى الكراماتى أيما فائدة؛ على نحو ما وضح آنفا.

٧-٢ دائرة الأولياء أو الحكومة الباطنية:

للأولياء نظام خاص فى التكليف بأمور الولاية؛ كما أن درجات الأولياء متفاوتة ولقد أسهم التراث الكراماتى فى رسم دوائر الأولياء التى جاءت فى نظام بديع يربط بين الأولياء فى كل الأماكن والأزمنة برباط وثيق، فلهم قيادة واحدة تعيّن وتحاكم وتعزل أحياناً ولهم مجلس للمحاكمات يصدرأحكاماً نافذةً لااستئناف فيها ونلحظ اختلافاً بين التراث المدوّن والشفهى حيال مسمى رئيس الديوان؛ ففى التراث نجد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الخضر

بينما فى الكرامات الشفهية نجد السيدة زينب ترأس ديوان الأولياء؛ولذلك يطلق عليها صاحبة الشورى ورئيسة الديوان ؛ وقد يأتى الخضر رئيساً للأولياء..

ويؤمن قطاع كبير من الناس بوجود هذه المحكمة ولعل أبلغ دليل على ذلك تلك الرسائل الكثيرة التى يرسلها الناس إلى ضريح الإمام الشافعي والتى قام الدكتور سيد عويس بدراستها وتحليلها ويذكر " أن مرسلى هذه الرسائل يطلبون سرعة البت فى طلباتهم بعقد المحكمة الباطنية وهى محكمة غير منظورة تعقد بواسطة القطب ومعاونيه من الأوتاد والأبرار والذين يحكمون الكون وينظمون شئونه، ويرى أن الكثير من الرسائل التى تطلب الانتقام مثل الموت والهلاك وخراب البيوت والانتقام من الأبناء لاتتناسب مع الجرائم التى ارتكبت مثل الإهانة والسرقة والسخرية والسب ويصل إلى نتيجة أن الحقد الدفين يملأ نفوس جميع مرسلى الرسائل إلى ضريح الإمام الشافعى وهو موقف من الآخر لايستطيعون التعبير عنه بطريقة صريحة "٥٢٥

يرسم النص الكراماتى رؤية إبداعية لدوائر الأولياء فالولى الذى وصل إلى منزلة كبرى لايدانيه فيها ولى يستطيع أن يرى غيره من الأولياء، ويحدد فى نظام بديع عددهم ورتبهم وأماكنهم أو مايطلق عليه "دَرَكهم" ومن عجب أن هذه الدائرة التى تجمع الدنيا وتقوم على أساس جغرافى منظم أشبه بالحكومة الخفية التى تدير العالم ادارة حقيقية أو هى رؤية لنظام عالمى يقوم على العدل واحترام الغير والمسئولية الكاملة، وقد اهتمت هذه الدوائر بمقامات الأولياء حتى القطب الغوث.

وهنالك خلاف على العدد لكن الشائع بينهم أن القطب واحدٌ ثم يأتي المختارون وهم ثلاثة ثم العرفاء وهم سبعة ثم النقباء وهم عشر،ثم الأوتاد وعددهم أربعون وقد يطلق عليهم عند البعض البدلاء ثم النجباء وهم سبعون ويأتى بعد ذلك الأولياء وعددهم ثلاثمائة، وهذه الأعداد ثابتة فى كل عصر وزمان فإن مات واحد منهم استبدل بآخر إلى يوم القيامة حسب التشكيل الإبداعى الصوفي.

وهو نظام قضائى دقيق مدهش يطبق قوانين عادلة صارمة لا نقض فيها ولااستئناف؛ وربما كان ذلك دفعا للظلم من الأنظمة القامعة آنذاك وما كان يقوم به العسس فى ذلك الوقت فلجأ الأولياء إلى تكوين حكومتهم العادلة دفعا للظلم الكائن، ومن هنا فإننى أود أن أشير إلى أن ذلك يقودنا إلى نتيجة مفادها أن الصوفيين لم ينأوا بأنفسهم عن السياسة فالدائرة نظام سياسى بديع محدد الواجبات والحقوق أيضا، وربما بنظامهم الدائرى هذا أوجدوا سلطة سياسية خفية أو حكومية باطنية تهز عروش الحكام السياسيين فى عصورهم فهى تجرد الحاكم البشرى من سلطته بينما تجعل المحكوم حاكما، هذا المحكوم الذى قد يكون فقيرا معدما عاريا محتقرا من عِلية القوم تضعه.الدائرة الإبداعية للأولياء فى مقام رفيع يحكم الحاكمين ومَنْ فى دولهم ويتفوق عليهم بما أوتى من قدرة على استنطاق الحيوانات والطيور والنبات والجماد بل كل الكائنات التى تقع فى حوزة مملكته وتأتمر بإشارته فهى رهن إرادته.

إن هذا العلم علمٌ خاص ولذلك لم يطّلع عليه سوى الخواص ومن هذا الجانب يدخل في باب الكرامات الخاصة.

وقد وثق هذا العلم عند القوم إلى حد كبير، فطاهر المقدسي قال: خرجت من عسقلان في طلب البدلاء"٥٣٦ ولكل ولي حدود جغرافية ينبغي ألايتجاوزها هو أوغيره من الأولياء وقد حُكى أنه"دخل رجل من أولياء الله من غير استئذان [على] سيدى محمد الحفنى فسلُب حاله، فاستغفر الله ثم جاء إلى الشيخ فرد عليه حاله."٥٣٧

ولعل البدلاء أجمل ما رسم في دائرة الأولياء وقد ظهر هؤلاء لحاجة الناس إلى تفسير الكرامات التى تتعلق بوجود الولى فى أكثر من مكان.

حكى لى فتحى الشعرانى "كنتُ قى القاهرة واصطحبنى فضيلة الشيخ الطيب فى المترو ونظرنا معا فضيلة الشيخ محمد الطيب واقفاً فى عربة المترو عياناً [وكان الشيخ فى الأقصر فى ذلك الوقت] فصرخت:عمى فابتسم الشيخ الطيب وقال:أبوى يافتحي؛ لقد ظننت أنك لم تره"

وهذا يؤكد تجدد هذه الكرامات وإيمان المريدين بأن الولى له أكثر من صورة فى أمكنة متغايرة متزامنة فى آن واحد.

"إنما سمى الأبدال أبدالا لأنهم إذا غابوا تبدل فى مكانهم صور روحانية تخلفهم"٥٣٨ على حد قول اليافعي.

ورؤية اليافعى الإبداعية تشخيص للصور الروحانية فى هيئة جسوم ولا نعرف أصل البدلاء وربما ودّ اليافعى أن يحل إشكالية البدلاء فى هذه الجملة الأدبية الرفيعة.

ويروى الشيخ عزالعرب الهوارى أن الشيخ أحمد رضوان قال:"إن الحاجة زكيةِ من الأبدال."٥٣٩ ويُعيّن الأبدالُ من خلال

الهاتف كما حكى أحد المغنين للجنيد " كنت فى مشربة بني فلان، فهتف بى هاتف أن قم إلى الجنيد واستلم ماعنده من الوديعة التى تركها لك فلان وهى كذا وكذا فإنك من الأبدال"[٥٤٠]

ويصرح عبد القادر الجيلانى باجتماع الأولياء:

" حضرتُ مع الأقطاب فى حضرةِ اللقا

فغبتُ بهِ عنهمْ وشاهدتُهُ وحدي"[٥٤١]

ويرى الشيخ أبوالحسن الشاذلى أن "من رباه القطب رباه أربعون بدلاً"[٥٤٢]

هناك خلاف كبير بين المتصوفة على عدد الأولياء ورتبهم ومقاماتهم ولعل أشهر رؤيتين لحكومة الأولياء نجدها عند ابن عربى واليافعي.

٧-٣ مدينة الأولياء:

فى التراث الصوفى نجد الانفرادية فالشيخ يعتزل الناس فى خلوته ويتعبد بعيدا عن مراقبة الناس، والمريد يتلو وِرْدَه فى مكان مظلم لايراه فيه أحد، والترقى جانب انفرادى أيضاً والمقامات والأحوال ينتفى فيها المشاركة، والتجليات والفتوحات لايستقبلها إلا أصحاب المجاهدة، والذِّكر وإن كان جماعياً فى مظهره إلا أنه ذاتى فى جوهره ولذلك كان دعاء الصوفيين: " واكْشِفْ حِجاب الأغْيارِ عنّا" والأغيار كل شئ سواه ولذلك فقد تضافروا معا حتى يبتعدوا عن الأغيار بخلق " مدينة الأولياء" التى تصير غاية لكل ولى لاينالها إلا من هو على قدم ثابت فى الولاية، ويكون قد جاوز الأربعين من عمره وربما كان ذلك تقليداً للنبوة،وهناك استثناءات كثيرة لصغار حُظوا بعضوية هذه المدينة.

يصف اليافعى هذه المدينة " مبنية بالذهب والفضة، وأشجارها متعانقة، وأنهارها رائقة، وفواكهها فائقة (...)فسألتهم عند الانصراف عن هذه المدينة فقالوا: هذه مدينة الأولياء فإذا أراد الأولياء النزهة ظهرت لهم تلك المدينة أينما كانوا"[٥٤٣] وهذا الوصف الإبداعى يقترب كثيراً من المدينة الفاضلة؛ وعلى هذا يكون الصوفيون قد أبدعوا رؤية جديدة للمثال الكامل، فهى انفرادية التشكيل، حيث يستطيع كل ولى أن يصفها وفق مقامه، ويستطيع كل مريد أن يتخيلها وفق إبداعه.

وقد رأى الغيطانى أنها أشبه بالمدينة الفاضلة "إنها منعزلة، نائية مهجورة، متحررة من المنطق؛ من التقاليد وشتى القيود، إنها ذروة الحلم الإنسانى حيث يتوفر كل ما يصبو إليه، ويحلم به فى عالم المثال."[٥٤٤] وهو وصف دقيق يتفق مع رؤية المتصوفة لها ولعله يعنى بمهجورة أنها مهجورة من الأغيار.

والواضح من التراث الانتقائى للأولياء أنه يخضع لشروط قاسية ومراقبة دقيقة ومحاسبة دائمة كما أن الاختيار يكون بالشورى ولايقتصر على الرجال دون النساء فهنّ قادرات على أن يتبوأن المناصب فها هى عائشة المنوبية تقول عن نفسها:"أنا أحبنى ربى واختارني، واصطفانى وزيننى، وسقانى وأيدني، وجعلنى زينة الأولياء، وجعلنى قطبة الأقطاب "[٥٤٥] وقد صرح ابن الدمرداشى أنه أُمر فى طريق عودته من الحج "بالذهاب إلى غزة هاشم، لأن حاكمها الباطنى يموت ويوجه مقامه إليه. وكان يقول: إن حكومة غزة الباطنية لها رتبة عالية عند أهل الباطن لكونها آخر البلاد المقدسة."[٥٤٦]

الترمذي:"ثم لما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم صيّر في أمته أربعين صدّيقاً، بهم تقوم الأرض، فهم أهل بيته وآله، كلما مات منهم رجل خلفه آخر يقوم مقامه، حتى إذا انقرض عددهم وأتى وقت زوال الدنيا ابتعث الله ولياً اصطفاه واجتباه وقربه وأدناه وأعطاه ما أعطى الأولياء وخصه بخاتم الولاية، فيكون حجة الله يوم القيامة على جميع الأولياء (...) فهؤلاء الأربعون في كل وقت هم أهل بيته، ولست أعنى في النسب، إنما هو أهل بيت الذكر."[٥٤٧]

وابن عربي يقول: اعلم أن الولاية هي الفلك المحيط العام ولهذا لم تنقطع "[٥٤٨]

هنالك أمكنة لا يعرفها إلا الأولياء مثل جبل قاف الذي مرَّ ذكره[٥٤٩] ويحدثنا روزبهان بقلي في إحدى مكاشفاته أنه رأى أسداً أصفر "كان يمشي على رأس جبل قاف، وهو جبل من زمرّد يتعذر الوصول إليه وهذا الجبل يشير إلى نهاية العالم الأرضي"[٥٥٠]

٧-٤ القطبية والغوثية:

تحدث ابن خلدون عن القطب فقال "وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين يزعمون إنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان "[٥٥١]

هنالك حديث عن النبي ص أنه قال "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها."[٥٥٢]

ولذلك فقد لحظتُ أموراً غريبة تحدث للأولياء الذين يعاصرون أوائل القرون، ولاتتوقف هذه المغايرة عند الصوفيين بل تتجاوزهم

إلى كل العلماء على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم؛ فأبوالعلاء المعرى يقرر بداية عزلته عن الناس فى ٣٩٩هـ وبدءا من ٤٠٠هـ ينفذ ما انتوى إليه؛ وأبويزيد البسطامى يعلن قطبيته وتزداد حدة شطحاته فى أوائل القرن الخامس الهجري؛ وأما الغزالى فإنه يدخل خلوته التى "دامت مقدار عشر سنين " [٥٥٣] ليخرج منها فى ٤٩٩ بناءً على رؤى منامية يصرح بها قائلاً "وانضاف إلى ذلك منامات من الصالحين كثيرة، متواترة، تشهد بأن هذه الحركة: مبدأ خير، ورشد قدرها الله سبحانه على رأس هذه المائة.

وقد وعد الله سبحانه بإحياء دينه على رأس كل مائة، فاستحكم الرجاء، وغلب حسن الظن بسبب هذه الشهادات (...) وأنا أبغى أن أصلح نفسى وغيري." [٥٥٤]

وعندما نقرأ سيرة حياة ابن عربى نرى أن استعداده للقطبية لم يبدأ إلا في ٥٩٧ بناء على رؤيا تدعوه بالقيام برحلة إلى المشرق [٥٥٥] فينفذ ما رأى مرتحلاً من مراكش إلى فاس حيث التقى الشيخ محمد الحصار الذى أخبره أنه رأى الرؤيا ذاتها، وهنا يبدو تعارضاً للوهلة الأولى فيمن هو القطب لكن رواية رؤيا محمد الحصار تنفى هذا التعارض إذ إنه قد رأى أن ابن عربى يحمله إلى المشرق أى القطب ابن عربي؛ ويصل إلى تونس سنة ٥٩٨ ويصل بغداد ٦٠١ "وأقام فيها اثنى عشر يوماً ثم تابع السفر متوجهاً إلى الموصل لزيارة الصوفى الكبير على بن عبد الله بن جامع الذى كان شديد التعلق بالخضر، فقصده ابن عربى للتزود بعلمه ورشق رحيق الحقيقة العرفانى على يديه، وفى بستان هذا الحقانى الكبير تلقى ابن عربى

خرقة الخضر للمرة الثالثة ثم غادر بلاد العراق سنة ٦٠٣هـ عائداً إلى مصر حيث انضم إلى مريديه وأتباعه ليقضي معهم الليالى فى العبادات والمجاهدات الروحية وإتيان الكرامات الإشراقية العجيبة."[٥٥٦] وهذا يؤكد ما ذهبتُ إليه أن الإرهاصات لاتزداد إلا فى أوائل القرون الهجرية.

وقد سافر أبوالحسن الشاذلى من المغرب إلى العراق طمعاً فى لقاء قطب العصر فاجتمع بالشيخ أبى الفتح الواسطى فقال له:"أتطلب القطب بالعراق وهو فى بلادك المغرب، ارجع فإنك تجد القطب هناك، فلما رجع اجتمع بأستاذه القطب الشيخ عبدالسلام بن مشيش"[٥٥٧] وقد أمره أن يتوجه إلى مصر:" وترث فيها القطبانية"[٥٥٨] وهذا يؤكد ماقصدت إليه من أن علامات القطبية تظهر على الأولياء فى أوائل كل قرن حيث يتحقق الحديث النبوى ببعث مجدّد الدين والكرامات تترى فيمن يكون هذا المجدد، وقد وضع الصوفيون القطب فى منزلة عالية فهو الحاكم الباطن لجميع العوالم وقد يظهر القطب في النص الكراماتى على أنه قطب أو يختفى مستترا عن أعين الناس.

ربما كان عبد القادر الجيلانى وابن عربى من أشهر من عبروا عن قطبيتهم شعراً، والتعبير هنا يدخل فى باب الكرامة فالقطب والغوث غالباً ما يكون مخفياً، لكن أن يُجهر به فذلك أمر يحتاج إلى إذن، وهذا ما صرح به الجيلانى فى ديوانه الشعرى الذى أُخذ عليه فيه عدة مواضع عدّها البعض من الشطحات على اختلافٍ حيالها، بيد أن الذى يعنينى فى هذا المجال هو الشعر الكراماتى الذى يحدد

اللامحدود فى القطبية؛ فعبد القادر الجيلانى يقول عما حدث فى معراجه إلى الله:

" ونوديت: ياجيلانيَ ادخلْ ولا تخفْ

عُطيتَ اللوا من قَبل أهل الحقيقةِ

ذراعيَ من فوق السموات كلّها

ومن تحت بطن الحوت أمْددتُ راحتي

وأعلمُ نبتَ الأرض كم هو نبتةٌ

وأعلمُ رمل الأرضِ عدًّا لرملةِ

وأعلم علم الله[559] أحصى حروفه

وأعلم موج البحر عدًّا لموجةِ

وما قلتُ هذا القولَ فخراً وإنما

أتى الإذن حتى تعرفوا مَن حقيقتي

وما قلتُ حتى قيل لي: قل ولاتخف

فأنت وليى فى مقام الولاية[560]

ثم يمضى موضحاً قطبيته:

" وقالوا فأنت القطبُ قلتُ مُشاهِدٌ

وتالٍ كتاب الله فى كلّ ساعةِ

وناظرُ ما فى اللّوح من كلّ آيةٍ

وما قد رأيتُ من شهودٍ بمقلتي"[561]

وفى موضع آخر يصرح الجيلانى بأنه فوق جميع الأقطاب قاطبة.

وولانى على الأقطاب جمعاً

فحكمى نافذٌ فى كلّ عالى "[562]

وإن الأولياء أقرّوا بذلك:

" قالت الأولياء جمعاً بعزمٍ
أنت قطبٌ على جميع الأنام

قلتُ كفوا ثم اسمعوا نص قولي:
إنما القطبُ خادمى وغلامي

كلّ قطب يطوف بالبيت سبعاً
وأنا البيتُ طائفٌ بخيامى "٥٦٣

وفى قصيدة أخرى يقول:

أنا قطبُ أقطاب الوجود حقيقةً
وجميع من فى الأرض من خدامنا

قطبُ الزمان وغوثُه وملاذهُ
والأوليا جمعاً بظل خِبابِنا "٥٦٤

والتعبير عن القطبية شعرا يرتقى بالنص ويجد فيه الولى متسعا للتعبير والخيال، فيرسم صورة للقطب لايدانيه فيها أحد وربما يفسر لنا النص الشعرى الكثير من شطحات الصوفيين التى عبروا عنها شعرا وكأنهم يرون فى الشعر ملاذا يخرج بهم من أفق النص النثرى الضيق إلى فضاء الشعر.

ويحدد الجيلانى القطب بأنه " وليٌّ عهد التوليةِ والعزلِ "٥٦٥

ويقول نثراً:" أنَّى للواصف أن يبلغ وصف القطب؛ ولامسلك فى الحقيقة إلا وله فيه مأخذ مكين، ولادرجة فى الولاية إلا وله فيها موطن ثابت، ولا مقام فى النهاية إلا وله فيه قدمٌ راسخ(...)"٥٦٦

وفى مقام الغوثية يذكر أنه نودي:" ياغوث الأعظم، إن لى عباداً سوى الأنبياء والمرسلين لايطلع على أحوالهم أحد من أهل الدنيا، ولا أحد من أهل الآخرة (...) فطوبى لمن آمن بهم، وإن لم يعرفهم، ياغوث الأعظم أنت منهم."[٥٦٧]

يعرف الشيخ محمد محمد أبوخليل القطب بأنه:

ومـــا الـــقـــطـــب إلا كـــالملاكِ وظـــيـــفـــةً
يـــنـــفّـــذ أمـــرَ الـــلـــه بـــالـــوهـــبِ والـــســـلـــبِ[٥٦٨]

ثم يحكى عن وقائع تتويج أبيه قطباً وغوثاً:

" وأورثتُ عـــلـــمـــاً بل وحـــكـــمـــاً وحـــكـــمـــةً
وقـــيـــل لى اهـــنـــأ حـــيـــث لُـــقّـــبتَ بـــالـــقـــطـــبِ
وقـــد تمّ هـــذا بـــعـــد تـــوجـــيـــه دعـــوةٍ
من الـــســـيـــد الـــبـــدوى أن أحـــضـــر الـــرحب
ومـن بـــاب ســـرٍ ســـرتُ لـــلـــمـــســـجـــد.الـــذي
وجـــدتُ به الأرواحَ فى مـــســـجـــدٍ يُـــســـبي
وأجـــلـــســـنـى الـــداعى بـــكـــرسـى ريـــاســـةٍ
وأعـــلـن تـــعـــيـــيـــنـي، وعـــانـــقَ يـــاحـــبي
وكـــان يمـــيـــنـى من دعـــانى لحـــيّـــه
وكـــان يـــســـارى ابن بـــيـــوم بـــالجـــنبِ
وقـــد كـــان من قـــبـــلى الـــرفـــاعى وأحـــمـــد
كـــذاك الـــدســـوقى وابن جـــيـــلان يـــاحـــبي
يـــلـــيـــهم كـــثـــيـــرٌ بـــالـــبـــريـــة عُـــيـــنـــو
إلـى أن أتـــانـى ذلـك الـــفـــضـــل من ربـي

حـــمـــلتُ لـــوا غـــوثـــيـــة كـــونـــيـــةٍ

كـــذا ولـــواء الـــذكـــر كى أدع لـــلـــرب" [569]

كما أن مصطلح القطبية يدور كثيراً فى الشعر الصوفى فالشاعر عثمان الموصلى يقول فى الشيخ أبو الوفا الشرقاوي:

يـاقـطبَ وقتٍ به مـصـر الـعـلى افـتـخـرتْ

عـــلى الأقـــالـــيم من عُـــربٍ ومن عـــجمٍ" [570]

والقطب "يماثل الرجل الخارق فهو يحاكيه في قدراته النفسية والجسمية الفائقة، ويتخطى بأفعاله قوانين الطبيعة، وله من حرية الحركة ما ينفى أية حتمية فيزيائية فى الزمان والمكان والحركة." [571]

إن وضع القطب فى النص الكراماتى كرئيس للحكومة الباطنية أشبه بالملك فى الحكومة الظاهرة وربما أثر ما أُثُر عن الملوك فى رسم صورة القطب وتحديد شخصيته فهو فى النص الكراماتى البطل الأوحد وهو الذى حظى من الجمال والكمال مالم يشاركه فيه ولى أو مريد من أتباعه إنه الصورة المثلى للبطل العادل الجميل.

جاءنى شخص فى المنام ومد لى يده بعلبة من العاج قائلاً:

تقبل الهدية. ولما صحوت وجدت العلبة على الوسادة، فتحتها ذاهلاً فوجدت لؤلؤة فى حجم البندقة.[٥٧٢]

نجيب محفوظ

:"إن الذى يتكلم من الحائط فى بيت العدل شهاب الدين ليس إنساً.ولاجانا ! ولكنه صوت مبارك من عند الله (...) ولذلك فاسمعوا كلام الحائط."[٥٧٣]

سعدالدين وهبة

مدد ياشيخ موسى، ياقطب، ياواسع المدد، مـــدد."[٥٧٤]

يحيى الطاهر عبدالله

"وقال الناظر: يارجل مادخلنا فى موضوع الكرامات؟"[٥٧٥]

الطيب صالح

طاروا على متن حرفى "كاف" و "النون"؛ دول أهل الخطوة"[٥٧٦]

عبدالحكيم قاسم

الفصل الثامن
توظيف الكرامة الصوفية فى الأدب

وظف الأدباء العرب الكرامة فى الشعر والنثر، ولعل الكرامات أكثر واقعية من وجهة نظرهم قياساً إلى الصدفة مثلاً، ناهيك عن أن الكرامات أثرى خيالاً من الحبكات الأخرى، بيد أن هذا التوظيف جاء للإيمان بالكرامات فى أحايين كثيرة كما أنه قد جاء ساخراً منها فى بعض الأحيان.

وفى المقامات نجد جانباً كبيرا منها وقد أوشكت السفينة على الغرق إلا أن ولياً ينقذها فعلى سبيل المثال يسوق أبوبكر بن محسن باعبود الحضرمى فى "المقامات النظرية" على لسان الراوى الناصر بن فتاح وقد تكالبت الهموم عليه حاكياً "فقيل لي:لو نذرت بنذر معلق بحصول المراد للسيد الولى المدفون بأحسن أباد، لحصل مرادك وكَبَتَّ حسادك.

فنذرت له بما يليق بحالي ويبلغه مالي وعلقت النذور بإدراك آمالي، فما مضت من الأيام عدة من الشهور إلا وتفتحت أبواب الفرح والسرور، فعزمت العزم الصحيح، وصرت لزيارة ذلك الضريح"[٥٧٧]

ويحكي كيف عاش هناك وقتا من الزمن سعيدا بيد أنه يتعرض لعملية نصب واحتيال فيفقد كل ما لديه ويعود مجرداً من المال.

وسواء كان المؤلف مع الكرامات أو ضدها فإنه فى مؤلفه يتعامل مع الكرامات كجنس أدبى دون أن يقصد؛ فالكرامات ترقي بنصه الأدبى وتكون عامل تشويق ومصدر إدهاش للمتلقي.

وهذا التوظيف لا يتوقف على الكرامات فحسب بل يصل إلى توظيف التصوف بشكل عام، وقد تحدث Reuven Snir فى مقاله " Neo-Sufism in Modern Arabic Poetry الصوفية الجديدة فى الشعر العربى الحديث" عن موجة إحياء التصوف أدبياً حيث يرى "أن إحياء الشعر العربى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر هى بداية ظهور جوانب صوفية فى الشعر العلمانى مثل شعراء الكلاسيكية الجديدة (...)"[٥٧٨]

ويرى Reuven Snir أنهم ركزوا على المديح النبوى ولم يتطرقوا إلى مبادئ التصوف والحب الإلهي؛ إلا أن التغير قد حدث فى شعراء الرومانسية الذين ركزوا على الذاتية وتجربتهم مع وحدة الوجود، وكذلك أدخلوا عناصر أسطورية ومنهم المسلمون والمسيحيون، بعد الحرب العالمية الثانية التى أضعفت عند الناس إيمانهم بالتقدم التكنولوجى والعلمى فى خدمة الإنسان ويلحظ أن هنالك اتجاها إلى

العودة إلى القيم الصوفية النقية ووضح هذا فى أشعار الشعراء المسلمين الذين وجدوا فى التصوف ملاذا يهربون إليه.

ويخلط Reuven Snir بين المديح النبوى والتصوف فليس كل من قرض المديح النبوى صوفيا وإلا لعددنا جميع شعراء المديح من القدماء والمحدثين شعراء صوفيين ! ويضع كل الشعراء الرومانسيين فى بوتقة الصوفية ولذلك فشعراء أبوللو كإبراهيم ناجى وعلى محمود طه والشابى شعراء صوفيون وهو خلط عجيب ينبئ عن سوء فهم لماهية الشعر الصوفى وتوظيف الشعراء للمفاهيم والرموز الصوفية.

ويصل Reuven Snir إلى ذروة خطئه عندما يقول:"وانتشار الأدب الصوفى منذ منتصف القرن التاسع عشر متأثر بمدارس غربية مثل الرومانسية والسريالية والرمزية"[٥٧٩] وكأن كل الظواهر الأدبية فى الأدب العربى يجب أن تكون مستقاة من الفكر الغربى وهو افتراض خاطئ منهجياً إذ لم يدرك أن التراث الصوفى قد وُظّف قبل ظهور هذه المدارس فى الغرب.

وقد اتجه الأدباء إلى التراث الصوفى يوظفونه فى إبداعهم، سواء أكانوا صوفيين أم غير صوفيين وقد لعبت الكرامات دور النبوءة فى الرواية التى كانت فى الأعمال الأدبية القديمة تأتى إما من الآلهة أو من الكهنة أوْ من العرافين كمأساة أوديب القائمة على نبوءة تتحقق بحذافيرها.

ولما كان القارئ المسلم لا يؤمن بالنبوءة حيث يعدها الدين الإسلامى نوعاً من الشعوذة لذا وجد الروائى فى الكرامات مخرجاً لحبكة روائية مقنّعة ولا تتصادم مع مفاهيم الدين الإسلامى.

والناظر فى حركة الأدب العربى الحديث يجد أنه يتكئ على التصوف الإسلامى كمعين ومنبع يستمد منه تجدده ويُسقط عليه آليات عصره.

" ومن الملاحظ أن ظهور القصة فى الأدب العربى مزدوج الروافد فلا ننكر أن القصص فى التراث العربى أحد الرافدين."[٥٨٠]

وإذا كان القص العربي التراثي رافدا فإننى أظن أن الكرامات كنص قصصى لبنة أساسية من لبنات التراث القصصى العربى.

تميل Wielandt, Rotraud إلى أن"الروايات والقصص القصيرة المصرية فى القرن العشرين التى تدور كلها أو أجزاء كبيرة منها عن الاعتقاد الشعبى قليلة"٥٨١ وتأخذ أمثلة على ذلك أعمال محمود تيمور (سيدنا)، وأحمد خيرى سعيد و توفيق الحكيم، ويحيى حقي، وعبد الحميد جودة السحار، ونجيب محفوظ، ومحمود البدوي، ومحمود السعدني. وطه حسين (الأيام، شجرة البؤس)؛ ومحمد جبريل: مصر فى قصص كتابها المعاصرين.

وتمضى قائلة "قبل بضع عشرات السنوات كانت اعتقادات سكان المدن ومعاملاتهم متأثرة بالمعتقدات الشعبية أكثر من الآن. ولذلك فإننا نجد أن الأعمال التى تصور التصورات والطقوس الشعبية (...) ظهرت أو تدور أحداثها قبل الحرب العالمية الثانية أو خلالها."[٥٨٢] وربما كان هذا ينطبق على أعمال من الأدب الأوربى لكن الشعر العربى لم ينفصل عن تصورات الطقوس الشعبية والمعتقدات الشعبية

قد يكون توظيف المعتقدات الشعبية "كمنظور حياة لها جاذبية

وسط التغيرات الاجتماعية والثقافية التى تحدث فى مصر فى هذه الفترة؛ إنه البساطة، والرغبة فى البساطة تزداد فى بيئة تسيطر عليها تعقيدات الحياة والتطورات الحديثة يحس فيها الإنسان بعدم الثقة؛ الإنسان يتكل على أشياء كثيرة تعد من وجهة نظر العلم لاعقلانية، ويكسب بالذات لهذا حب هؤلاء الذين يقفون شاكين ضد فرص العلم الحديث"[٥٨٣]وهذا وإن كان صحيحا إلا أن ربطه بفترة معينة يخالف الواقع.

وفى إطار تعليق فيلند Wielandt,Rعلى رواية بين القصرين لنجيب محفوظ تقول:"لكن هذا لا يعنى أن نجيب محفوظ يقبل تقديس الأولياء لكنه يحاول أن ينمى تفهما للدور الدينى فظاهرة المعتقدات الشعبية التى لا يمكن أن تُفهم من خلال التحمس للتنوير أى من خلال الاهتمام المتحمس بالاعتقادات الساذجة كرد فعل على نقدها الشكي"[٥٨٤].

وقد جاءت بعض الروايات أقرب إلى الرواية الاجتماعية التى "هى أقرب إلى الأنموذج الاجتماعى الذى يحمل خصائص طبقة اجتماعية بذاتها، ويعبر عن أفكارها وقيمها، ومن ثم يمكن أن يكون هذا النوع من الروايات مصدراً إلى حد ما من مصادر التاريخ للحقبة الزمنية التى تقع أحداث الرواية فيها، مع الأخذ فى الحسبان ماتقتضيه طبيعة الفن الأدبى من أصول يحقق بها ذاته، وينأى بها عن مجرد التسجيل للواقع"[٥٨٥]ومن هنا فإن هذه الروايات قد تكون رؤية إبداعية للتاريخ يتمثل المبدع فيها الأحداث والشخوص من زاويته هو وليس سيراً فى ركاب المؤرخين.

وقد وظف الأدباء شخصية المجذوب[٥٨٦] في القصة والرواية والمسرحية واستفادوا منه.

وسأحاول التدليل على ماذهبت إليه بأمثلة من الإبداع المعاصر وهي مجرد أمثلة لأن الحصر ليس من مقصد هذا البحث:

٨-١ الأدب العربي:

٨-١-١ الرؤيا في الأدب الروائي كبديل للنبوءة:

توظف الكرامة الصوفية توظيفاً أدبياً في الأدب الروائي الحديث لا سيما في حاجة المبدع إلى تنبؤ بمصير بعض الشخصيات. وحيث إن النبوءة محرمة دينياً وكذلك قراءة الغيب ولحاجة النفس البشرية إلى تشجيع ضد حوادث الزمن المستقبلية يلجأ الأدب إلى سد هذه الحاجة ؛ولذا صاح أبو تمام عندما وجد المنجمين حول الخليفة العباسي المعتصم بالله يحذرونه من فتح عمورية، صاح في عقلانية تنويرية:

السيف أصدق أنباءً من الكتب
في حده الحدّ بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف
في متونهن جلاء الشك والريب[٥٨٧]

وعندما حضر المنجِّم في رواية وا إسلاماه لعلي أحمد باكثير مجلس جلال الدين قال له: "إنك يا مولاي ستهزم التتار ويهزمونك وسيولد في أهل بيتك غلام يكون ملكاً عظيما على بلاد عظيمة ويهزم التتار هزيمة ساحقة (...) فالتفت إلى المنجم قائلاً: يا هذا لا يعلم الغيب إلاّ الله (...) وأرادت جهان خاتون أن تلاطفه (...): إن المنجم أحقر من أن يعرف الغيب يا مولاي."[٥٨٨]

هنا نرى أن الموقف الروائى يحتاج إلى رؤية مستقبلية لا تتعارض مع معرفة الغيب ولذا يلجأ على أحمد باكثير إلى الرؤية المنامية التى لا تخالف الشرع بل توافقه وحيث إن الرؤيا قد تصدق أوتكذب لكن رؤية النبى (صلى الله عليه وسلم) فى المنام حق كما ورد فى الحديث:"من رآنى فقد رآنى حقاً فإن الشيطان لايتمثل بي" ومن هنا يرى قطز النبى فى المنام، وقال له:" قم يامحمود فخذ هذا الطريق إلى مصر فستملكها وتهزم التتار."[٥٨٩] لكن مايفشل فيه باكثير فنياً هو تحقق النبوءة والكرامة معاً وهو الذى كافح التنبؤ إلا أنه صادف وحدث مستقبلاً. بينما يجعل محمد لبيب البوهى فى روايته عين جالوت التنجيم مصاحبا لهولاكو والرؤيا المنامية مصاحبة لقطز الذى يرى النبى (صلى الله عليه وسلم) كما ورد عند باكثير ويقول له ستملك مصر وتهزم التتار وتتكرر الرؤيا أكثر من مرّة ثم قال له الهاتف الكريم "فى نبرات تقطر أسى: ثم تُقتل فهل تخشى القتل؟

الموت فى سبيل الله غايتى فهل سأموت شهيداً؟

أجل.

الحمد لله."[٥٩٠]

لكن العجيب هو تحقق النبوءة من المنجمين ومن رؤى المسلمين وكأن كل فريق لديه طريقته فى معرفة الغيب. لكن ذلك قد يضعف بالبناء الفنى فى الرواية غير التاريخية؛ حيث معرفة القارئ لمصير الأشخاص منذ البدء بينما معالجة الحدث التاريخى روائيا محسومة المصير للشخصيات التاريخية فى ذهن المتلقي. فباكثير والبوهى مثلا

لا ينتويان خلق صورة جديدة لقطز تتعارض مع التراث التأريخى لشخصيته وإنما يسيران فى ركب الكم التاريخى للشخصيات التى هى مرسومة مسبقا فى ذهن المتلقى الإسلامي. لكن النبوءة هنا وإن كانت غير ضرورية لمعرفة القارئ الأحداث المستقبلية؛ لكنها حذرة من جانبين: الأول أنها لا تتحدث إلا عن المصير النهائى للشخصية وهذا المصير معلوم مسبقا بينما تترك تفاصيل هذا المصير ورحلة الشخصية حتى ملاقاة مصيرها في يد الكاتب وهى مجهولة بالنسبة للمتلقي.

الثاني: أن الكاتب يود أن يقول للمتلقى: إن ما تعرفه أنت من خلال كتب المؤرخين يجب أن تنساه وتتعامل مع رؤى جديدة قائمة على خيال إبداعى يساعد المتلقى على تقبل مغايرة المبدع للمؤرخ.

وساعد ذلك على تحرر المبدعين من أحداث التاريخ التراكمية "بحيث لم يصبح الماضى فى أيديهم قطعة جامدة وإنما بعثوا فيه الحياة فانعكست عليه ظلال الحاضر، ولتكتسب بذلك قيمة فنية"[٥٩١]

كما ساعد ذلك على خلق شخصيات من نوع ما أسماه عبد المحسن طه بدر باختيار المؤلف لبعض شخصياته حتى " تدع له مجالاً لاستعراض معلوماته فى موضوع معين حبيب إلى نفسه"[٥٩٢]

فى رواية أضلاع الصحراء يوظف إدوار الخراط الكرامة المحرضة على الجهاد والمبشرة بالنصر. فالشيخ عبدالله يتنزل عليه "جواد أبيض دقيق السيقان عريض الصدر ينهض برأسه فى شموخ وعليه رجل جليل أبيض اللحية أبيض العمامة أبيض الوجه كاللبن الحليب فى ثياب سابغة بيض من الصوف الرقيق. والجواد ينزل من

سقف الحجرة يشقه فى لين من غير صوت كأنه سحابة من بخار متطاير القوام لكنه ثابت (...) والراكب الأبيض يبتسم للشيخ فيضوء العالم كله بنور لم ير له الشيخ مثيلاً قط (...) وراكب الجواد الأبيض يقول بصوته الرخيم ويكرر أبشر يا عبدالله لا ترع فإنك لوافٍ بالعهد وقائم بالأمانة إن شاء الله."[٥٩٣]

ويفسر الجنود هذه الكرامة وهم على أهبة الاستعداد لمقاتلة الفرنجة "كرامة لله كرامة لله، رؤيا، الشيخ رأى رؤيا، جواد أبيض نزل من السماء، الحمد لله النصر لجنود السلطان (...) النصر للسلطان والجنود العرب."[٥٩٤] ونلحظ توظيف التراث الدينى الإسلامى لدى إدوار الخراط دون تنسيق بل أقرب إلى كوكتيل ديكورى للأحداث حتى ينقل الجو الإسلامى فى افتعال فنى فى أحداث روايته؛ فهنا نلمح توظيف الإسراء والمعراج ومجئ جبريل والبراق فى مقابل الرجل والجواد ومقولة الرجل للشيخ عبدالله موازية لمقولة خديجة عندما أتاها النبى (صلى الله عليه وسلم) بعد أن جاءه لأول مرة جبريل فى غار حراء فترجّل إلى خديجة التى هدّأت من روعه قائلة له: أبشر يا بن العم. وهذه الرواية من أضعف الروايات فنا وأسلوبا؛ وتوظيف الكرامات هنا توظيف مقحم لم يخدم الغرض.

٨-١-٢ نماذج من الرواية العربية:

يقف يحيى الطاهر عبد الله بشكل واضح ضد الكرامات التى يرى أنها ضد العقل وأنها سبب رئيسى للتخلف والجهل ففى روايته الطوق والأسورة يسخر من الشيخ موسى "قطب البلد وحاميها، رحل

من يومين، وقد بكته السماء قبل رحيله بيوم بأمر من الله الذى له ملك السموات والأرض"[٥٩٥] ويصف لنا الخبر وقد تجمع المريدون يُنشدون ويذكرون حتى منتصف الليل انتظاراً لطلعة الشيخ البهية من خلوته ولكن لم يخرج."النفوس داخلها الشك، فتكلم المحبون بهمس، ثم ارتفع القول وتضارب:›نكسر الباب‹ من يجرؤ، كشف الستر عقابه شديد، سمعته بالأمس ينادى الله حبيبه: خذني، نادى الله بصوت مرتفع سمعته، بصوت كابد العشق،فى الأيام الأخيرة كان دائم الحديث عن الرحيل وعن الموت مفرق الأحبة والجماعات، ياناس ربما طال به الوقت وهو هناك يطوف بمكة المكرمة، لا، هنا مكانه، ونحن حِمله الثقيل، فلننتظر عودته."[٥٩٦]

إن صدى الكرامات التراثية يلقى بظلاله على الرواية حيث يحدد الصوفى ميقات موته ويتحقق، ويختفى موتاً بينما تبدع الجماعة فى خلق أسطورة حول الاختفاء تتخذ من طى الأرض والمهدى المنتظر معطيات قابلة للزيادة ولكن تظل الأسطورة التى صنعها فى حياته أو التى نُسجت حول حياته أنموذجا للأساطير الحديثة "والفكر الكرامى فكر أسطورى يمثل قطاعاً أو ذهنية معينة، إنه تفسير غير عقلانى للتاريخ والظواهر وهو نمط فكرى واجتماعى أيضا."[٥٩٧]

وتتوالى الكرامات فى الطوق والأسورة:"شممت عطر الجسد وما شممت عفنه؛ الخشبة طارت طيراناً؛ ونحن ما حملنا الخشبة، هى التى سبحت في الجو كغمامة مسرعة، (...) ليلة مماته من كل عام سنحييها بالدف والطبل وبالمزمار وبالخيل سنتسابق، وبالعصى سنلعب وسنقيم الأذكار ونطعم الطعام.(...) أحباب الشيخ وكل

البلد أحبابه جمعوا المال ليبنوا الضريح، تشاوروا فى أمر النقيب الذى سيتولى النذور، (...)وحُسم النقاش بالآتي:

١-البعد عن العدل ولو بشبر واحد لايعلم عاقبته إلا الله.

٢-للمحب والمريد الذى يطلب الشفاعة حق تقرير المزار.

٣-يقيم خليل البياض فى الضريح حيث دُفن الشيخ ويتلقى النذور.

٤-يقيم يوسف سليم فى الحجرة فقد كانت خلوة الشيخ فى الحياة ويتلقى النذور."[٥٩٨]

إذن القضية هى النذور التى يقدمها الناس طالبو البركة ممن لديه القدرة على تحقيق الكرامات ولذلك لانجد ضريحا دون صندوق لجمع النذور، ولقد قامت وزارة الأوقاف بوضع ضوابط لصرف هذه الأموال الكثيرة وحددت نسبةً تئول للنقيب، ومن هنا صار منصب النقيب مُدراً للأموال، إضافة إلى ما يصاحبه من وجاهة ولاسيما فى أيام مولد الولى حيث يخرج ممتطيا الفرس فى معظم الموالد تتابعه العيون والقلوب تبركا به إذ يمثل فى نظر بعض الناس باب الشيخ وحاجبه؛ ومن هنا يقاوم يحى الطاهر هذا المنصب الكَسْبى الذى يستغل جهل بعض الناس وسذاجتهم.

وتبدو لغة يحيى الطاهر الشاعرية أقرب إلى لغة المتصوفة حينما يصور الجو الصوفى حيث المصطلحات الكراماتية والمدد ولكن فى شكل تهكمي.

فى رواية أيام الإنسان السبعة لعبد الحكيم قاسم تأخذ الكرامات حيزا كبيرا فى بناء الرواية فهى تدور فى عالم الطرق الصوفية

والدراويش فالشيخ الحاج كريم صاحب الكرامات المتتالية تزوج أبوه بامرأة من الأولياء من محافظة الشرقية "وحينما ماتت طار نعشها يكاد يقتلع أكتاف الحاملين تريد أن تدفن فى جوار آلها الصالحين لكن الجد الكبير وقف بجوار النعش يبكى ويتوسل لها أن تبقى، وما استقرّ النعش إلا بعد أن وُعد ببناء مقام له قبة وهلال لا تزال ترى قائمة فى مقبرة القرية إلى اليوم"[٥٩٩]وهنا يلح عبد الحكيم قاسم على توظيف الأضرحة لدرجة أنها تُستخدم لإقناع الميتة بالدفن فى مكان بعيد عن الأهل فى مقابل المريدين وذوى الحاجات الذين سيتقاطرون على الضريح حباً وطمعاً. وقد ساعد ذلك على وجود فن معمارى للأضرحة والقباب يتبارى فيه المعماريون فى تصميم القباب وزخرفتها بآيات قرآنية ورسومات فنية توحى بجلال صاحب المقام وتضفى هالة من القدسية على المكان وهذا يساعد على تواتر الكرامات المنسوبة لصاحب المقام.

وعندما يغضب الشيخ "ويثور ويطوح بالزجاجة الفارغة [كوكاكولا] بعيدا فتطير كأنما نبت لها جناحان تطير وتقع وتتقافز إلى أن تستقر واقفة على قضيب القطار سليمة لا تضطرب ولا تميل. يهلل الدراويش للكرامة ويتقاطر الناس وتنتشر الحكاية"[٦٠٠]

وينقل عبدالحكيم قاسم بعض الكرامات القديمة دون توظيف جديد لها إلا أنها تساعد على خلق الجو الصوفى الذى يستحوذ على الرواية ومن ذلك حديثه عن أهل الخطوة "راجل نواحى المحلة الكبيرة.. يقوم الصبح يقول لمراته: يا مرَه هاتى العصايه عاوز أقوم أزور سيدى أحمد الرفاعى فى العراق.. تناوله العصايه، والعصر

تلاقيه راجع..يناولها بلح عراقي، ويقول لها:ربنا رزقني ببلحتين وأنا قاعد اقرأ سورة ياسين جنب مقام الرفاعي..

والإيمان يئز في القلوب كطنين النحل، والناس يمصمصون الشفاه دهشين يحوقلون ويبتهلون،ويصفق الحاج كريم باطن قدمه المجوربة مغمض العينين قائلاً:

طاروا على متن حرفي "كاف" و "النون"؛ دول أهل الخطوة"[٦٠١]

وطيّ الأرض من الكرامات المتوالية في الأدب الكراماتي المدوّن والشفهي وكان من الممكن أن يحمله مضامين أو وظائف جديدة إلا أنه نقله دون تجديد.

وفي محاولة عبد الحكيم قاسم لخلق صراع جدلي حول الكرامات والتصوف أوجد شخصية عبدالعزيز الذي يحاول أن يغير المفاهيم التقليدية السائدة ساخراً من هذا الكم العدمي الذي يقف دون التغيير وتصل قمة المواجهة بين عبدالعزيز وأبيه عندما ينفجر الابن في وجه أبيه والإخوان " أمم من غير عقل...من غير تفكير..أمم بتدوس زي البهايم..مش عارفين رايحين فين.. مش عارفين جايين منين..(...)بتعملوا ايه..رايحين فين..جايين منين..يا عباد الأصنام"[٦٠٢]

ويدافع الشيخ كريم عن نفسه وعن إخوانه ومريديه:" عباد أصنام..؟ الله يلعنك..احنا قلوبنا مليانه بمحبة أولياء الله"[٦٠٣]

ويرى روجر ألن في موقف عبد العزيز الدرامي تجاه هذه الطقوس الصوفية ذروة الحدث التي "تماثل في تأثيرها تحطيم القنديل في جامع السيدة زينب الذي قرأنا عنه في رواية يحيى حقي

المشهورة (قنديل أم هاشم) (...)غير أنه بينما كانت الأحداث التى تلت التحدى فى رواية حقى تستهدف تصوير إمكانية الحلول الوسط والمصالحة فإن مسار التغيير الذى لايرحم فى رواية عبدالحكيم قاسم لايسمح بأى تطور من هذا النوع."[٦٠٤] والحقيقة أن ماتوصل إليه روجر ألن يخالف سياق الأحداث فى الرواية حيث نرى فى نهاية الرواية عبدالعزيز وقد اقتنع بما لم يقتنع به من قبل ويندم على ما فعل؛ ويعيد التفكير فى الأمور من جديد؛ وقد يكون ذلك انهزامية إلا أن جميع أبطال الرواية ينهزمون فى النهاية فالشيخ كريم تنسد شرايينه ويفلس؛وعلى خليل يقاوم العلة؛وامرأة عمر فرهود تشرف على الموت وابنهما الوحيد أزهرى فاشل؛ والشحات يقتل امرأة الشركسي؛ وسميرة تضطر للتخلى عن حبيبها عبد العزيز وتُزوج بغيره؛ ويضطر عبدالعزيز إلى هجر الكلية نحو الزراعة بيد أنه يفشل فيها أيضاً؛ وكأن لعنة قد أصابت الجميع.والعايق يصاب بالعمى مؤملاً فى كرامة تعيد إليه بصره، وهو الذى كان يردد أيام زمان " هوّا فيه ياست شيخ من غير كرامة ؟"[٦٠٥]؛وربما كانت انهزامية أبطاله مؤشراً لموقفه.

وقد لحظت السيدة Hilary Kilpatrick أن " شخصيات عبد الحكيم قاسم عدة أنواع؛ نوع ضحية (...) وآخرون يظهرون بالقوة ولكنهم غير قادرين عن الدفاع عن الآخرين"[٦٠٦] وربما كان هذا صحيحا إلى حد ما.

لكن تشابه موقف عبدالعزيز فى رواية قاسم مع موقف اسماعيل فى قنديل أم هاشم ليحيى حقى صحيح إلى حد كبير فقد عاد

اسماعيل بعد أن درس طب العيون بأوربا ليفاجأ بأمه فى أول ليلة بعد عودته وهى تسكب زيت قنديل أم هاشم فى عينيْ فاطمة فيصرخ:

"حرام عليك الذية، حرام عليك،أنت مؤمنة تصلين فكيف تقبلين أمثال هذه الخرافات والأوهام؟

ونطقت أمه أخيراً:

يابنى ده ناس كتير يتباركوا بزيت قنديل أم العواجز، جربوه وربنا شفاهم عليه...احنا طول عمرنا جاعلين تكالنا على الله وعلى أم هاشم

ده سرها باتع

أنا لا أعرف أم هاشم ولا أم عفريت.

وسمع صوت أبيه كأنما يصل إليه من مكان سحيق

ماذا تقول..هل هذا كل كا تعلمته فى بلاد برّه؟

كل ما كسبنا منك أن تعود إلينا كافرا"[٦٠٧]

وتفقد فاطمة بصرها،لكن انهزامية البطل تقوده فى النهاية إلى استشفائه عينى فاطمة ببركة أم هاشم وبالطب الحديث، ويرى أحمد ابراهيم الهوارى أنه "هكذا آمن اسماعيل بالشعب، ثم يمن بما يؤمن به الشعب من تراث، ويستوعب التراث التبرك بالأضرحة بوصفه من الشعائر التى يؤمن بها الشعب (...) هذه محاولة للتوفيق بين الدين والعلم"[٦٠٨]

لكن أن يأتى اسماعيل لفاطمة بزيت قنديل أم هاشم لايعد هذا توفيقاً بين الدين والعلم بل هو سوء فهم للدين ورضوخ لمفاهيم خاطئة وقتل للروح العلمية وانهزامية للبطل.

وقد قدم أحمد شمس الدين الحجاجي رؤية نقدية تكاد تكون من أدق التحليلات النقدية لرواية "عرس الزين" للطيب صالح في كتابه "صانع الأسطورة"إذ اتكأ على التراث الصوفي في تحليل أحداث الرواية وشخصية الزين بطل الرواية الذي جاء في الرواية ولياً من أولياء الله فهو "مجذوب غير سالك لحظاته كلها محو"[٦٠٩]وربما كان هذا التحليل من أوائل التحليلات النقدية التي أظهرت حضور الكرامات في النص الروائي وجماليات توظيفها لغة وتشخيصاً.

ففي رواية عُرس الزين للطيب صالح يبدأ المؤلف في تشخيص ولي يدعى الزين حيث يبدأ في تأريخ Hagiographie لحياته منذ مولده فهو "أول ما مس الأرض انفجر ضاحكاً، وظل هكذا طوال حياته."[٦١٠]

وهذا يطابق صنع الولي في السِّيَر الصوفية لكبار الأولياء حيث يحدث حدث خارق يجذب الانتباه في لحظة ميلاد الولي؛ هذا الحدث يضع المولود في طبقة الأولياء حيث يغاير أقرانه ويكتسب مكانة تليق بقدسيته.وحتى يتم البناء الولائي للشخصية يأتي المؤلف بشخصية الشيخ الحنين بما يكتنفه من غموض في أصله وتصرفه مابين الظهور والغيبة "يحلف أحدهم أنه رآه في مروى في وقت معين، بينما يقسم آخر أنه شاهده في كرمه في ذلك الوقت نفسه وبين البلدين مسيرة ستة أيام. ويزعم أناس أن الحنين يجتمع برفقة من الأولياء السائحين الذين يضربون في الأرض يتعبدون."[٦١١]ولايصاحب الحنين من أهل البلدة غير الزين يأكل عنده ويقول عنه "الزين راجل مبروك" وشخصية الحنين هي شخصية تسند شخصية الزين وتدعم ولايته.

ويمضى المؤلف معطياً الزين الفتوة فقد كاد يقتل سيف الدين رغم أن الجمع قد أمسك به إلا أنه ممسوس بما توحيه هذه الصفة من قوى خارقة يمتلكها ولم ينج سيف الدين إلا عندما ظهر الحنين وصاح: "الزين..المبروك..الله يرضى عليك"[٦١٢] وهنا فقط تركه.ويتوب سيف الدين على يد الحنين؛ وهو مستجاب الدعوة، ويستخدم الطيب صالح فى روايته مصطلح المعجزة مرادفاً للكرامة ففى عام وفاته "توالت الخوارق معجزة تلو معجزة؛ بشكل يأخذ اللب، لم تر البلد فى حياتها عاماً رخياً مباركا مثل (عام الحنين) كما أخذوا يسمونه."[٦١٣] "وواصل حاج على تعداد المعجزات التى حدثت ذلك العام"[٦١٤] لكنه لايلبث قليلاً حتى يستخدم مصطلح الكرامات وبدا الأمر لديه مختلطاً؛ فالناظر الأزهرى ضد الكرامات دائماً ويكره الزين لأنه تزوج من الفتاة التى كان يتمنى لو ظفر بالزواج منها لولا فارق السن "وقال الناظر: يارجل مادخلنا فى موضوع الكرامات؟"[٦١٥] وأنه يحلل شخصية الزين الذى يعتقد الناس بولايته بينما يرى أن "الناس أفسدوه بمعاملتهم له كأنه شخص شاذ، وأن كون الزين ولياً صالحا حديث خرافة."[٦١٦]

والحنين تنبأ للزين أنه سيتزوج أحسن بنت فى البلد وتصدق النبوءة ويتزوج الزين من نعمة بنت الحاج إبراهيم أجمل فتاة فى القرية.ويتساءل الجميع عن سر هذا الزواج غير المتكافئ وتتعدد التفسيرات ففريق يُرجع ذلك إلى دعوة الزين المستجابة؛ وفريق آخر يرى أن عناد نعمة هو الذى دفعها لهذا القرار؛ بيد أن حليمة بائعة اللبن روت أن "نعمة رأت الحنين فى منامها فقال لها:[عرّسى

الزين[٦١٧]؛ اللى تعرّس الزين ما بتندم]. وأصبحت الفتاة فحدثت أباها وأمها فأجمعوا على الأمر."[٦١٨] أى أن الرؤيا هى التى تحدد مستقبل الشخصية الروائية.

ورغم أن الطيب صالح يناصر المعسكر المناقض للكرامات فى القصة إلا أنه ينتابه شعور صوفى وهو يصف لنا اختفاء الزين لساعات فى ليلة عُرسه، والأفراح مقامة على قدم وساق، ويبدأ الجميع فى البحث عن العريس فلا يجدونه إلا بعد لأيٍ وحيداً جالساً فى الظلام أمام قبر الشيخ الحنين !!

والرواية تتكئ على التراث الكراماتى فى وصف الشخصيات و الأحداث فى توظيف يقوم بمهمة الحكى ويعمل على توثيق العلاقة بين القارئ والأديب، فالبداية لم تكن صدفة وقد ألقى الكاتب بإرهاصات الميلاد التى صاحبت الزين مما جعل القارئ فى حالة انجذاب للرواية يتتبع هذه الشخصية التى ألقى عليها التراث الكامن فى ذهن كل قارئ صفات الولاية حسب المفهوم الصوفى للولي؛ مما جعل المتلقى مشاركاً فى صنع شخصيات الرواية وما على الأديب إلا أن يشحذ ذهن المتلقى بكرامة حتى يتسيّد النص الكراماتى فى الرواية؛ إلا أن خطورة ذلك تنبع من عدم سيطرة الأديب على شخصياته التى لا يشكلها وحده فى هذه الحالة بل تتشكل وفق ثقافة المتلقى ورؤاه وحده بحيث يكون قادراً على خلق شخصياته وحده التى قد تكون متصارعة مع شخصيات الأديب ذاته.

وفى عُرس الزين لايوجد حدث وإنما الرواية تدور حول مقولة عن حدث لم يحدث، وتتحول المقولة إلى مادة يصف الكاتب من خلالها

شخصياته مطوراً النص الكراماتى حتى لو بدا متعارضاً معه فى بناء النص الكراماتى الروائي.

لقد قدم أحمد شمس الدين الحجاجى رؤية نقدية لرواية الزين انتبه لصنع الأسطورة عند الطيب صالح الذى استطاع "أن يستخدم الأسطورة فى عمله الفنى وأن يوظفها كأداة لنقل عالمية التجربة الإنسانية وهو لم يصنع أكثر من أن يعيش واقعه وينقل هذا الواقع بمعتقداته تماما كما يتحرك أمامه"[٦١٩]

فى كيفية وفاة الولى بلال فى رواية مريود للطيب صالح[٦٢٠] أيضاً تبدو الولاية من معرفة لحظة الموت إذ جاء المسجد لابسا كفنه آمًّا الناس وبعد الصلاة يوصيهم بمراسيهم جنازته ويموت فى إرهاصات روحية واضحة.

فى أعمال جمال الغيطانى :ولاسيما فى التجليات يتكئ على التراث الصوفي، بيد أن روايته هاتف المغيب تُبنى على الكرامات فتتحول الحكايات عن رجال البريّة وهم إخوة سبعة أبحروا فى سفينة إلى أمكنة مجهولة إلي علامات استفهام لأسئلة تكلى الإجابة. فعندما مات رسول ملك المغرب إلى ملك المشرق بنى على قبره ضريح "إنه الضريح الوحيد هنا، الكل يسعى إليه، المرأة عند زواجها لا بد أن تأتى مع أقرب صاحباتها، ثم تستحم عند مدخل الضريح، ترتدى ملابسها وتدخل منفردة لتتلو الشهادتين. كل ما يتقنهما الأهالي، بعضهم يحفظ الفاتحة ولكن كل بصيغ مختلفة. سمع عن أمرٍ غريب: اتجاه العذراوات منهن بعد البلوغ إلى الضريح والبقاء بعض الوقت حتى يزيل الشيخ بكارتهن بنفسه فتقع البركة! ويؤكد الجميع أنه فى

حالات معينة وظروف خاصة يجيب على كل من يناديه أو يمد يده خارج التربة المرتفعة حوالى متر عن الأرض ليصافح المستجير به أو القادم لأمر ما. يؤكد أحمد بن عبدالله أنه رأى سحابة تظلل الضريح وينزل منها ما يشبه خيوط الحرير يصعد عليها شخص لم يتحقق من هويته وفور اكتمال طلوعه ارتفعت الغمامة ومضت بعيداً"[٦٢١]

"وتذكر الروايات المتناقلة أُمّاً بقى جنينها خمس سنوات ونزل مكتمل الأسنان، وعُدّ من الخوارق الغريبة لأنه مشى على الفور وقبّل ضريح الشيخ."[٦٢٢]

ويكرر الغيطاني ذكر الحادثة الأخيرة في خططه: " وقبّل طفل صغير ضريح ولي"[٦٢٣]

وفى موضع آخر يتحدث الغيطانى عن الأضرحة التى تحتل جزءاً كبيراً فى الحدث الروائى " أعيد بناء السور وتحصينه، كما شُيدت الأضرحة للصالحين المشهور أمرهم عند كل ركن من السور ضريح؛ عدا الجهة المطلة على البحر الأعظم، هناك ثلاثة يرقدون تحت قباب خضراء ترى من بعد سحيق كما يؤكد البحارة الذين أوغلوا (...)طفنا بضريح سيدى عبدالقادر، ورد إلى ديارنا من المشرق، وفى الليالى التى يكتمل فيها القمر يسمع صوته من داخل القبر إذا أُلقى السلام عليه من عابر سبيل.

اجتزنا العتبة المؤدية إلى الداخل، هدوء فى سائر عناصر الموجودات، رقة فى الضوء، فى الفراغ، فى وجوه الخلق، حطوا بى فى مكانى المعتاد عند قدومى للزيارة، إلى يمين الداخل حيث أقيم صلاتى وأبدى نسكي، وأتأمل ما كان منى وما يمكن أن يكون(...)"[٦٢٤]

فى متون الأهرام للغيطانى نجد نظرة صوفية للأهرام التى يخلع عليها الكاتب صفة القداسة ويتعامل معها على أنها القطب والغوث حامل الأسرار ويبهت جميع شخصيات روايته معليًا من المكان (الأهرام).

فهى " مقصد الشيخ تهامى، لب اهتمامه، بؤرة تفكيره، سبب وجوده فى هذه المدينة، فى هذا الموضع، من مكانه فوق الرصيف كان يطوف بالأهرام "[٦٢٥]

" حضور الأهرام مهيمن، قوي، يؤطر الموجودات "[٦٢٦]

" ينتهى عندها الأفق ويقع الخط الفاصل بين الأرض والفراغ العلوى"[٦٢٧]

هذا البناء المهيمن، المشرف، الملغز، المحيط، الدال، الجلي، الغامض، الراسخ، الصاعد، الثابت، الساري، القريب فى بعده، البعيد فى قربه"[٦٢٨]

كما أن معظم شخصيات الرواية يتعاملون بحس صوفى تبعثه الكرامات المنتظرة ولذلك فهم يجيئون من المغرب والمشرق قاصدين الأهرام، بل إن أحدهم يأتى بناء على توجيه شيخه ويقضى سنوات عمره راصدا الأهرام متطلعا نحوها " غير عابئ بشئ الا إلمامه بكل ما يمكن أن يعينه على معرفة الأهرام والعودة فى يوم، شهر ما، سنة ما، لحظة معينة يمثل فيها بين يدى شيخه"[٦٢٩]

ويتحرك بناءً على رؤية شيخه مناما[٦٣٠] حيث يوجهه من المغرب؛ والطفل الذى ينحدر من أسرة تتسلق الأهرام طمعا فى قروش النّظار من السائحين والعابرين تظهر عليه كرامات الأهرام منذ الصغر

"يؤكد كل من رآه أنه كان دائم التطلع إلى جهةالأهرام، إلى الغرب، لو حملته أمه يستدير إذا جاءت به يرتفع صراخه، مع الوقت أدركت فلم ترضعه إلا اذا جلست وظهرها إلى الأهرام. عندئذ تعلق شفتاه بثديها، وإذ يكتفي يدركه الندم العميق"[٦٣١] وهذه الكرامات تذكرنا بكرامات الأولياء فى المهد

لكن الفارق أن النص التراثى كان ينسب الكرامات إلى الولى القادم (الطفل ذاته) بينما يطور الغيطانى المفهوم إلى نسبة الكرامات إلى المكان المقدس وهو الأهرام الذى يخلع عليه صفات الولى القطب الغوث.

كذلك فإن شخصيات كثيرة تتوقف على بعض أسرار الأهرام وتختفى من فوق سطح الأهرام كابن شحنة والطفل المتسلق أو تموت داخله أو تصاب بالسكوت إذا قدر لها الخروج. ويلعب الهاتف دورا قويا فى تحريك الشخصيات فها هو الخوارزمى " عندما جاءه الهاتف الخفى بما دفع به إلى الحَيْدة عن المسار وتغيير الوجهة"[٦٣٢] ولايفوتنى أن أنبه الى أسلوب الغيطانى فى متون الأهرام الأربعة عشر والتى أسماها بمصطلحات صوفية مثل" تشوف، إدراك، تلاشى، نشوة، ظل، ألق،صمت... الخ " وما فى المتن والشروح من اتكاء على التراث الصوفى فى الكلمات الموجزة التى تحتاج إلى شروح مطولة.

يبنى عبد الرحمن فهمى روايته "رحيل شيخ طريقة" على الكرامات محاولاً القضاء عليها فى حرب واضحة؛ وتبدأ الرواية بعودة مهندس الإلكترونيات الدكتور مهدى صالح من أمريكا ليشارك

في دفن والده الذى كان شيخاً لإحدى الطرق الصوفية واختلف الابن معه فهاجر إلى أمريكا حيث درس ويعمل هناك وكان الأب قد أوصى ألاَّ يدفن إلا فى حضور ابنه الذى ودَّ أن يخلفه شيخاً للطريقة من بعده، يتجه الابن إلى المستشفى حيث يتقابل مع إخوته الستة ـ الذين يكبرهم ـ والمريدين الذين نزحوا من كفر المهادوة حتى يدفنوا شيخهم، ومن هنا تبدأ المفارقات فالمريدون يلتفون حوله فى حب يقبلون يديه لأنه شيخهم لكنه يرفض ذلك، ويقابلهم بعقلانية ترفض التصوف تماماً.

ويبدأ عبد الرحمن فهمى فى التهكم من الطرق والكرامات والتصوف يشكل عام فمهدى "بنى مستقبله على أن يعيش فى أمريكا إلى الأبد، وأبحاثه فى الإلكترونيات قد ترشحه لجائزة نوبل، ثم إنه متزوج من أمريكية وله منها ولد وبنت لايعرفان من العربية إلا اسميهما صالح وزينب، فكيف يهدم هذا كله ليلبس العمامة الخضراء ويشتغل مايسترو لحلقات الذكر!!"[٦٣٣]

ويتجه مهدى نحو المشرحة لاستلام الجثة ويفتح الموظف ثلاجة المشرحة حيث توجد جثتان فقط ويناول المغسل جثة الشيخ صالح ليغسلها ولا يستطيع أن يرى جثة أبيه لانهمار دموعه ثم تبدأ الكرامات:

١ – يدنو المغسل من مهدى ويقول له:"عندما كشفت عن جثة المرحوم أدركت أن الملائكة قد سبقتنا وغسلّته.

نعم ؟!! قالها مهدى وهو ينظر إليه فى حدّة."[٦٣٤]

٢– يتذكر مهدى حواراً دار بينه وبين أبيه "لكن هناك علوماً أخرى اسمها علوم المكاشفة، يعنى علوم الباطن، وهى علوم لايعرفها

الإنسان من الكتب، بل من نور يشرق فى قلب الواصلين من أولياء الله فيكشف لهم عن أسرار الوجود فى لمح البصر.

فقال مستنكراً: يكشف أسرار الوجود فى لمح البصر؟؟

فردد الشيخ فى إصرار: نعم يكشف أسرار الوجود فى لمح البصر.

يعنى الولى الواصل يعرف فى لمح البصر أن الذرّة مثلاً تتكون من الكترونات تدور حول البروتون ؟

مؤكد.(...)

بابا هل تصدق حقاً أن سيدى الطشطوشى عرف تركيب الذرة من مئات السنين ؟

ليس سيدك الطشطوشى وحده، بل كل ولى صالح ترقى إلى درجة الواصلين."[٦٢٥]

٣- فى الطريق يركب مهدى بجوار سائق عربة الموتى ويفقد السائق القدرة على التحكم وتحدث حادثة ويفقد مهدى الوعى ثم يسترده على صيحات هنداوى المجذوب "صلوا على حضرة النبي، بركة الشيخ (...) شفتم بركة الشيخ؛ السيارة واقفة على طرف الريَّاح ولكن رأسها إلى السماء، الشيخ يريد أن يصعد إلى السماء ل الأن ينزل إلى الماء، اذكروا الله ياغجر، الله حي، الله حي"[٦٣٦] ويقترح مهدى أن تُنقل الجثة إلى سيارة أخرى بعد أن تيقن من تلف السيارة إثر الحادث لكن هنداوى يأمر السائق "اركب ياسطى ودورّ؛اركب وقل: يابركة حضرة النبى !

وهمّ مـهدى بـأن يـعتـرض (...) قـفـز السـائق إلى مـقـعده فى السيارة، وأدار المحرك فدار "٦٢٧" وهنا يبدأ الصراع الداخلى لدى مهدى فكيف لهذا المجذوب الأمى أن يعرف أكثر منه، وهل فى الأمر كرامة؟ ومن ثم فالعقل ليس قادراً على أن يستوعب كل الأشياء !

وتتوالى الكرامات مثل الضوء الذى يشع من الحجرة التى يرقد فيها جثمان الشيخ انتظاراً لدفنه فى الصباح، ويصرخ المريدون ويكتشف مهدى أن سبب الضوء انعكاس مصباح سيارة، ولكن عبثاً يحاول إقناعهم بذلك؛ وفى الجنازة يصر الميت على أن يزور كل أضرحة البلدة، ويكتشف مهدى أن أخاه مرسى سبب تغيير دفة النعش لتثبيت الكرامة.

وفى أثناء الرواية يناقش عبد الرحمن فهمى قضية الكرامات مناقشة صريحة وهل هنالك وسيلة للعلم خارج نطاق العقل ؟ وتتخذ المناقشات صراعا فى نفسية البطل بين العقل واللاعقل ويتأرجح البطل فى انهزامية أمام أمه التى تؤمن بالكرامات ليتدخل المؤلف منهياً الرواية بمشهد غريب إذ أن الجنازة تقترب من المقبرة وسرعان ما يأتى المحافظ وقيادات المحافظة فى كوكبة من الشرطة ويأخذون الجثمان عنوةً إلى مبنى مجاور بحجة الصلاة عليه، ويمتعض مهدى لهذا الموقف لاسيما عندما يرى السفير الروسى والسيد كوزيموف المستشار الثقافى بالسفارة الروسية اللذيْن بصحبة المحافظ الذى يشرح له الأمر: إن الجثة التى أحضرتموها من المستشفى هى جثة والد الرفيق كوزيموف، وكان قد مات فى المستشفى وقد استبدلها موظف الثلاجة خطأ!! وتتم عملية مبادلة الجثث سراً ويخرج الجثمان

ليوارى بالتراب وسط صيحات المريدين.ويقفل مهدى راجعاً إلى أمريكا.

فى نهاية الرواية يقرر أن " المسألة كامنة فى أعمق أعماق الإنسان (...) الحل هو مجابهة الباطل حتى الموت، فهى التى تنصر الحق فيستقر، ويغير حياة الناس إلى الأفضل، سقراط شرب السم فبدأت الفلسفة "[٦٣٨]

إذن يختار عبد الرحمن فهمى المواجهة ضد ما أسماه بالخزعبلات والأكاذيب والخرافات، والرواية فى أساسها تهدف إلى ذلك، لكن البطل ينهزم مفضلاً الهروب بديلاً عن المقاومة ويرى أن أمريكا ملأى بالخرافات أيضاً ولكن من أنواع أخرى، والرواية تثير عدة تساؤلات حول ماهية العقل ووسائل المعرفة، وحاجة الإنسان إلى أشياء يخلقها بذاته كى يصدقها، وهى أسئلة فلسفية جديرة بالطرح والمناقشة.

يلجأ عبدالرحمن بن هدوقة فى روايته "الجازية والدراويش"[٦٣٩] إلى الكرامات فى رواية ناقشت فى ثناياها العديد من الآراء الفلسفية؛ ولذا لم يكن تناول المؤلف للكرامات تناولا بسيطا بل اعتمد عليها فى بنائية الأحداث؛ مضفياً على الأحداث قداسة صوفية بحيث تحولت بعض شخصياته إلى أبطال صوفيين غدت الرواية تبعاً لذلك تدويناً فلسفياً لمناقبهم وسيرهم.

يبنى سالم حمّيش روايته " العلاّمة[٦٤٠]" عن الحلم والرؤيا عند ابن خلدون ويحاول تفسير كتابات ابن خلدون ورؤاه وتناقضاته مقتطعا مقتطفات من كتابات ابن خلدون محلّلا لها وقد أضرت تلك المقتطفات

بالبناء الروائى الذى اتكأ كليّة على نصوص ابن خلدون فكاد أن يهوي؛ فابن خلدون يُملى على كاتبه " حمُّو " "إنى لست من ناكرى كنه الحلم والعجايب بل من مستطيبيه عند مقامه الأنسب الأرضى، ولست من رافضى الحكايات الغريبة اللطيفة، ذات الإيحاءات القديمة الجديدة بل من مستقبليها بالتهليل والترحاب فى دوائر التخيل والإيهام"[٦٤١]

ويضيف خميش على لسان ابن خلدون "وأذكر أنى فى لجة الهول كنت أدعو الله أن يهبنى قدرة على إيقاف الموت الكثير باجراء الخوارق والكرامات، وكان أن تيسّرت لى هذه الموهبة أثناء رؤاى المنامية وأحلامى اليقظة فأعتقت أرواحا، وأزلت آلاما، واخترعت علاجاً، حتى إذا انتبهت وجدت نفسى تهذى وتعود إلى شرخها وعجزها [٦٤٢]

أى أن حميش يتخذ من رؤية الكرامات لدى ابن خلدون مدخلا نحو تحقيق أمنيات لا يقدر على تحقيقها يقظة، وفى الرؤيا يورد سالم حميش رؤية لابن خلدون وقد أعّد للسفر نحو الحج من مصر وقد "استيقظ على وقع رؤيا منامية غريبة، رأى نفسه فيها وهو يودع أم البنين (زوج كاتبه حمو الحيحى) وقد صارت زوجته !، فيرحل إلى مدينة شرقية قريبة حيث يقابل حفيد جنكيزخان تيمور الأعرج، وما إن دخل عليه الحيحى حتى شرع يحكى له الشق الثانى من الرؤيا دون الأول"[٦٤٣] ومن عجب أن ما رآه مناما حسب الرؤية الروائية قد تحقق فبعد عودته وجد كاتبه الحيحى قد مات؛ وترملت امرأته فتزوجها ابن خلدون، أى أن حميش يسوق الكرامات بديلا عن النبوءة وتمهيدا للأحداث التالية.

وشرع بعد ذلك نحو دمشق حيث كان تيمور يحاصرها فالتقاه وحاوره وكتب عنه، وربما أخفى ابن خلدون شغفه بلقيا تيمور موعزاً للقارئ أن "شيخى إمام المعقولات محمد بن إبراهين الآبلي، رحمة الله عليه قد تنبأ لى برؤية ذلك الكائن الذى سار على نهج أسلافه فى تدويخ بلاد الإسلام هموما وتحريقا، ومخض عبادها بطشا وترهيبا"[٦٤٤] وقد ورد ذلك فى كتاب التعريف صراحة إذ روى ابن خلدون "وكان شيخيرحمه الله إمام المعقولات محمد بن ابراهيم الآبلى متى فاوضته فى (شأن الثائر تيمور) أو سايلته عنه يقول: أمره قريب، ولابد لك إن عشت أن تراه [٦٤٥]

وربما وظف ابن خلدون تلك الرؤى والكرامات دفعا لاتهامه بلقاء تيمور وقد أهلك الحرث والنسل فى بلاد الإسلام إلا أن ابن خلدون يوهم القارئ أن لقاءه تم حيث كان قضاء لا مفر منه، بيد أننا لو قرأنا ما نقله ابن عربشاه فى كتابه " عجائب المقدور فى أخبار تيمور " عن لقاء ابن خلدون وتيمور الذى استضافهم فى وليمة لعرفنا ما اتخذه ابن خلدون الذى تغلّب عليه هوى التأريخ والتدوين والرحّالة على هوى الدين والناس يقول ابن عربشاه.:"وكان من جملة الآكلين: قاضى القضاة ولى الدين؛ كل ذلك وتيمور يرمقهم وعينه الـخُزْر تسرقهم، وكان ابن خلدون أيضا يصوب نحو تيمور الحدَق، فإذا نظر إليه أطرق، وإذا ولى عنه رمق، ثم نادى وقال بصوت عال " يا مولاى الأمير الحمد لله العلى الكبير، لقد شرّفتُ بحضورى ملوك الأنام، وأحييت بتواريخى ما ماتت لهم من أيام، ورأيت من ملوك الغرب فلانا وفلانا، وحضرت لدى كذا وكذا سلطانا، وشهدت مشارق الأرض

ومغربها. وخالطتُ في كل بقعة أميرها ونائبها، ولكن لله المنّة إذ امتد بي زماني، ومنّ الله عليّ بأن أحياني حتى رأيتُ من هو الملك على الحقيقة، والـمُلكُ بشريعة السلطنة على الطريقة فإن كان طعام الملوك يؤكل لدفع التلف فطعام مولانا الأمير يؤكل لذلك، ولنيل الفخر والشرف "، فاهتز تيمور عجبا، وكاد يرقص طربا(...)[٦٤٦]

إن ابن خلدون في توظيفه للكرامات على أساس تبريري فهو يبرئ نفسه من عشق امرأة متزوجة في الرواية وهذا ما يفعله حمّيش الذي ود طوال روايته أن يكون محاميا عن ابن خلدون ومكلفا بالدفاع عنه وكأن ابن خلدون قد وكّله لكي يقوم بهذا الدور فالشغف الجنسي عند ابن خلدون وعشقه لامرأة كاتبه يبرره حميش من خلال حلم وكأنه قدر لايد لابن خلدون فيه؛ ويجئ التوظيف الكراماتي لدى ابن خلدون لتبرير مقابلته لتيمور ومدحه المسرف له كما رأينا وقد رأى أنه بمقابلته له وتأليفه كتابا عن المغرب جغرافيا وسياسيا واهداء ابن خلدون لتيمور هذا الكتاب مماجعله في موقف صعب فأتى بالكرامة الثانية وهي أقوى: إن شيخه تنبأ له بأنه سيقابل ابن تيمور وكأنه قدر "وكان أمر الله قدرا مقدوراً "

وتبدو فلسفة الكرامات في توظيفها السيكلوجي لسبر أغوار نفس ابن خلدون فكما يروي سالم حميش في روايته العلاّمة[٦٤٧] يزور مقابر دمشق ويفاجأ برجل " عجوز عار إلا من مئزر، كز الوجه أغبره، أملص الرأس، أشعث اللحية، عديم الأسنان، نأتئ العظام كأنه خرج من قبر فخاطبه قائلا: ترحمت عيهم جميعا إلا علي ؛ أنا أويس القرني اتبعني ياسيدي أدلك على قبري "[٦٤٨].

هنا يلجا سالم حميش الى التبرير لأحداث ستقع إذ أن أويس القرنى "اختفى فى الغار تاركا شاهديه فى حالة حيرة وذهول، واستفحلت حالتهما لما شاهدا الرجل نفسه متربعا على رأس نخلة سامقة بباب المقبرة، وهو يبكى ويصيح: " أرى الجامع نسرا مكسّر الجناح، أرى قبعة مكفهرة ذاهلة ! من يعد لدمشق مآتمها الأخرى"[٦٤٩]

وهذه الكرامة رؤية يود من خلالها سالم حميش أن يسوقنا إلى مبدأ القدر النازل لا محالة مرة أخرى إذ سرعان مادخل تيمور الذى أكد لابن خلدون أنه لن يمس دمشق فأشعل فيها النار وأحرق قبة المسجد الأموي، وهذا الجرم ليس لأن تيمور قد أخطأ ونكث بوعده ولكن كما يرى حميش لأن أويس القرنى قد تنبأ فى كرامة صارت مطية لما سيحدث أى أنه قد يُبرئ تيموراً ويبرئ صاحبه ابن خلدون أيضا.

فى رواية "دنقلة" لإدريس على نقد ضد الكرامات بشكل واضح فالكاتب لايؤمن بحدث فوق طاقة البشر، بل إن كل شخصيات روايته مسؤولون عما يحدث منهم ولهم، ولا مجال للصدف فعوض شلالى أحد أبطال الرواية يعرف مصيره حين اتخذ طريقه نحو المقاومة وعندما يعود إلى النوبة يكون كل هّمه وهمّ رفاقه "كيفية تثوير أهل النوبة الذين يعبدون الأولياء بعد الله[٦٥٠] " ويتذكر عوض شلالى كيف أن أستاذه مليجى قد واجهه أمام أهل قريته لأنه " علم الأطفال أن الشيخ عبد الرحيم صاحب الكرامات والقباب الخمس فى البر الغربى كان رجلا عاديا لايشفى أو يغيث ولهذا قالوا عنه كافر رغم دينه

الإسلامي"[٦٥١] ويحاول إدريس على أن يقنعنا على لسان عوض أن الكرامات كذب ولا جدوى منها ويصل إلى ذروة الإنكار عندما يصرح" أيها الإخوة، جئت أعلمكم: الشيخ الشاذلي الذى تسيرون الأيام الطويلة لزيارة مقامه والتبرك به هو مجرد خرافة، فماذا يتوقع سوى لغة السيف عقابا (....) فى كل قرية ومدينة كذبة كبيرة يسمونها الولي"[٦٥٢]

لكن هذه الخطابية الزاعقة قد أضرت البناء الروائى الذى غدا موقفا ضد الكرامات فى مواضع قد فرضت على شخصيات الرواية وأحداثها وربما كان هذا موقف الكاتب الذى ودّ لو يعبر عنه بشكل مباشر إذ أن أحداث روايته الثانية " انفجار جمجمة " تتهكم من الكرامات والمقامات أيضاً؛ فبلال أحد بطليْ الرواية يُقتل على الحدود المصرية الليبية وتُترك جثته فوق أسلاك الحدود وكل طرف يعلن عدم وقوع الجثة فى دائرة حدوده، "وأنت مبدد هنا، معرض للفناء، ومعلق بين مدينتين، مبروكة تخلد جسدك، فينسجون حولك الأساطير، وقد يقيمون لك ضريحا ويطلقون عليه مقام سيدى بلال أو الشيخ مسخوط أو مولانا سيدى أبو صارى (....)وستتوافد على مقامك العاقرات من نساء العرب من شتى المدن للتبرك بمقامك ووضع النذور فى صندوقك، وحتما ستقع مشاكل معقدة عند توزيع حصيلة الصندوق بين أهل الصحراء الذين خلدوك، وأهل المدينة الذين طاردوك"[٦٥٣].

وقد يلجأ بعض الأدباء ممن بنوا رواياتهم على الكرامات إلى محاولة تبرير بنيتهم هذه كما فعل الهامى عمارة فى روايته "الساكن والمسكون" حيث كتب"عزيزى القارئ:ظاهرة الدرويش أو المبروك من

الظواهر المألوفة في حياتنا ومن حولنا؛ وقد تجنب الناس الاقتراب من معظم الظواهر والأفعال الخارقة التى تنسب اليهم، فهو تيه محفوف بالمخاطر.

هذه الرواية هى سرد أمين لوقائع جرت بالفعل وقد كتبت كما حدثت ودون محاولة منى لتفسير ماحدث"[٦٥٤]

وهو بهذا يبرر ماحدث فى الرواية من أحداث موهما القارئ أنه لم يك إلا ناقلا لما حدث.

٨-٢ الشعر:

استخدم كل من عبد الوهاب البياتي وصلاح عبد الصبور شخصية الحلاج لتوظيفات سياسية واجتماعية حديثة.

بل إن صلاح عبد الصبور فى مسرحية " مأساة الحلاج " يصر على أن الناس يجب أن تتحرك نحو تحقيق العدل ولا تنتظر المعجزات والكرامات.

" يا مولاى

فى عصر ملتاثٍ، قاسٍ، وضنين

لن يصنع ربى خارقةً أو معجزةً كى ينقذ جيلاً من هلكي

قد ماتوا قبل الموت "[٦٥٥]

ويلحظ فى توظيف الحلاج فى الأدب العربى أنه لم يعد الشخصية التاريخية المتنازع عليها بل أسقط كل أديب عصره على حلاجه الخاص يراه كيفما يود ويصوره أنَّى أراد

وقد شغف البياتى بالشخصيات الصوفية حباً فهاهو فى "بكائية إلى حافظ شيرازى "يقول:

"ناداك فى الغيب منادٍ:(حافظاً) الأسرارْ
لم يبق فى الجرّة خمرٌ
فاكسر القدحْ
ولنرهنِ الخرقة عند سيدى الخمارْ
(...)
فلتسعدى شيراز
يامدينة الحكمة والشعر
وأرضَ أولياء اللهْ"[٦٥٦]

هذا التوظيف يذكرنا بحب الشاعر الألمانى جوته Goethe لحافظ شيرازى وهذا ما نراه في الديوان الشرقى الغربي.

يكتب بدر شاكر السياب فى إحدى رسائله إلى توفيق صايغ وهى من أواخر رسائله شاكياً مرضه وآلامه؛ ثم يقول له "انتظرنى فى الربيع، سنذهب معاً لتقديم نُذْرى إلى سيدة حريصا، وإلى الشيخ الأوزاعي"[٦٥٧]

من هنا فإن بعض الشعراء العرب اتخذوا من الشخصيات الصوفية أبطالا لكتاباتهم الشعرية أو اتخذوا من الأسلوب الصوفى بعمقه وتراكيبه وإشاراته فضاء للنص الشعرى واتخذوا من الكرامات حبكة لبعض قصائدهم كما رأينا عند صلاح عبدالصبور والبياتى وأدونيس وأحمد الشهاوى ومحمد أبودومة وغيرهم.

فى مقدمة محمد بنيس لديوان عبدالوهاب المؤدب "قبر ابن عربي" يؤكد هذا الحضور قائلا"فى الكتابة نكون فى حضرة ترجمان الأشواق على منوال لم يكن ليخطر على بال ابن عربي"[٦٥٨] ويمضى

قائلا"إن قبر ابن عربى إعادة كتابة حديثة لتجربة العشق فى زمن لم يعد يلتفت للعشق ولا للعشاق، لقاء يتحقق بعد ثمانية قرون عبر تجربة شعرية تنفذ مباشرة إلى الزمن الشعري"[٦٥٩]

لكن هذا التوظيف للكرامات يبدو مختلفاً عما هو مألوف لدى الشعراء؛هاهو المؤدب يقول:"أمامى القمر، يسجد، غُراب الليل يحوِّمُ، فوق طُرُق المنفي، إلى بلاد الغرب أمشي، على كفن أبيض، يغطى الأرض، فى الريح تجف صور الباطن، أمحو حروفاً كتبتها، فوق دفاتر مستورة، فى أقصى شغاف القلب"[٦٦٠]

تتحول كل الصور المجازية فى نص المؤدب إلى نصوص تفتق ذهنية النص المحدود إلى فضاء لايُحَد فى لغة رمزية إشاراتية نحو رمزية أعمق قد لاتُفك طلاسمها لتبقى فى انتظار ولى مأذون له بفتح هذه الخبيئة النصية لتتوالد المعانى وتبعث من جديد؛"ينفتح الأثر، مثل نافذة؛ يلمع الليل، صحنٌ هو القمر، أُكسّره، وأخفيه تحت دائرة الحريق"[٦٦١]

وقد اكتفيت بهذا القدر لأن توظيف الكرامة فى الشعر لم يأخذ شكل الظاهرة الكبيرة كما أن بعض الشعراء ممن لم يحسنوا فهم الظواهر الصوفية جاء توظيفهم للكرامات توظيفاً سطحيا مفروضاً على النص مما أضر به كثيراً.

ومن العجيب أن ينحو محمد الصباحى باللائمة على الشاعر المغربى محمد السّرغينى لأنه اتجه فى كتاباته الشعرية للنهل من المعين الصوفي؛ ففى مقاله"حول فشل لقاء الشعر والفلسفة بالتصوف" يتحدث عن لقاء الشاعر المغربى محمد السّرغينى بابن

سبعين ويرى أن "لجوء السرغيني للصوفية بمثابة اعتراف صريح منه بعجز اللغة واستحالة الدلالة وترهل المؤسسة النقدية، فبات التصوف بهذا الاعتبار ملاذا للدلالة ورمزا للمغامرة والتمرد والعنفوان"[٦٦٢]وهو رأى يفتقر إلى المنهج والأدلة، وربما كان مصيبا فيما يخص الفلسفة ولقاءها بالشعر لكن الأمر مع التصوف عكس ماذهب إليه.

بيد أن هنالك ظاهرة الشعراء الصوفيين الذين كانوا يعبرون عن لسان حالهم شعرا ووجدوا فى الشعر ضالتهم نحو تحميله أحوالهم ومقاماتهم وهذا ما نبهت إليه من قبل.

٨-٣ القصة القصيرة

يعالج محمود تيمور فى قصته القصيرة "ولى الله"[٦٦٣]التى نشرها فى مجلة الهلال(أكتوبر ١٩٤٥) قضية الكرامات، فالبركات قد حلت على الشيخ الطشطوشى الذى اعتكف بقرية "أبى العرائس" التى تبعد كثيراً عن الزقازيق وغدت قبلة للمرضى وذوى الحاجات لشهرته فى القدرة على شفاء المرضى؛ وقضاء الحاجات من خلال الكرامات؛ حتى إن برهان بك وكيل مديرية الدقهلية يلجأ إليه كى يعالجه من التواء فى قدمه كان قد_أصيب به عندما سقط عن فرسه بينما كان يطارد أحد المجرمين فى إحدى قرى أسيوط إلا أن_برهان بك يكتشف بعد لأيٍ أن الشيخ الطشطوشى هو مجرم أسيوط"العصلوجي" طريد_العدالة؛ ويدبر برهان بك الأمر للقبض عليه حتى ينال عقاب مااقترفه إلا أنه يتراجع عن ذلك بعد أن يشعر باختفاء الألم الذى لازم قدمه عشر سنوات !

وتبدو_معالجة محمود تيمور للكرامات وتوظيفها فى قصته

معالجة مضطربة بين التكذيب والتصديق_كذلك فإن توظيفه للكرامات جاء توظيفاً سطحياً يفتقد دلالته الفنية.

وقد استفاد عبد الحكيم قاسم فى رواياته وقصصه القصيرة من تصوير الكرامات للملائكة إذ أدخل الحوار بين الملائكة والشخصيات. فقد حاولت الملائكة أن_تدعو إلى عقلنة الأشياء كما ترى Hilary Kilpatrick "أن الروح تحكم على أعمالها حسب ضميرها وتأخذ بعين الاعتبار الظروف الخاصة لكل عمل بشكل عقلاني" [٦٦٤]

فى طاحونة الشيخ موسى ليحيى الطاهر عبدالله تدور حرب باردة بين العقلانيين يمثلهم التاجر نظير وبين ذوى المعتقدات الشعبية يمثلهم العمدة ورجال القرية ونسائها الذين خرجوا عن بكرة أبيهم ضد مشروع نظير لإنشاء طاحونة رغم أن المشروع سيرحم الرجال والنساء من حمل الحبوب لطحنها بالمدينة لكن الناس تعتقد أن الطاحونة لن تدور إلا إذا ذُبح طفل صغير على عتباتها ولُطخ حجرها بدمائه، ففضل الناس التعب بديلاً عن فقد أحد أبنائهم. تدور حوارات بين الناس ونظير الذى يحاول إقناعهم بالعقل "استشهد بكلام ناس عقلا، ولا حد قاله انت فين. ياخلق ياهوه، حنقصر المشوار للبندر، والطاحون أهى فى بلدنا، وزيتنا فى دقيقنا، وربنا يكفينا شر الحوجة.

أولاد ايه اللى تترمى داخل المكنة عشان تدور، بالشرف الكلام دا مالهوش أساس، أنا حاأشغل أسطى عنده عشر سنين خبرة، حيدوّر المكنة بدون عيل يترمى جواها.

وتصطدم كلماته بالحائط الأخرس"[٦٦٥] لاجدوى من مناهضة

الخرافة بالمنطق، وعدم تشغيل المكنة يعني خراب بيت نظير "أنا صرفت عليها دم كبدي، شهر بنيان، ومكنة بالشئ الفلاني، وشقا العمر يضيع"[٦٦٦] لكن الغريب أنه في ظل انهزامية المنطق يلجأ نظير إلى مجاراة الخرافة كتنازل ظن أنه قد يفيد إذ أعلن أن "المكنة قديمة، قديمة ياناس، يعني لازم أقول، اديني قلت، ارتاحوا، اشتريتها من خليل بيه أبوزيد بتاع البندر، مايلزمهاش عيل"[٦٦٧] هذا التنازل أودى إلى عكس ما ودّ نظير؛ إذ ثبّت الخرافة في أذهانهم مما جعل أحدهم ينبري له قائلاً:"إيه اللي خلاه استغني عنها ؟ لازم عطلت وعايزة عيل تاني.ماحناش هبل"[٦٦٨] المشكلة تزداد تعقيداً لاسيما أن أحدهم روى أن الشيخ موسى حذر الناس أن يحرصوا على أولادهم من هذه الطاحونة، أي أن الشيخ موسى يرى بكراماته خطورة في إنشائها، وربما رمز يحيى الطاهر عبد الله بالطاحونة إلى التقدم الصناعي الذي يقضي على الخرافة في مقابل العلم والتجارب في الثورة الصناعية، لكن عقلانية نظير قاصرة عن الإقناع ولايجد نظير بداً من أن يقاوم الخرافة بالخرافة؛ فيرتضي بالشيخ موسى حَكماً، ويهرول إلى الدكان ويخرج وبيده لفة هدية للشيخ ويتبعه الناس، وينطق الشيخ:" النبي قبل الهدية، لكن المكنة لازمها عيل صغير.

ويرتجف الخواجة نظير

بركاتك ياشيخ موسى، مددك واسع قد الدنيا، مقامك كبير وتحصل، بس انت ادخل الطاحونة وكله ينفك لجل خاطرك.[٦٦٩] ويضع نظير هنا الشيخ في موقف حرج قد يقضي على أسطورته، ويبتهج

الناس لقدوم الشيخ إلى الطاحونة وتشتغل الطاحونة، وتهمهم الشفاه:" مدد ياشيخ موسى، ياقطب، ياواسع المدد، مـــدد."٦٧٠

هنا يضع يحيى الطاهر الكرامات فى موازاة الخرافات إذ يلتقيان معاً ولا يتعارضان فالجو العام لديهما جو أسطوري، لكن العقلانية تُهزم فى هذه القصة وربما يعود ذلك إلى غلبة الخرافة، وعدم وجود أرضية كافية للعقلانية وسط الناس.

فى الأدب العربى فى النوبة نلمح الحنين إلى عالم النوبة المطموس الآن بالمياه إثر تعلية خزان أسوان ثم السد العالي، وتتحول النوبة إلى فردوس مفقود لدى النوبيين ولاسيما الأدباء الذين يحاولون شحذ أدواتهم الإبداعية لتصوير النوبة القديمة بكل جغرا فيتها وعاداتها وفلكلورها؛ ويظل المكان هو المحور_الأول الذى يُبنى عليه الأدب النوبى ولذا نرى حضور المكان فيه وتشخيصه تشخيصا ملموساً ويبدو الأديب_النوبى شغوفا بتصوير جغرافية المكان واصفاً البيوت والأزقة والدكاكين والنيل ولاينسى تصوير أضرحة الأولياء التى تغدو فى القص النوبى مفاتيح نفسية لتحليل الشخصية النوبية؛ ويتكرر اسم مقاميْ_الشيخ عبدالله وسيدى كبير فى معظم القص النوبي:

فيحيى مختار يصوّر_فى قصته (عروس النيل) لجوء عبد الرحمن - وقد ألـمّت به مصيبة ابنته فريدة - إلى المقاميْن مؤملاً فى حدوث كرامة تنتشله مما هو فيه "سار عبد الرحمن على مدق الأقدام المتعرج الصاعد وسط الوهاد والكثبان الرملية إلى مقامى الشيخ عبد الله وسيدى كبير، تاركاً عشته تنتظره منتصبة وحيدة وسط عشش

جيرانه على مبعدة من القرية فى منتصف المسافة بينها وبين القبور، كان ظله يزحف أمامه وحيداً شاحباً طويلاً على وقع خطواته الحثيثة التى تحركها رغبته فى الوصول إلى الشيخين فى صمتهما الأبدى قبل انسدال ظلمة الليل. وصل إلى رحاب سيدى كبير الذى واجه منخاريه بعبق ذلك البخور القديم. وضع المقطف الذى يحمله على الأرض ورفع كفيه وقرأ الفاتحة ومسح بباطنهما وجهه، ومن المقطف ملأ طبقاً من الخوص بالبلح والفيشار وتركه فوق صندوق النذور، ركع على ركبتيه وأمسك بكسوة المقام الخضراء وضمها إلى وجهه وانسالت دموعه فى سكون وهو يتمتم للشيخ عما فعله أهل القرية فيه وفى ابنته."[٦٧١]

إذن التوظيف هنا توظيف نفسى فحاجة الإنسان إلى شريك فى همومه وإلى مخلّص فى لحظات يأسه لا يجدها الكاتب إلا من خلال انسجام الحدث الواقعى مع الأسطورة وفى هذا المزج تتخلص الشخصية من أعبائها قرب الضريح الذى تبوح له بما ثقلت به عتبات الروح "ولم يكن هناك سوى الشيخين ليتحدث إليهما طويلاً نافثاً ما فى أعماقه من نار تأكل أحشاءه فى صمت دءوب، تردد كثيراً قبل أن يقوم بزيارتهما؛ كان يخشى لقاءهما أيضا... واتته الشجاعة يحدوه بصيص الأمل الموحى بانفراج ذلك الصمت لاجئا للشيخين ليعجلا بالأمر ويتم كل شئ."[٦٧٢] إن عبد الرحمن هنا يتعامل مع المقامين كأنهما شئ مغروس فى ذاته، لايفرق بينهما وبين أهل القرية التى قاطعته بخطيئة ابنته فبات خائفا يتوجس من رؤيتهم وكذلك كانت مشاعره تجاه المقامين وكأنهما قد انضما أيضاً إلى أهل القرية

ولديهما علمٌ بأحداث القرية ومستجداتها لكنه لايفقد الأمل ويقوم بالطواف حول المقاميْن " حمل مقطفه مغرورق العينين إلى مقام الشيخ عبدالله، وقدم له النذر وقرأ الفاتحة، وتمتم بدعواته وجأر بشكواه، طلب منه أن يتضامن هو وسيدى كبير ويفرجا كربه.وشعر بأن عبئاً ثقيلاً قد انزاح من صدره."[٦٧٣]

ورغم أن أحداث القصة توضح لنا فشل المقاميْن ـ " المحاطيْن بإطار من الضوء الشفيف "[٦٧٤] ـ فى حل هذه الإشكالية من خلال الكرامة إلا أن الكرامة وما ضد الكرامة يعد محوراً أساسياً فى بنية القصة.

وأضرحة إبراهيم فهمى لاتختلف عما سواها فهى رمز الأرض والفرحة، ففى قصة "أغنية نوبية للهجرة" يخرج الأب ليقول لنساء الكنوز "سنأخذ الباخرة؛ النساء والعيال والبنات ناحية الشيوخ، القبب الخمس، فغنت النساء وغنت البنات للخمس قبب ورقصن."[٦٧٥]

إن الأضرحة وما تمثله من مفاهيم مرتبطة بالتبرك والقدسية تركت آثارها فى الأدب العربى مما جعل توظيفها فى القص يبدو مكرراً ويرمز فى أحايين كثيرة إلى جهل العامة وتعلقهم بصاحب المقام وتوسلهم به أو إليه لقضاء حوائجهم وظهر ذلك مثلاً فى قنديل أم هاشم ليحيى حقي[٦٧٦] وغيرها من الروايات؛ أو ترمز إلى الأرض والوطن كما رأينا فى الروايات النوبية ؛ لكنها فى كل حالاتها تبقى مصدراً للكرامات فبناء الضريح ذاته مرتبط بها ولذلك يبنى الضريح حيث (علَّمَ) الشيخ ويقصد بذلك حيث رُئِيَ نوره ومعنى ذلك أنه بعد موته أشار بالبناء فى هذا المكان، ويعتقد قطاع كبير من الناس أنه

فى حالة عدم بناء الضريح ستحل اللعنة على من يقف ضد هذه الإرادة

وحكت لى فاطمة سليمان "أنها رأت نوراً علّم من الشيخ أبوالوفا فبنينا له مكانه المقام"، ويستغل بعض ذوى المصالح هذا الاعتقاد فى الكرامات فى بناء ضريح لإيقاف امتداد شارع أو توسعته ولتحويل مسار انشاء ترعة أو كوبرى أو غير ذلك من المشاريع العامة.

يوظف إبراهيم فهمى الهاتف فى قصته "صباح العشق، كلام فى الخال فاروق عبدالقادر" فالهاتف يهتف به لكنه ليس الهاتف الصوفى وإنما هاتف العشق "للكتابة هاتف، للعشق هاتف، وهاتف يهتف بي، طالما أسمعنى صوته الملاك، إننى فى البكور عاشق، من عشق إلى عشق (...)أتمنى وجه صاحبى الملاك ولا أراه(...) هتف بى الهاتف الملاك:إننى ألقاك فى مدينة نصبتك سيد العشاق وضمتك بالجوانح من غاصبيها، وهتف بي: إننى راحل من جنوبها إلى شمالها (...) وجاءنى هاتف الصبح يهتف بى أن أفك طلاسم الحروف من اسمك طلسماً، طلسما."[٦٧٧]

إن كل صفات الهاتف مُستمدة من الترات الكراماتى حيث رأينا الدور الذى يقوم به الهاتف فى تغيير مسار الشخصيات والأحداث إضافة إلى ما يوهم به القارئ أن الشخصية تُختار حيث تفقد مسئوليتها عن الأحداث التى تُعلق منذ ظهور الهاتف على قُوى غيبية مجهولة، وهذا الجو الذى رسمه إبراهيم فهمى فى قصته لايختلف كثيراً عن هاتف إبراهيم بن أدهم[٦٧٨]الذى يغير حياته ومستقبله وكذلك فعل به هاتفه حيث يصف لقياه به "جاءنى شيخ عجوز يحمل

مسابح ومباخر، أخذنى من يدى حتى إليك، فوجدتك كما رسمتك فى صباي، وهاتفى يرسم لى وجهك على وجه سحابة فرحة تقاوم مطرها؛ ورسمك لى شمساً متوحشة تطارد غيمها."[٦٧٩]

إذن نرى الهاتف والشيخ والمسابح والمباخر كجو أسطورى يصف الشيخ المجهول وكأنه الخضر الذى جاء كى يدله على العلم والهاتف الواصف الذى يغلف الشخصية فى السحابة الفرحة والشمس المتوحشة، ولايخفى علينا تلك اللغة الشاعرية فى هذه القصة/القصيدة التى كتبها إبراهيم فهمى ووظف فيها هلامية الهاتف اللامحدود وكأن الأمر من السماء.

والتوظيف هنا يلقى الضوء على أن قضية الأصالة والمعاصرة لاتعنى القطيعة بينهما بقدر مانلمس أهمية وجود مبدع عبقرى يواكب بينهما فى نص تراثيٍ/حداثيٍ معاً.

وفى قصة "لغز أبوالقمصان" لسيد على شعبان يركز على شخصية حقيقية عاشت فى هذا القرن وهو الشيخ أبوالقمصان الذى تنسب إليه كرامات كثيرة، وفى القصة يتخذ الكاتب من الكرامات مادة أساسية يبنى عليها الأحداث حتى أوشكت القصة أن تكون تسجيلا لكرامات الشيخ أبوالقمصان المتداولة بين الناس؛ فهو يمشى على البحر ويخبر الناس بما فى نفوسهم، ويطلع على خباياهم ويقوم بدور اجتماعى فهو يدعو إلى تزويج البنات، وينقذ حبيبين افترقا، ويطوى الأرض فالراوى يراه فى أحد مساجد القاهرة بينما هو فى الأقصر، بل إن الحُجَّاج يرونه فى مكة بينما يؤكد أهل بلدته أنه لم يبرح المدينة، ويأتى حالما

يخطر ببالك، ويُنهى الكاتب بمقتل أبو القمصان وهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ثم يتساءل "كنت دائماً أسائل نفسي: أهو ولي من أولياء الله الصالحين لم يفهم الناس تصرفاته، وأعطى الحق لنفسه أن يغير المنكر بعصاه ولسانه؛ أم أنه مجذوب مختل العقل، وبدت له حاسة لم تتوافر للعقلاء؛ أم أنه صوفى هام فى حب الله فعبده على طريقته واختلطتْ عليه الأمور، أم اختلطت الأمور عليّ، ومازلت حتى اليوم أشعر بأن أبا القمصان[٦٨٠] لغز لن تحله الأيام"[٦٨١]

ومن الملاحظ أن توظيف الكرامات فى القصة خرج عن الاعتقاد فيها أو تكذيبها إلى الغوص من خلالها فى معتقدات الشعب وأحواله النفسية ورؤاه تجاه العصر، كما استُخدمت أداة نحو تجديد الأدب القصصى بكل ما تحمله من تشويق وإدهاش للمتلقي.

٨-٤ المســـرحية:

لم يتوقف توظيف الأدباء للكرامة على الرواية والقصة فقط بل تجاوز ذلك إلى المسرحية وإن كان ذلك أقل مما هو فى الرواية؛ ومن الأمثلة التى سأتناولها تأتى مسرحية سعد الدين وهبة "يا سلام سلّمْ..الحيطة بتتكلمْ"[٦٨٢] التى اعتمد فيها على الحكاية التى وردت لدى مؤرخى العصر المملوكى فى أيام حكم السلطان المنصور على (١٣٧٧ ١٣٨١) حول خرافة سرت فى القاهرة عن حائط تتكلم؛ ويذهب الناس جماعات يسألونها عن أمور دنياهم وآخرتهم، وافتتن الناس بها بين مصدّقٍ ومكذّب؛ وقد أرجع المصدقون الأمر إلى الكرامات.

يلتقط سعد الدين وهبة هذه الحكاية ويبنى عليها أساس روايته ويستخدمها مرآة لتعرية الفساد والرشوة والجهل والخرافة لدى النظام السياسى والشعب أيضاً. فامرأة تختفى داخل الحائط وتجيب على الناس وتجابه الحُكم ويعتقد الناس فى قدسية الحائط فربما سكنها ولى صالح أو ملاك طاهر أو جنّى مؤمن؛ ويقف السلطان والحاشية أمام الأمر فى البداية موقفاً عقلانيا بكشف الخدعة وإلقاء القبض على المرأة وتابعها عمر الذى يجمع النذور من البسطاء ذوى الحاجات، لكن يندفع الناس فى هرولة مخلفين القاهرة بعد أن توقفت الحائط عن الكلام، وانتشار شائعة عن قرب حلول كارثة على القاهرة بعد اختفاء الصوت"البَركة" من الحائط مما يجعل السلطان يعفو عن المرأة ويتوسل إليها أن تعود مرة أخرى إلى الحائط تكلّم الناس وتحضّهم على طاعة السلطان ودفع الضرائب لرجاله، وتستمر المرأة فى عملها والناس يعتقدون فى كرامة الحائط واطّلاعه على علم الغيب. لكن الأمر لايستمر على هذا إذ تحض المرأة الشعب على عدم دفع الجباية ومواجهة الظلم وفى اللحظة التى يقرر السلطان فيها هدم الجدار يُخلع بعد أن يستولى أحد وزرائه على الحائط ويوظف صوتاً جديداً له يُخلع السلطان ويحض الناس على دفع الضرائب للسلطان الجديد وفى النهاية يهدم الشعب الحائط.

وواضح أن المفاهيم السياسية التى ضمنها سعد الدين وهبة مسرحيته إسقاطات معاصرة لزمن كتابة المسرحية ورغم أن بنائية المسرحية هشة من حيث اعتماده على راوٍ فى مسرحة أحداث المسرحية وهو جمال الدين أبو المحاسن، وكذلك تأثره الكبير برواية

سعد الدين مكاوي: "السائرون نياماً"[٦٨٣] والاعتماد على الصوت الخطابى السياسى وافتقاد المسرحية لحدث يجذب المتلقي، كذلك لتأرجح الكاتب بين العامية والفصحى وغير ذلك إلا أنه نجح فى طرح قضية الكرامات الغيبية من منطلق سياسى يفسر أهمية وجود الخرافة للأنظمة السياسية التى ترى أنها لازمة من لوازم الحكم للسيطرة على جموع الشعب الذى يعتقد فى مثل هذه الأمور، فعندما يعرض السلطان وكبار رجال الدولة على المرأة أن تذهب مرة أخرى، وتختفى داخل الجدار حتى توهم العامة بقدسية الجدار يدور هذا الحوار:

المرأة: أليس فى ذلك اعتراف بأن الحائط أقوى منكم ؟

الوزير: بين شعب جاهل يكون الحجر أقوى من أعظم العلماء.

المرأة: ولماذا تركتموه جاهلاً ؟ حتى تسهل قيادته، وعندما يبعد عنكم تلجئون لحصاره حتى فى خرافاته، بدلاً من هدم الحائط استيلاء الدولة على الحائط؛ وبعد أن كان الحائط ينطق باسم الناس ينطق باسم السلطان ! هاتوا المشنقة !!"[٦٨٤] ولكن هذه الصيحة لم تجد صدى فى آذانهم فقد اختاروا الحائط ليكون بوقاً إعلامياً لهم ولذلك فقد أصدر قاضى القضاة حجة شرعية صدّق عليها السلطان مضمونها:"أن الذى يتكلم من الحائط فى بيت العدل شهاب الدين ليس إنساً.ولاجانا ! ولكنه صوت مبارك من عند الله، وإذا كان زمن المعجزات قد ولى وفات فإن الله سبحانه وتعالى خالق كل شئ يخص بهذه المعجزة شعبه الطيب وسلطانه الأمين ولذلك فاسمعوا كلام الحائط."[٦٨٥] ويهلل الناس ويتعمق الإيمان بها حتى إن الوالى الذى يعرف كل شئ يخاطب المرأة قائلاً:

وإيمانى بالحيطة وبكِ زاد عن الأول.

المرأة: بعد ما اعترفت قدامك أنى أتكلم من الحيطة، وبعد ما عقدت صفقة قدامك مع السلطان ؟

الوالي: يا جناب الحيطة: هذه أعظم كراماتك، من المشنقة إلى اعتراف شرعى بالحيطة؛ مَن يستطيع أن يفعل ذلك إلا المتصلين بالله؟ هذا ليس من أفعال البشر وبس وحِياة والدك نظره..نظره ياستْ!"[٦٨٦] وبعد الانقلاب يُسجن السلطان والوالى والمرأة وفى السجن يتوسل الوالى إلى الله ببركات هذه الست الطاهرة أن ينجوا جميعاً من الشنق فتذكّره المرأة قائلة:

"أنا ليست لى كرامات.

الوالي: لقد شاهدت كراماتك بنفسي."[٦٨٧]

فهل هى حاجة نفسية تجعل الإنسان فى حاجة للتشبث بما وراء العقل حتى لو أورده المخاطر ؟وإلا كيف نفسر التفاف الناس حول هذه الظاهرة؟

وحينما يسأل السلطانُ المخلوع الوزيرَ عن الشعب يفاجئه الوزير قائلاً:

"الأغبياء مازالوا يصدقون قصة الحائط وعَزْلها للسلطان؛ والعقلاء بعدوا عنا عندما أيّد السلطان قصة الحائط."[٦٨٨]

فى مسرحية سعد الله ونوس منمنمات تاريخية تلعب الرؤيا الدور التحريضى المؤثر لدى الجماهير حتى تدافع عن دمشق أمام اندفاع المغول وقد استولوا على حلب وأحرقوها وشتتوا أهلها وسلبوا خيراتها واغتصبوا نساءها وكاد نفر من المرجفة قلوبهم ينفثون فى

عزم الشباب المتقد قوة وجهادا ولكن الشيخ التاذلي يقف أمام الناس والعلماء معلناً "أنني كنت أترجّح بين النوم والصحو حين وافاني حبيب الله، النبي المصطفي، اقشعرت الظلمة حوله وتهاربت، كان يلفه سربال أخضر، وكأن وجهه كالسراج المنير اقترب، وفاض حولي خضرة ونورا، وبصوت عميق حنون قال لي: هذه المدينة عزيزة على قلبي فانهضوا وحاموا عنها؛ والذى بعثني رسولا، وأسكنني جنته لن تقوم لكم قائمة إذا دخلها عدوى تيمور، ولا تخشوا الموت فأنا جالس على الضفة، ثم انفتل عني وابتعد، فزعت من الفراش محموما، فتراءت لي نجمة تنأى وتختفي في العتمة"[٦٨٩]

هنا ترى الجماهير في تلك الكرامة / الرؤيا دافعا للنضال وهذا ما يتحقق بالفعل من خلال ما طرحه سعد الله ونوس ـ في مسرحيته إذ يتحول التاذلي إلى بطل للمقاومة حتى قبيل موته:"لعل الرؤية التي زراني فيها النبي صلاة الله عليه وسلامه هي بشارة وعلامة "[٦٩٠] أي أن الرؤيا هي المحرض الجماهيري نحو النضال والمقاومة.

وقد إتكأ يوسف عوف على الكرامات مستهزئاً من جهل العوام وإيمانهم بها في مسرحية "مولد سيدي المرعب"[٦٩١] التي تدور حول جهاز ذري استوردته احدى الجهات وبسبب البيروقراطية تُرك الجهاز وبعد فترة حوَّله الجهلاء إلى ضريح يتبركون به وتتوالى الكرامات المؤلَّفة المنسوبة لسيدي أبي ذرة كما أُطلق عليه، ويقام له مولد ويصاب الجميع بالإشعاعات الذرية في مشاهد مضحكة مبكية.

٨-٥ السِّيَر الشعبية:

يبدو توظيف الكرامات فى السير الشعبية ظاهرة عامة فلا توجد سيرة شعبية دون كرامات إذ إن دورها يقوم على تهيئة المتلقى لحدث ميلاد البطل بكرامات ما قبل حمل أمه به والكرامات المصاحبة للحمل والميلاد وإسباغ قدرات خارقة على البطل فى المهد ثم تصاحبه الكرامات طوال حياته وبعد موته أيضاً.

ومن الأمثلة على ذلك سيرة الظاهر بيبرس[٦٩٢]

وفى السيرة الشعبية نجد أن رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم تحدد المسار المستقبلى لشخصية البطل أو البطلة فهى النبوءة التى تصدق دائما كرؤيا الخليفة المهدى فى سيرة الأميرة ذى الهمة وكيف غدت مبشرةً بعبد الوهاب ابن ذات الهمة وقد أوضح ذلك الدكتور أحمد شمس الدين الحجاجى فى كتابه "النبوءة أو قدرالبطل فى السير الشعبية"[٦٩٣]

كذلك فإن بعض الشخصيات فى السير الشعبية ولاسيما الأبطال لا يتصرفون بمحض إرادتهم وإنما هم مُسيّرون لما اختيروا إليه؛ ويلعب الهاتف دوراً كبيراً فى تسيير الأحداث وهو يقوم بدور الراوى /العليم صانع الحدث أو المبشّر به ولأنه يمتلك القدرة على تنفيذ أوامره التنبؤية فلا تستطيع الشخصيات له دفعاً؛ ولذلك ينقادون له.

فى سيرة بنى هلال[٦٩٤] كما يروى جابر أبو حسين مأساة رزق بن نائل فارس بنى هلال الذى لم يرزق بولد ويسير فى الصحراء وحيداً يفكر فى مصيره. يبدأ الراوى بالصلاة على النبي:

١. "لم يخلق الرحمن مثل محمدٍ /

نبى الهدى جانا بكل أمانْ

٢. صلى عليك الله يا علم الهدى /

يا نور العيون يا صفوة الرحمنْ

(...) ثم يصف المونولوج الداخلى عند البطل

٣. يقول الفتى رزق الشجيع ابن نايل /

جور الليالى حيّر الإنسانْ

٤. آمنت لك يا دهر ورجعت خنتنى /

ولا كان حسابى ان الزمن خوّانْ

٥. بتخونى ليه يا دهر وتكسرنى فى العضا ٦٩٥/

خلّيت دموعى مزقوا الأجفانْ

٦. جاتنى الليالى سودة وشوما / قادر يا ربى أنت تعطيني

٧. سمع نِدا من قبِل الله / يا خى كل منّه سعيده

٨. يا رزق إصسغ على الله / تزوج فى مكة السعيده

٩. أمرك لربى المتعال / فى جبال امشِ وشى ريفه

١٠. إن كان مرادك تخلف عيال / تزوج بعذرا شريفه

١١. سمع دولَ قلب الفتى انسر / بعد ما كان له دمع نازل

١٢. عدل مهرته للبلد سار / و رجع البطل عَ المنازل

وحكى قصة الهاتف لابن عمه الوالى سرحان

١٣. قلّو أنا وحدى كنت فى الجبل مريت/ ولا معاى أحداً حجازي

١٤. سمعت صوت والشخص ما ريت/ قلّى تزوج من أرض الحجازِ

نجد هنا أن صنع البطل يبدأ قبيل زواج أبيه من أمه وأن هذا

الزواج ليس اختيارا بل أمراً وما عليه إلا أن ينفذ الأمر الإلهى الذى تمثل فى صوت الهاتف كما مرّ بنا آنفا.

وفى كتاب "قصة فتوح اليمن الكبرى الشهيرة برأس الغول وماجرى للإمام على الفارس الكرار والبطل المغوار كرم الله وجهه مع عدوالله رأس الغول والبطل المهول"[٦٩٦] نجد صورة البطل المتوج بالكرامات وكيف صاغ المؤلف الشعبى هذه الحكايا التى ملئت بالملائكة المتكلمين والطيور غريبة الأشكال وكيف مهدت له هذه الأشكال بناء نص مقنع فى جو درامى يأخذ بأنفاس المتلقين , وأحسب أن هذه السير لو قرئت من هذه الزاوية لأثمرت رؤية نقدية لماهية الإبداع فى السير الشعبية.

٨-٦ الكرامة والرحّالة

اتخذت الكرامة منحنى أدبيا جديداً فى كتب الرحالة والمؤرخين إذا أنهم رأوا أن إثباتها يحقق ما يلي:

أولا: صدق المنهج سواء كان منهجا وصفيا أم كان منهجا تحليلياً فالرحالة يسمع الكرامات تترى من حواليه لذا فإن المنهج يحتم عليه نقل ما سمع أو رأى وسواء وافق على ذلك أم لم يوافق فإن تسجيله لما يسمعه واجب عليه، وقد يشكك الرحالة فيما يرى وينسبها إلى الخزعبلات والسحر لكنه يسجل ذلك.

ثانيا: يسعى الرحالة أو المؤرخ إلى تحليل العصر بشقيه الزمانى والمكانى ويحاول سبْر أغوار المجتمعات التى عاصرها لذا فإنه يرى فى نقل الكرامات ومن ثم تحليلها رؤية تشف عن هذا المجتمع أو ذاك، عن معتقداته وعن خياله وعن تطلعاته وعن قهره أيضاً، لذا فهو

ينقل ما يسمع وما يشاهد مدونا هذه الكرامات التى تعيننا نحن الذين أتينا بعد أزمنة مرت عليها قرون فنرى المجتمعات الموصوفة فى كتب الرحالة والمؤرخين، وهم فى نقل الكرامات يضيفون إلى مؤلفاتهم مادة مشوقة للقارئ نحو هذه العصور الغابرة.

ثالثا: ربما وجد الرحالة والمؤرخون فى نقل الكرامات مادة مشوقة للقارئ تخلصا من ملل الوصف وتكراره فتأتى الكرامات تكسر حدة الملل وتجعل النص الجغرافي/ الاجتماعى نصا إبداعيا يصول فيه الرحالة ويجول.

ومن النصوص التى تعيننا فى كشف رؤية الرحالة للكرامات أو اللاكرامات (Anti- Karama) رسالة ابن فضلان(١) على سبيل المثال

وأعنى بالـ لاكرامات أن يعمد المؤلف أن يأخذ بنية الكرامة فيحكيها على أنها لاكرامة لكن تقوم بالدور نفسه فابن فضلان يحكى عن رحلته إلى الصقالبة الذين وصل إليهم يوم الأحد لاثنتى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة عشر وثلاثمائة ويصف لنا وقائع أول ليلة باتها هناك ويوظف الكرامات لتكون مشوقة فى أدب الرحلات لديه، وهذا ما نراه لدى ابن بطوطة فى رحلته أيضاً إذ حكى عن كرامات فى رحلاته ربما بدافع دفع الملل عن المتلقى وإدخال السرور إليه ومنهجيا كان عليه أن يذكر ماترامى إلى سمعه فيذكر الكرامات التى سمعها حينما قدم هرمز[٦٩٧] مثلا ويروى كرامة عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى [٦٩٨] وأخرى عن الشيخ المرشدي[٦٩٩]

٨-٧ السيَر الذاتية:

يوظف نجيب محفوظ التراث الصوفى بشكل عام فى تراثه مستقيداً من أثره فى المتلقى ، ولذا نجد شخصيات صوفية كثيرة فى رواياته كالشيخ درويش فى زقاق المدق أو الشيخ متولى فى بين القصرين إلا أن هذه الشخصيات كما يرى حمدى السكوت "وإن عكست اهتماماً ربما مبهماً من جانب الكاتب بالحل الصوفى إلا أنها موجودة أساساً لاستكمال صورة الحى الشعبى فى رواية واقعية"[٧٠٠] لكن الأمر مختلف هنا فى " أصداء السيرة الذاتية"فهو يعتمد على الكرامات الصوفية فى نقل رؤاه تجاه الحياة وفلسفته تجاه الموت وهى أشبه بتجربة ذاتية:

"اللؤلؤ: جاءنى شخص فى المنام ومد لى يده بعلبة من العاج قائلاً:

تقبّل الهدية. ولما صحوت وجدت العلبة على الوسادة، فتحتها ذاهلاً فوجدت لؤلؤة فى حجم البندقة. بين الحين والحين أعرضها على صديق أو خبير وأسأله: ما رأيك فى هذه اللؤلؤة الفريدة؟ فيهز الرجل رأسه ويقول ضاحكاً: أى لؤلؤةٍ؟ العلبة فارغة! وأتعجب من إنكار الواقع الماثل لعيني، ولم أجد حتى الساعة من يصدقنى ولكن اليأس لم يعرف سبيله إلى قلبي"[٧٠١]

الكرامة هنا رمز للحقيقة الكاملة للراوى إلا أنها تمثل نصف الحقيقة بالنسبة للغير إذ قسم الراوى الكرامة إلى قسمين: يدور القسم الأول فى الرؤيا وشخصياتها النائم والشخص المجهول؛ بينما يدور القسم الثانى فى حالة الصحو وشخصياته،

الرائى اليقظ الذى يرى الحقيقة ممثلة فى العلبة واللؤلؤة، أما الصديق أو الخبير فلا يرى إلا العلبة الفارغة؛ و هذه الكرامة هى إحياء لكرامة قديمة يحكيها الكلاباذي: "قال أبو عبدالله بن الجلاء: دخلت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبى شئٌ من الفاقة[٧٠٢] فتقدمت إلى القبر وسلمت على النبى صلى الله عليه وسلم (...) وقلت يا رسول الله بى فاقةٌ وأنا ضيفك الليلة، ثم تنحيت ونمت بين القبر والمنبر فإذا أنا بالنبى عليه السلام جاءنى ودفع إليّ رغيفاً فأكلت نصفه، فانتبهت، فإذا فى يدى نصف الرغيف"[٧٠٣]

والتصوف عند نجيب محفوظ "هو عشق يستجيب للهموم اليومية والقومية وليس الركون إلى برج صوفى يزعم صاحبه فى أنه لاعلاقة له بالحياة(...)ولولا هذا لتصوفت تصوفاً غامضاً، إننى أريد التصوف الذى يؤكد الحرية والعدل ويرفض تقييد العقل وإلغاء الملَكات."[٧٠٤]

وأظن أن نجيب محفوظ فى أصداء سيرته يخرج من وصف المجتمع إلى وصف الذات ولقد كانت هذه التجربة دليلا على لهفة نجيب محفوظ على تصوير صراعه الذاتى بين القلق والإطمئنان وقد حمّل النص الكراماتى قلق الروح وتأملاتها فى خلط بين المحسوس والخيال وبين الكرامة والإبداع.وقد تساءل حمدى السكوت من قبل "هل يتوقف نجيب محفوظ عند مشارف عالم الصوفية لأن التصوف مضنون به على غير أهله"[٧٠٥] بيد أنه لم يضن علينا فباح لنا بما شاهده.

وقد نشر نجيب محفوظ مذكراته موظفاً الكرامات فى شكل أدبى جديد فهو يعنونُ حكاياته مثل:سر الليل: "كان يمر بمجالسنا وهو يصيح: إنها آتية لا ريب فيها.

ثم يمضى مهرولاً فلا يبقى منه إلا منظر ثيابه المهلهلة ونظرته الشاردة.

ووقعت الكارثة.

قوم قالوا: إنه ولى من الأولياء.

وقوم قالوا: ماهو إلا عميل من العملاء."٧٠٦

وهذا التأرجح سمة من سمات شخصيات نجيب محفوظ فى معظم أعماله.

فى مذكرات الشيخ متولى الشعراوى يتحدث عن كرامات حدثت قبيل ميلاده مستحدثاً للتراث الصوفى القديم فى بناء صورة الولى قبيل ميلاده، وهو لايأتى بجديد فى هذا المجال بيد انه يحاول تثبيت صورة الولي ـ ذاته ـ:" كان أبى أكثر تأثيراً في حياتى من أمي، والشاهد على ذلك أننى كنت جالساً معه وقلت له: أريد أن تكلمنى بصراحة؛ لماذا كان حرصك على دخولي الأزهر ؟ فقال لي: هل أنت مُصر ؟ فقلت له: نعم. فحكى أننا كنا فى الشتاء، وفى إحدى الليالى بعد صلاة العشاء وجد شخصاً ينام إلى جوار المنبر، فعرف أنه غريب، فسأله:ياعم انت لك حد هنا ؟ فرد على والدي: أنا غريب. فاصطحبه والدى ليبيت عندنا فى القاعة لأن الدنيا كانت برداً؛ ولاحظ أن الغريب كان يحك جلده كثيراً وهو يتناول العشاء. فعرف أن ملابسه غير نظيفة، فأحضر له قميصاً وجلباباً من ملابسه وقال له: البس دول، ولم يتردد الرجل، لكنه لم يكد يرتدى القميص حتى نام على الفور إلى الصباح والجلباب فى يده، فعرف والدى أنه مجهد، فطلب من أمى غسل ملابسه، ولما رأت أن تقوم بذلك فى

الصباح، قال:لا.. أريد غسلها الآن، وبالفعل أحضر بنفسه حلة وقام بتسخين الماء، واشترك أبى مع أمى فى غسل ملابس الغريب، وقاما بنشرها على أسياخ حديد في القاعة لأنها دافئة، وفى صباح اليوم التالى قال والدى للضيف: تناول افطارك وخذ ملابسك فى لفة،ومعها الملابس التي عليك. وقال إن الغريب سأله: من الذى غسل الملابس ؟ قال له والدى إن والدتى هى التى غسلتها، فقال الغريب: إن شاء الله سوف تُرزق بعالم، ولم يكن يعرف أنها حامل "[٧٠٧]

ومما ينبغى ذكره هنا:

أولاً: إن صفات الغريب هنا تتطابق مع صفات الخضر حسب الموروث الشعبى فهو غريب، مجهول، ثيابه متسخة حتى لا يُعرف، مستجاب الدعوة، ومطّلع على الغيب.

ثانياً: إن صورة هذه الكرامة موجودة فى الثرات الشيعى فى سِيَر الأئمة [٧٠٨] وفى سِيَر معظم الصوفيين مما يعنى أن الشعراوى فى تجديدها قد قصد أن يسترجع المتلقى فى ذهنه هذه السّيَر مما يجعله قريبا منها وفى تناص معها.بيد أن هذا النوع من الكرامات كان يساق فى الماضى منسوباً إلى غير الشخصية الذاتية ـ فى معظمه ـ إلا أن الكاتب ودّ أن يحكى ذلك بنفسه !

ثالثاً: لقد بدا أن توظيف الكرامة فى السّير الذاتية Autobio-graphie يشد انتباه القراء ويضفى جواً من القدسية على الشخصية، ويجعل الكرامة طيّعةً فى البناء الأدبي.

" ومرة أخرى ـ كما حكى والدى أيضاً ـ حدث يوم وُلدتُ أن تأخر بعض الوقت عن صلاة الفجر، فسأله خاله: مالذى أخرك يامتولى ؟

فأجاب والدى لأنها تلد، كان يقصد أمي، فقال له خاله وكان رجلاً متديناً: ياسلام، أنا رأيتها الليلة الماضية فى المنام، وقد وضعت كتكوتاً يقف فوق المنبر ويخطب؛ فسألت من هذا؟ وقالوا لى ابن متولى الشعراوي، وعرفت ان ابنك سوف يكون من العلماء.

من هاتين الحكايتين أيقن والدى - كما قال لى - أننى سوف أكون عالماً؛ ولهذا كان إصراره على التحاقى بالأزهر "[٧٠٩] وواضح من هذه الحكاية أن الكرامة قد لعبت دورا كبيراً فى تحديد مصير الراوى قبل مولده، وأن ذكر هذه الكرامة يساعد على تقبل الجماهيرللشخصية المرتقبة، ومن ثَمّ على إضفاء هالة التقديس عليها، وهو دور دينى اجتماعى واضح.

يتساءل عبدالفتاح كليطو"لماذا تُهمل الطفولة فى التراجم ؟لأن الشخصية التي يجوز التحدث عنها هى الشخصية العاقلة والمسؤولة شرعا"[٧١٠] والأمر ليس كذلك فإن الطفولة تحتل جانباً كبيرا فى كتب التراجم بل إنها تبدأ قبل الميلاد وليس بعده وكأنها تهيئ المتلقى لتصديق تفرد البطل عن أقرانه وهو فى المهد ثم فى الصبا والكهولة.

فى السيرة الذاتية لإحسان عباس التى نشرها معنونةً بـ " غربة الراعي:سيرة ذاتية لمثقف فلسطيني" يقف ضد الكرامات لكنه يوظفها فى سيرته كى تعينه على تصوير مرحلة طفولته ونشأته وعبث الأقدار به فاسمه لم يكن إلا اختيار الشيخ عبدالله المؤذن "كانت أمى مثل أبى تؤمن ببركات الفقراء والزهاد، فمر بها عبدالله المؤذن ذو العنق المعوج فأعطته صاعاً من الحنطة، وسألته أن يختار اسماً لوليدها، فتمتم قليلاً ثم قال لها سمّه (احسان اله)، فكان كذلك."[٧١١] ونلحظ

هنا تمهيده لتشخيص ذاته من خلال الكرامات التى ترسم الجو المحيط به، وربما لايجد فى ذاكرته ما يتعلق بمهده ـ كما حُكى له ـ سوى الكرامات فى بيئة ملأى بها، ولايجد غضاضة فى أن يذكر لنا ما صاحب مهده من كرامات متسوبةٍ إليه، وهذا استقاء من التراث الكراماتى الذى يهيئ المتلقى لمفارقة شخصية البطل من حالة العاديّة إلى حالة الّلاعاديّة حيث تتحول الإرهاصات إلى معطيات لتفرّد البطل عن أقرانه بمواهب وقوى تجعل المتلقى مقتنعاً بالأحداث الآتية قبل وقوعها، وهذا ما قصده إحسان عباس فى قوله " وقد شاع فى محيط الأسرة الصغيرة أن الطفل الذى حمل اسم إحسان كان طفلاً مبروكاً؛ وكان المسئول عن إشاعة ذلك هو والده، فقد حدث أنه على أثر ميلاده ملأ صحارتين بالطماطم (البندورة) من أرضنا، ووضعهما متعادلتين على بغل شديد الحران، جمّاز، فكان فى قفزه ينثر حبات البندورة من الصحارتين، وكان والدى يلمّ ما يتناثر ويعيده إلى موضعه، وقد تجرّح وعلق به التراب، ولما وصل (الحسبة) فى حيفا باع البندورة بثمن عالٍ قبل الآخرين،وقدّر أن هذا حظ مستغرب،وإن ذلك لم يتم إلا ببركة مولوده الجديد."[٧١٢] وقد تبدو هذه الكرامة بسيطة لكنها فى البناء الذى يضعه إحسان عباس لسيرته تبدو ذات أهمية نظراً لتعلق المولود بالوالد الذى يتطلع إلى أبيه فى إعجاب وتقدير فقد "كان أحبّ شئٍ إلى نفس الطفل أن ينصت وهو مايزال فى فراشه إلى صوت والده وهو يقرأ آيات من القرآن الكريم."[٧١٣] أما الأم فقد"كانت أمى ريفية بسيطة أكثر ما يميزها حب الصمت أو قلة الكلام والامتثال لما تأمر به جدتي"[٧١٤] إلا أنه يسشعر شيئا من

الحرج وهو يحكى عن كرامات مهده فيقف ضد الكرامات وفى نفس اللحظة يثبّتها بكرامة أخرى فربما ظن المتلقى أن ما حدث فى الكرامة الأولى كان محض صدفة " إن هذا الاعتقاد الخاطئ حمل محمداً ابن خالى على عباس - حين كان فى حيفا بعد سنوات - أن يشترى باسم الطفل ورقة يانصيب أصدرته مدرسة للبنات فى تلك المدينة، وأن يحملها إلى القرية ويسلمها لعمته (أمي).

وعندما أعلنت نتائج السحب تبين أن الورقة قد كسبت ثلاثة جنيهات فقر قرار الوالد أن يأخذ ابنه إلى حيفا ليتسلم الجائزة."[٧١٥] إذن فقد وضح للمتلقى أنه بإزاء سيرةٍ شخصيةٍ لمولودٍ مبروك.

فى أول فصل يحكى سيد قطب فى مذكراته "طفل من القرية" عن صورة المجذوب الذى شرب "الشربة"على حد قوله فكانت "تتجاوز طاقته ويظل يعانى سكراتها وصرعاتها أمداً طويلا، وجسده يتمزق وقواه تضطرب حتى يكتب الله له السلامة فى النهاية فإذا هو فى مرتبة رفيعة فى ديوان الأولياء"[٧١٦] وعندما يمرض تقترح احدى النساء أن يبيت بجوار المجذوب حتى يُشفى إلا أن الأم ترفض هذا الاقتراح[٧١٧]

وتتوالى الكرامات التى يسمعها الطفل ولكنه يحاول هضمها فلا يستطيع فإن سمعهم يقولون"إن الشيخ "يخطي" فلما طلبوا تفسيراً لهذه التخطية فهموا أنه ينتقل بخطوة واحدة فى كل يوم من أيام الجمعة من القرية إلى الكعبة فيصلى الجمعة هناك مع الأولياء والصالحين، ثم يعود"[٧١٨] ويوظف سيد قطب هذه الكرامات لتوضيح مظاهر الحياة فى القرية وكيف طُبعت فى ذاكرته

ترى ما الذى يحمل كتّاب السّيَر على تضمين الكرامات فى سيَرهم؟ أظن أن ذلك يعود إلى أن كتّاب السير فى الأدب العربى يعتقدون ـ ضمناً ـ بتميّزهم عن غيرهم شهرةً وتفرداً؛ ولذلك فهم معنيون بتشخيص ذواتهم بمنأى عن الآخرين، وتسهم الكرامات فى خلق هذه المغايرة؛ كما أنها تترك للراوى فرصة لإضفاء قدسية على ذاته من خلال الآخرين وقد يتظاهر بأنه ضدها بيد أنه معها وإلا لما ذكرها؛ ويضاف إلى ذلك أنها تجعل الكاتب ذاته مبهوراً بشخصيته، محمّلاً القدر ما آل إليه.

٨-٨ أدب الكرامات المقارن:

لا تعد الكرامات ظاهرة صوفية فقط بل هى موجودة فى معظم الأديان وغير الأديان أيضاً، ولأن ذلك لا يدخل فى إطار البحث فإننى أكتفى بالتركيز على ظاهرة عالمية الكرامة.

وفى إطار الحديث عن عالمية الكرامة أرى أن هذه الظاهرة تلفت النظر إليها فكيف تتشابه صورة الكرامات فى صعيد مصر بكرامة أخرى فى أندونيسيا مثلاً، أو كرامة فى صعيد مصر بأخرى فى باكستان، كيف تتشابه أولاً ؟ ثم هل حدث تأثير وتأثّر أو حدث ذلك بشكل فطرى كنتاج جماعى للشعوب ؟

حكى لى الحاج مبارك إسماعيل [٧١٩] عن أحد المشايخ فى صعيد مصر وهو الشيخ عبد المنعم ولماذا يلقب بـ " أبو القمصان " " إن الشيخ عبد المنعم مريد من مريدى الشيخ الكبير أحمد الطيب الذى يسكن غرب النيل بالأقصر و فى يوم كان الشيخ عنده ليلة ذِكْر فى الأقصر، وركب المركب حتى يعبر النيل، وأراد الشيخ عبد المنعم أن

يركب المركب معه لكن الشيخ رفض لأن عبد المنعم مجذوب ويتكلم كلام مش مفهوم، ولما المركب ابتدت تتوسط النيل خلع الشيخ عبد المنعم قميصه وفرده على صفحة الماء ووقف عليه وهو يعبر به النيل والناس شايفينه من الشرق والغرب لغاية ما وصل الناحية التانية."

ولأنى عرفت الشيخ عبد المنعم أبو القمصان رحمه الله وقد كان مجذوباً يتحدث بكلام فظ جارح لا يخاف أحداً فقد أكد لى جميع من يعرفونه هذه الواقعة إلا أن أحداً منهم لم يكن من شهودها.

وقد حكى لى Christian Szyska نقلاً عن السنغالى Kaviva Toure أن أحداً حكى له أن الشيخ أحمدو بامبا Ahmadu Bamba(من السنغال) " كان مقيداً فى سفينة فى البحر من قبل المستعمرين، ولما جاء وقت الصلاة أراد من حراسه أن يفكوا قيوده ويسمحوا له أن يصلى إلا أنهم رفضوا، ولكنهم فوجئوا به يفرط سجادة فوق الماء ويصلى عليها؛ وعندما أنهى صلاته عاد وآثار الرمال على جبهته ".

إذن الكرامة تكاد تكون بحذافيرها مع اختلاف الشخوص والأمكنة والتفصيلات الوسائطية الأخرى؛ لكن الحدث لم يتغير وإن كانت الكرامة الثانية قد أضافت على بنية الكرامة الأولى كرامة أخرى.

ومعنى ذلك أننا أمام تساؤل: هل انتقلت تلك الكرامة من مصر إلى السنغال أو العكس، أو أنهما كانتا محاكاة لكرامة فى التراث وما أكثره ويُنسج على صورها فى كل عصر وفق احتياجاته وخيالاته وإبداعه، فقد حكى ابن الزيات مثلاً عن أبى إسحق إبراهيم بن هلال المشترائى:"كان إذا جن الليل ركب أمواج البحر يصلى عليها."[٧٢٠]

كذلك ففى إطار تحمل الألم تنقل لنا كتب التراث كثيراً من الكرامات التى توحى بأن لهؤلاء المتصوفة الكبار قوة خاصة يحتملون من خلالها الألم دون غيرهم من الناس.

فقد حكى لى جمال ملك Jamal Malik أنه رأى " أباه ناوازش على ملك Nawasich Ali Malik فى باكستان وقد أحضر الفحم وأشعله هو وأصدقاؤه حتى جمر ثم قام وقال: يا على مدد.. يا على مدد ثم مشى على الجمر ولم يحترق " [٧٢١]

وهذه الكرامة التى حدثت فى باكستان تحدث فى أماكن أخرى فقد حكت السيدة شيمل أن "أبا الأديان فى القرن العاشر الميلادى تحدّى أحد المجوس بأنه قادر على أن يمشى فوق النار دون أن يحترق؛ وبالفعل قام بذلك مخترقا اللهب دون أن يحترق".[٧٢٢] وأن "دراويش العيساويين فى شمال أفريقيا بإمكانهم أن يرقصوا وفى أيديهم الجمر دون أن يحسوا بأى ألم."[٧٢٣]

وتحكى كرامات مشابهة فى كتب السلف على نحو ما ذكره ابن عربى عن قصة فيلسوف ادّعى أن النار لا تحرقه فوضعوا له جمراً فى جيوبه ولم تحرقه.[٧٢٤] وما أعنيه أن الكرامة تصلح موضوعاً للأدب المقارن حيث إن التصوف فى إيران وتركيا وبلاد الهند والدول العربية والإفريقية يتخذ من الكرامة مادةً وجنساً أدبياً أحرى أن يُدرس فى إطار الأدب المقارن.

وحيث إن هدف هذا البحث ليس جَمْع الكرامات ومن ثَم مقارنتها بل يهدف إلى وضع إطار منهجى لدراسة الكرامة لذا فإنى أترك الأدب الكراماتى المقارن إلى بحث آخر.

أخيراً ستظل الكرامات الصوفية بما تثيره من أسئلة حول ماهيتها ووظائفها وأشكالها ودورها الاجتماعى والثقافى والسياسى والاقتصادى موضوعاً فى حاجة إلى تحليل ونقد وسيظل تواترها وتجدد حيواتها المستمرة تحدياً للعولمة والمعاصرة على مرّ العصور.

{ألا إنّ أولِيَاءَ اللـهِ لا خوفٌ عليهم ولا هم يَحزنـون}[٧٢٥]

"إن لله عز وجل عباداً يعرفون الناس بالتوسم"[٧٢٦]

"كرامات الأولياء على التحقيق هى بدايات الأنبياء"[٧٢٧]

"لحظاتنا كلها كرامات"

الشيخ محمد الطيب الحساني

الهوامش

١-الشيخ محمد أحمد الطيب الحسانى (ت١٩٨٨) من مشايخ الطريقة الخلوتية وله مقام مشهور بالقُرنة غرب مدينة الأقصر بصعيد مصر؛ وقد زارته المستشرقة Hoffman . Valerie J قبيل وفاته وذكرت " إن معظم أئمة الصوفيين يعدّونه قطب عصره والغوث (...) وأضافت إنه كان كثير الصيام والخلوة، ويتقوى برشفات قلائل من اللبن يوميًا دون أطعمة..وأن مجلسه منظّم جدًا وليس فيه أى شئ مخالف"

Hoffman, Sufism, Mystics and Saints in Modern Egypt,.Valerie J the University of South Carolina , United States of America, 1995,P97, 111, 239, 198, 258, 265, 431

وقد ألّف أحمد حفنى الطاهر كتابه "عَلَمُ الشريعة والحقيقة العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ محمد الطيب الحساني" وذكر بعضا من كراماته وكرامات أبيه فضيلة الشيخ أحمد الطيب (١٨٥٠؟ ١٩٥٥) كما روى بعض كرامات جده الشيخ أحمد بن حندقها(١٨٢٠؟ ١٩٠١)

أحمد حفني الطاهر الصوصي:عَلَمُ الشريعة والحقيقة العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ محمد الطيب الحساني، ط.مطابع الحرمين، قوص ١٩٩٣

٢- من قصيدة لعزالدين المقدسى (ت ٦٦٠هـ=١٢٦٢م) أوردها د.عبدالرحمن بدوى فى كتابه شطحات الصوفية ص ٩ ط.وكالة المطبوعات، الكويت،الطبعة الثالثة،١٩٧٨.

٣- الحريري: أرجوزة الحريري، ملحة الاعراب

٤- سورة الزمر آية (٣٤)، وسورة الشورى (٢٢).

5- Hoffman, Sufism, Mystics and Saints in Modern. Valerie J
Egypt, the University of South Carolina , United States of
.100. America, 1995,P
6- . I., S.6 ibid

٧- الجاحظ:الحيوان ج١ص٣١.
٨- الأسود السلخ نوع من الأفعوان شديد السواد سمى بذلك لأنه يسلخ جلده كل عام الدميرى ج١ ص٣١
سفر التكوين: (الإصحاح السادس عشر)
٩- السابق
١٠- القرآن الكريم سورة آل عمران: الآية ٣٧
١١- ذكرالترمذي:"إنما وجدت فاكهة الصيف فى الشتاء" انظر:سيرة الأولياء ص٨٨
١٢- البيضاوى (ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي):أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج٢ ص ١٦ ط. مؤسسة شعبان،بيروت د.ت
١٣- سورة مريم ١٩ / ٢٥
١٤- النويري(محمد بن قاسم بن محمد النويرى الإسكندرانى ت٧٧٥هـ=١٣٧٢م): الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية فى وقعة الإسكندرية جـ٥ ص٢١٦ ط.وزارة المعارف للحكومة الهندية، حيدر آباد، الهند ١٣٩٢هـ=١٩٧٣م
١٥- الطبرسى (أبوعلى الفضل بن الحسن ت١١٥٣م)مجمع البيان فى تفسير القرآن جـ٣ص٥١١ ط.مكتبة آية الله العُظمى المرعشى النجفي، قم، إيران ١٣٥٥هـ=١٩٣٦م.
١٦- الفخر الرازي: التفسير الكبير ج٢١ص٢٠٥، الطبعة الثانية، ط. دار الكتب العلمية، طهران، ١٩٩٣.
١٧- الزمخشرى (الإمام محمود بن عمر ت ٥٢٨هـ):الكشاف عن حقائق

غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ج ٣ ص ١٤ تحقيق مصطفى حسين أحمد، ط. الاستقامة، القاهرة ١٣٦٥=١٩٤٦

١٨- البخاري:الجامع الصغير فى حديث البشير النذير للشيخ عمر بن خليل بن شمس الدين ٨٤٩ ـ ٩٢١، ورقة٥٣ [مخطوط بجامعة توبنجن]؛ انظر:صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع.

١٩- ينظر فى ذلك:ابن سيد الناس:المقامات العلية فى الكرامات الجلية لبعض الصحابة رضوان الله عليهم، تحقيق عفت وصال حمزة ، القاهرة ١٩٨٦

٢٠- أكرم قانصو(دكتور):التصوير الشعبى العربى ص ٨٧ ط.عالم المعرفة، الكويت نوفمبر١٩٩٥

21- Vladimir Propp: Morphologie des Maerchen, herausgegeben .von Karl Eimermacher, Carl Hanser Verlag, München,1972

وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية من قِبل أبوبكر أحمد باقادر وأحمد عبدالرحيم نصر بعنوان"مورفولوجيا الحكاية الخرافية"ط.النادى الأدبى الثقافى بجدة، ١٤٠٩هـ =١٩٨٩

كذلك رجعت إلى المساجلة التى دارت بين بروب وكلود ليفى ستروس التى نشرت تحت عنوان "مساجلة بصدد "علم تشكل الحكاية " ترجمة محمد معتصم، ط.عيون،الدار البيضاء ١٩٨٨

٢٢- كلود ليفس ستروس و فلاديمير بروب:مساجلة بصدد علم تشكل الحكاية، ترجمة محمد معتصم،ط. عيون، الدار البيضاء ١٩٨٨

٢٣- كلود ليفس ستروس و فلاديمير بروب:مساجلة بصدد علم تشكل الحكاية ص ٨٢

٢٤- القرآن الكريم، سورة يونس(١٠)، الآية ٦٢.

٢٥- البخاري:الجامع الصغير فى حديث البشير النذير للشيخ عمر بن خليل بن شمس الدين ٨٤٩ ـ ٩٢١، ورقة٥٣ مخطوط بجامعة توبنجن؛ انظر:صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع.

٢٦- أخرجه الترمزى فى التفسير رقم ٣١٢٥

٢٧- كتاب مناقب سيدنا أبى يزيد البسطامى ص٩٠ وفى رواية القشيرى "حتى يرتقى فى الهواء " القشيري:الرسالة القشيرية ص ٢٤

٢٨- الأصبهاني:(الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبدالله ت ٤٣٠هـ):حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،ط.دار الكتاب العربي، الطبعة الخامسة، بيروت،١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

٢٩- ابن الزيات:(أبو يعقوب يوسف بن يحيى التّادلى ت ٦١٧هـ): التشوّف إلى رجال التصوف وأخبار أبى العباس السَّبْتي، تحقيق أحمد التوفيق ط.جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

٣٠- اليافعي:(أبو محمد عبدالله بن أسعد اليافعى ٦٩٨؟ـ٧٦٨هـ): روض الرياحين فى حكايات الصالحين الملقب نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواضر فى حكايات الصالحين والأولياء والأكابر، ط. الحلبي، الطبعة الثالثة،القاهرة، ١٣٧٤هـ=١٩٥٥م.

٣١- اليافعي:(أبو محمد عبدالله بن أسعد اليافعى):نشر المحاسن الغالية فى فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية الملقب كفاية المعتقد ونكاية المنتقد، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، ط. الحلبي،القاهرة،١٣٨١هـ=١٩٦١م.

٣٢- النبهاني:(يوسف بن إسماعيل ١٢٦٥ ـ ١٣٥٠هـ):جامع كرامات الأولياء،تحقيق إبراهيم عطوة عوض،ط.الحلبي، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٣٣- السابق ص١١

٣٤- أبو الدنيا،أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشى المعروف بابن أبى الدنيا: الأولياء، تحقيق أبوهاجر محمد السعيد بن بسيوني، ط.مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٩٩٣

٣٥- أبوالقاسم عبد الكريم بن هوازن ٩٨٦ ١٠٧٤م.

٣٦- أبوبكر محمد (ت٣٨٠هـ)

٣٧- الهجويري(أبوالحسن على بن عثمان بن أبى على الجلابى):كَشْفُ المَحْجوب،ترجمة وتحقيق د.إسعاد عبد الهادى قنديل، ط. المجلس الأعلى

للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٧٤ .وغير ذلك.
٣٨- محيى الدين بن العربى الأندلسى (١١٦٥ ، ١٢٤٠م.)
٣٩- الجويري(زين الدين عبدالرحيم بن عمر الدمشقى المعروف بالجوبرى ت ١٣١٦م؟): المختار فى كشف الأسرار ص ١٦ ط.أحمد أفندى الكتبي.د.ت.
٤٠- د. على زيعور: الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، القطاع اللاواعى فى الذات العربية،
الطبعة الثانية،ط دار الأندلس، بيروت ١٩٨٤م.
٤١- السابق ص٤٩.
٤٢- السابق ص٢٧.
٤٣- السابق ص ٩
٤٤- د. عبد الستار عز الدين الراوي: التصوف والبارسايكولوجى، مقدمة أولى فى الكرامات
الصوفية والظواهر النفسية الفائقة،ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٤.
٤٥- السابق ص٥٨
٤٦- لطفى عيسى:أخبار المناقب فى المعجزة والكرامة والتاريخ،ط.دار سراس للنشر،تونس، ١٩٩٣.
٤٧- مجدى محمد الشهاوي: دراسة تحليلية عن خوارق العادات: المعجزة، الكرامة، السحر، ط. مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٩٢.
٤٨- نبيلة ابراهيم (دكتورة): أشكال التعبير فى الأدب الشعبي، الطبعة الثالثة،ط.دار المعارف، القاهرة١٩٨١
المقومات الجمالية للتعبير الشعبي، ط.الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة يونيو١٩٩٦
من نماذج البطولة الشعبية فى الوعى العربي، ط.ندوة الثقافة والعلوم،دبى ١٩٩٣
٤٩- نبيلة ابراهيم (دكتورة)أشكال التعبير فى الأدب الشعبى ص ١٠٢ الطبعة

الثالثة،ط.دار المعارف، القاهرة١٩٨١
٥٠- الحجاجي،أحمد شمس الدين (دكتور):صانع الأسطورة الطيب صالح،ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٠
٥١- شوقى بشير(دكتور):نقد ابن تيمية للتصوف، ط. دار الفكر، الخرطوم ١٩٨٧
٥٢- عويس،سيد: دراسته الجادة حول "الإبداع الثقافى على الطريقة المصرية:دراسة عن بعض القديسين والأولياء فى مصر، طز دار الطباعة الحديثة، القاهرة ١٩٨١
٥٣- التليدي،الشيخ عبدالله:المطرب فى مشاهير أولياء المغرب، طنجة ١٩٨٧
٥٤- جمال الغيطاني: رؤية أدبية: كرامات الأولياء، ص٩٠ ٩١ مقال بمجلة الهلال، يونيو ١٩٨٥
٥٥- د.يوسف زيدان: القصة عند الصوفية ص٤٩ مقال بمجلة الهلال، مايو ١٩٩٢
٥٦- د.يوسف زيدان: "كرامات الأولياء نص أدبى مضاد للتصوف " ص ٢٢٤مقال بمجلة فصول (٢٢٣ ٢٣٣) المجلد الثالث عشر، العدد الثالث، القاهرة، خريف ١٩٩٤.
٥٧- الكلاباذي:(أبوبكر محمد ت ٣٨٠هـ)التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٨٦ ـ ٩٥تحقيق محمد أمين النواوي، ط. مكتبة الكليات الأزهرية،الطبعة الثالثة،القاهرة، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م
٥٨- د.يوسف زيدان:المتواليات، دراسات فى التصوف ص ٧١ ط.الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٨
٥٩- الشيخ حسين بن عبدالوهاب (من علماء القرن الخامس الهجري): عيون المعجزات ص ٩٥ ط. مكتبة الداورى قم، إيران ١٣٩٥هـ.
٦٠- يُنظر فى ذلك:محيى الدين بن محمد بن على الطعمي: معجم كرامات الصحابة ويليه الإصابة فى تمييز رجال الصحابة، ط.دار ابن زيدون، بيروت، ١٤٠٦هـ؟. إذ جمع فيه ماتناثر من كرامات الصحابة فى كتب

التفسير والحديث والطبقات والتاريخ والمعاجم والسير.
٦١- د.يوسف زيدان: "كرامات الأولياء نص أدبي مضاد للتصوف" ص ٢٢٩مقال بمجلة فصول (٢٢٣ ٢٣٣) المجلد الثالث عشر، العدد الثالث، القاهرة، خريف ١٩٩٤.
62- Richard Gramlich: Die Wunder der Freunde Gottes, Franz .Steiner Verlag Wiesbaden GMBH, 1987
63- Julia Gonella: Islamische Heiligenverehrung im urbanen Kon- ,.text am Beispiel von Aleppo (Syrien), Klaus Schwarz Verlg .Berlin 1995
43.64 Ibid ,S
٦٥- القشيري:الرسالة القشيرية ص١٧
٦٦- القشيري:الرسالة القشيرية ص٢٧٥
٦٧- السابق.
68- Julia Gonella: Islamische Heiligenverehrung im urbanen Kon- ,.text am Beispiel von Aleppo (Syrien), Klaus Schwarz Verlg 71-72.Berlin 1995, S
69- .72, 97 ff.69 Ibid, S
70- Annemarie Schimmel: Mystische Dimensionen des Islam, Geschichte des Sufismus, Insel Taschenbuch Verlag, Erste Au- .flage, Frankfurt, Leipzig, 1995
71- Annemarie Schimmel: Gaerten der Erkenntnis , Eugen Diede- Koeln, 1985.Auflage.riches Verlag,2
72- Annemarie Schimmel: Rumi, Ich bin Wind und du bist Feuer, Leben und Werk des grossen Mystikers , Eugen Diederiches . Koeln, 1984.Auflage.Verlag,4
. 796. 2, S.73 Enzyklopaedie des Islam, Bd

74- Gustav Menching, Das Wunder im Glauben und Aberglauben
. 33. Brill 1957, S.J., Leiden, E
. 1., S.75 ibid
76- Gustav Menching, , Das Wunder im Glauben und Aberglau-
.88. Brill 1957, S.J.ben, Leiden, E
33., S.76 ibid
33. II S. Les.77 Majjhima-Nikaya 12, Rel
. 33-34). (Menching, S. 251.78 Buddha-carita, 1743, S
77.79 Menching S
80- Harald Haarmann: Die Gegenwart der Magie, Campus Verlag, Frankfurt/New York,1992
81- Peter Antes: Prophetenwunder in der Asariya bis al-Gazali
.Ausgabe, Freiburg,1970.(Algazel), Klaus Schwarz Verlag, 2
82- Gabriele von Bülow: Hadithe über Wunder des Propheten Mu-
.hammad, Bonn,1964
83- Hans Daiber, "Literarische Prozesse zwischen Fiktion und Wirklichkeit -Ein Beispiel aus der Klassisch-arabischen Erzaehlliteratur," JAMES, Annlas of Japan Association for Mid-
27-67.S.10, 1995.dle East Studies,No
84اليافعي:مختصر روض الرياحين في مناقب الصالحين ص٥٢ ٦٥
85- Hans Daiber, "Literarische Prozess zwischen Fiktion und Wirklichkeit -Ein Beispiel aus der Klassisch-arabischen Er-
59.zaehlliteratur" S
59-60.86 Ibid, S
87 Ibid,
.257.Brill p.J.88 Charles Pellat, "Manaqib", EI 2, Leiden, E

.89 Ibid

Hermansen, "Miracles language and power in a 19th cen-.K.90 M
tury Islamic Hagiographic Text", Arabica, Tome XXXVIII,
.329.1991, p

.91 Ibid

Hermansen," Miracles language and power in a 19th cen-.K.92 M
tury islamic Hagiographic Text", Arabica, Tome XXXVIII,
.348.1991, p

93- Albrecht Hofheinz: Internalising Islam, Shaykh Muhammad Majdhub Scriptural Islam and Local Cotext in the Early Nine-teenth- Century Sudan ,University of Bergen 1996

94- Albrecht Hofheinz: Internalising Islam, Shaykh Muhammad Majdhub Scriptural Islam and Local Cotext in the Early Nine-
.139.teenth- Century Sudan, Vollum I, P

142.95 ibid, P

٩٦- سورة الجن ٧٢: ٢٦ ٢٧

٩٧- الزمخشري(أبوالقاسم جارالله محمود بن عمر الخوارزمي ٤٦٧ ٥٣٨هـ):الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل جـ٥ ص١٦٩، تحقيق محمد مرسي عامر، ط.دار المصحف، القاهرة،١٩٨٨.

٩٨- السبكي: طبقات الشافعية ج٢ص٣١٧ ٣١٩

٩٩- السبكي: طبقات الشافعية ج٢ص٣١٩

١٠٠- السابق ج٢ ص ٣١٦

١٠١- سورة النمل ٢٧/ ٤٠

١٠٢- الزمخشري(أبوالقاسم جارالله محمود بن عمر الخوارزمي ٤٦٧ ٥٣٨هـ):الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل جـ٢ ص٤٩٠

١٠٣- فى الأصل: احيا

١٠٤- فى الأصل:ابرا

١٠٥- أبوبكر محمد بن الطيب الأشعري:كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجيات (مخطوط بجامعة توبنجن
Ma VI 93. Universitaetsbibliothek Tuebingen Nr

١٠٦- القشيري: الرسالة القشيرية فى علم التصوف ص٢٧٤

107- 615. Encyklopaedia of Islam, volume IV ,S

١٠٨- الكشف: "زوال الحجب عن عين القلب فيشاهد علوم الأنوار ومخبآت الأسرار" الصاوى (أحمد): الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية على الصلوات الدرديرية ص١٢٥

١٠٩- ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون ص ٢٩٨تحقيق حُجر عاصي، ط. دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٣

١١٠- ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون ص ٢٩٨تحقيق حُجر عاصي، ط. دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٣

111- 615. Encyklopaedia of Islam, volume IV ,S

112-. 616. 112 EI, volume VI, S

١١٣- الشيخ حسين بن عبدالوهاب (من علماء القرن الخامس الهجري): عيون المعجزات ص ٩٥ ط. مكتبة الداورى قم، إيران ١٣٩٥هـ.

١١٤- اليافعي:روض الرياحين ص٣٦

١١٥- ابن كثير (أبو الفداء الحافظ الدمشقى ت ٧٧٤هـ): البداية والنهاية ج٦ص١٦١ تحقيق د.أحمد أبو ملحم، د.على نجيب، فؤاد السيد، مهدى ناصر الدين، على عبدالساتر، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

١١٦- القرطبي(أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصارى): الجامع لأحكام القرآن ج١١ص١٦ تحقيق أبواسحق إبراهيم اطفيش، ط.دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٥.(تراجع فى ذلك فتاوى الدكتور أحمد الطيب الأهرام ١١/ ٧/ ١٩٩٧.

١١٧- شوقى بشير(دكتور):نقد ابن تيمية للتصوف، ط. دار الفكر، الخرطوم ١٩٨٧
١١٨- السابق ص ٥٦
١١٩- السابق نقلاً عن ابن تيمية: مجموعة الرسائل والمسائل ج ٥ ص ١٦ نشر لجنة التراث العربي، القاهرة (د.ت)
١٢٠- شوقى بشير(دكتور):نقد ابن تيمية للتصوف ص ١٩٥، ط. دار الفكر، الخرطوم ١٩٨٧
١٢١- محمد أفندى الكواكبى: كون حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم حيًا بجسده الشريف(مخطوط بمكتبة جامعة بون تحت رقم So ٢٠١)
١٢٢- ابن الجوزى: (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن البغدادى ت ٥٩٧هـ) تلبيس ابليس ص ٤٢٩تحقيق آدم سنيه،ط دار الفكر الأردن د.ت
١٢٣- ابن الجوزى: (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن البغدادى ت ٥٩٧هـ) تلبيس ابليس ص ٤٣١
١٢٤- النيسابورى (نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمى ت ٧٢٨هـ): غرائب القرآن ورغائب الفرقان ج١٣ص١١٩ تحقيق إبراهيم عطوة، ط. الحلبي، القاهرة، د.ت
١٢٥- السبكي(تاج الدين أبونصر عبد الوهاب بن على بن عبدالكافى ٧٢٧ ٧٧١هـ):طبقات الشافعية الكبرى جـ ٢ص٢١٤ تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي، ط.عيسى البابى الحلبي، القاهرة، ١٣٨٣هـ=١٩٦٤م.
١٢٦- السابق
١٢٧- السابق
١٢٨- د.محمد فتحى عثمان:حسن البنا متصوفًا ص٧٩ مقال بمجلة الهلال، يونيو ١٩٨٥
١٢٩- مصطفى نبيل: رائد الفكر العربى الحديث الإمام محمد عبده ورحلته مع التصوف ص٨٦ ٨٧ مقال بمجلة الهلال، يونيو ١٩٨٥

130- . 616.Encyklopaedia of Islam, volume IV ,, S
١٣١- أحمد الرفاعي: البرهان المؤيد ص ١١٤ تحقيق إبراهيم الرفاعي، ط.دار التراث العربي، القاهرة ١٩٩١ .
١٣٢- الترمذي: كتاب سيرة الأولياء ص٥٧
١٣٣- القشيري:(عبد الكريم بن هوازن ٣٧٦ـ ٤٦٥هـ): الرسالة القشيرية فى علم التصوف ص٣١ ط.مكتبة صبيح، القاهرة،١٩٦٦.
١٣٤- عقب الغيطانى على مقولة الجنيد "هذا أرقى ماوصل إليه تقدير الكلمة المكتوبة فى أى أدب عالمي" جمال الغيطاني: رؤية أدبية: كرامات الأولياء، ص٩٥مقال بمجلة الهلال، يونيو ١٩٨٥
١٣٥- كتاب مناقب سيدنا أبى يزيد البسطامى ص٩٠ وفى رواية القشيرى "حتى يرتقى فى الهواء " القشيري:الرسالة القشيرية ص ٢٤
١٣٦- السبكي(تاج الدين أبونصر عبد الوهاب بن على بن عبدالكافى ٧٢٧ ٧٧١هـ):طبقات الشافعية الكبرى جـ ٢ص٢١٤، ٣١٥ تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي، ط.عيسى البابى الحلبي، القاهرة، ١٣٨٣هـ=١٩٦٤م.
١٣٧- السبكى ٧٢٧ ٧٧١هـ):طبقات الشافعية الكبرى جـ ٢ص٣١٩
١٣٨- ابن عربي:(الشيخ محيى الدين ابن عربى الحاتمى الطائي):كتاب مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم،ورقة ٩٦ خطوط بجامعة Tuebingen تحت رقم Ma VI 267
١٣٩- ابن عربي:(محيى الدين): مواقع النجوم،ورقة ٥٠ أ
١٤٠- ابن عربي:الفتوحات المكية، السفر التاسع ص ٤٢٩تحقيق وتقديم د.عثمان يحيى، تصدير ومراجعة د.إبراهيم مدكور، ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.
١٤١- الكلاباذي:(أبوبكر محمد ت ٣٨٠هـ)التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٨٦ ـ٨٧ تحقيق محمد أمين النواوي، ط. مكتبةالكليات الأزهرية،الطبعة الثالثة،القاهرة، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م

١٤٢- الكلاباذي:التعرف ص٨٨

١٤٣ الكلاباذي:التعرف ص٨٨ ـ ٨٩

١٤٤- حمد الله الداجوي: البصائر لمنكرى التوسل بأهل المقابر ص ١٠، ط.وقف الإخلاص، استانبول، تركيا،١٩٩١.

١٤٥- عبدالله بن حجازى المشهور بالشرقاوي:تعليق لطيف على ورد الستار فى طريق السادة الخلوتية، مخطوط بمكتبة جامعة بون تحت رقم 204.So

١٤٦- النويري(محمد بن قاسم بن محمد النويرى الإسكندرانى ت٧٧٥هـ=١٣٧٢م): الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية فى وقعة الإسكندرية جـ٥ ص٢١٦ ط.وزارة المعارف للحكومة الهندية، حيدر آباد، الهند ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.

١٤٧- جلال الدين الرومي:المثنوى جـ٢ ص٣٥٨

١٤٨- جلال الدين الرومي:المثنوى جـ٢ ص٣٦٠

١٤٩- د.عبد الحليم محمود:أبوالبركات سيدى أحمد الدردير ص ١٥٨ ط.دار الكتب الحديثة، القاهرة،١٩٧٤.

١٥٠- الدرقاوى الحسني(مولاى العربى ت ١٢٣٩هـ): مجموعة رسائل ص ٢١٢ تحقيق بسام محمد بارود، ط. المجمع الثقافي،أبوظبى ١٩٩٩

١٥١- د.عبدالحليم محمود: قضية التصوف المدرسة الشاذلية ص ١٨٦ الطبعة الثانية،ط.دارالمعارف، القاهرة ١٩٨٨

١٥٢- سالم جابر الجازولي: رسائل صوفية ص ٦٢ط.القاهرة ١٩٩٣.

١٥٣- في ٢٢مارس ١٩٨٩

154- Hoffman, Sufism, Mystics and Saints in Modern.Valerie J Egypt, the University of South Carolina , United States of .100.America, 1995,P

١٥٥- أوردت هذا المصطلح بديلاً عن مصطلح "الشعر التعليمي" وقد أوضحت ذلك فى كتابى "قضايا النقد والبلاغة فى تراث أبى العلاء المعري"

١٥٦ اللقاني:جوهرة التوحيد

١٥٧ الشيخ عبدالله التليدي:المطرب في مشاهير أولياء المغرب ص٢١ ط.مؤسسة الطباعة والنشر والتوزيع،الطبعة الثانية،طنجة،١٩٨٧
١٥٨- ابن الزيات:التشوّف إلى رجال التصوف ص١٠٥
١٥٩- شاه ولى الله (قطب الدين أحمد بن وجيه الدين ١٧٠٣ ١٧٦٢): فيوض الحرمين ص ١٩ ط. المطبع الأحمدي، متعلق مدرسة عزيزى دهلي، ١٣٠٨هـ، ١٣٠٨هـ. ؟
١٦٠- المعري: رسالة الغفران ص ٥٠٨ تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، ط. دار المعارف، الطبعة التاسعة، القاهرة،١٩٩٣
161- Hoffman, Sufism, Mystics and Saints in Modern.Valerie J Egypt, the University of South Carolina , United States of 268.America, 1995,P
١٦٢- الهجويري(أبوالحسن على بن عثمان بن أبى على الجلابى) كَشْفُ المَحْجوب جـ١ص٣٠٦،ترجمة وتحقيق د.إسعاد عبد الهادى قنديل، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٧٤.
163- Hoffman, Sufism, Mystics and Saints in Modern.Valerie J Egypt, the University of South Carolina , United States of 274.America, 1995,P
١٦٤- ابن الزيات:(أبو يعقوب يوسف بن يحيى التّادلى ت ٦١٧هـ): التشوّف إلى رجال التصوف وأخبار أبى العباس السَّبْتى ص٣١١، تحقيق أحمد التوفيق ط.جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م
١٦٥- المعري: رسالة الغفران ص ٥٠٨
١٦٦- اليافعي:مختصر روض الرياحين في مناقب الصالحين ص٣٨ ٣٩
١٦٧- الهجويري(أبوالحسن على بن عثمان بن أبى على الجلابى) كَشْفُ المَحْجوب جـ١ص٢٩٩.
١٦٨- د.عبدالحليم محمود: العارف بالله إبراهيم بن أدهم شيخ الصوفية ص٢٥ ٢٦ ط.دار المعارف، القاهرة ١٩٩٢.

١٦٩- اليافعي:مختصر روض الرياحين فى مناقب الصالحين ص ١٠٢ ١٠٣
١٧٠- الهجويري(أبوالحسن على بن عثمان بن أبى على الجلابى) كَشْفُ المَحْجوب جـ١ص٢٩٩.
١٧١- د.عبدالحليم محمود: أبوبكر الشبلى ص ١١٢ ط.دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥.
١٧٢- د.عامر النجار: الطرق الصوفية فى مصر، نشأتها ونظمها وروادها:الرفاعي الجيلانى البدوى الشاذلى الدسوقى ص١٠٦
١٧٣- محمد مختار السوسي: المعسول ج٤ص٣١٨ ٣١٩ ط.فضالة، المغرب، ١٣٨٠هـ=١٩٦٠م.
١٧٤- الصوصي، أحمد حفنى الطاهر:عَلَمُ الشريعة والحقيقة العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ محمد الطيب الحسانى ص ٨٢ ٨٣، ط.مطابع الحرمين، قوص ١٩٩٣
١٧٥- محمد بن المنور:أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبى سعيد ((فضل الله بن أبوالخير ٣٥٧ ٤٤٠هـ) ص ٩١ ٩٢ تحقيق د.عبدالكريم سعود ط.دار الحصاد، دمشق ١٩٩٩
١٧٦- اليافعى: (عفيف الدين، أبو السعادات عبد الله أسعد ٦٧٨ ٧٦٨ هـ): روض الرياحين فى حكايات الصالحين الملقب نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواضر فى حكايات الصالحين والأولياء والأكابر ص ٢٠٩، الطبعة الثانية، ط. الحلبى، القاهرة ١٩٥٥م.
١٧٧- يتركه ولا يرد عليه.
١٧٨- "روح" أى اذهب
١٧٩- يقصد قطب العصر.
١٨٠- أباه
١٨١- شريط كاسيت رقم ١، الحكاية رقم ٩ (صعيد مصر) والشيخ أحمد رضوان (ت١٩٦٧)من كبار المتصوفين فى صعيد مصر وله مقام مشهور فى قرية الرضوانية التى سميت باسمه شرق مدينة الأقصر بصعيد مصر.

١٨٢- يوسف بن إسماعيل النبهاني: (١٢٦٥ ١٣٥٠ هـ): جامع كرامات الأولياء
جـ٢ ص٢٩٨، الطبعة الثالثة، طـ. البابى الحلبي، القاهرة ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م.
١٨٣- سورة القصص آية (٣٢)
١٨٤- سورة آل عمران (٤٩)
١٨٥- شريط كاسيت رقم ٢ حكاية ٤ .
١٨٦- حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية ص ٤٥ ط.دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٦.
١٨٧- نجم الدين الكُبرى ت٦١٧هـ فى كتابه فوائح الجمال وفواتح الجلال ص ٨٢ تحقيق فريتز ماير، فايسبادن١٩٥٧
١٨٨ - ليافعي:مختصر روض الرياحين في مناقب الصالحين ص٢٥
١٨٩- بروب، فلاديمير:مورفولوجيا الحكاية الخرافية ص١٧٣
١٩٠- سورة الزمر آية (٣٤)، وسورة الشورى (٢٢).
١٩١- ابن بشكوال،الإمام الحافظ أبوالقاسم خلف بن عبدالملك بن مسعود: كتاب المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات ص ٣٢ ٣٣ تحقيق غنيم بن عباس ط.القاهرة ١٩٩٤
١٩٢- أبونعيم الأصفهاني:حلية الأولياء ج٨ص٣١٨
١٩٣- القشيري:الرسالة القشيرية ص ٤١
١٩٤- القرطبي:الجامع ج١١ص٢٩؛ القشيري:'الرسالة القشيرية ص ٢٧٧
١٩٥- د.أحمد عبدالجواد "ازدواجية الوجود " مقال بصحيفة الأهرام، ٢٣/ ٢/ ١٩٩٦.

196- Hoffman, Sufism, Mystics and Saints in Modern.Valerie J Egypt, the University of South Carolina , United States of 98-99.America, 1995,P

197- Hoffman, Sufism, Mystics and Saints in Mod-.197 Valerie J ern Egypt, the University of South Carolina , United States of 98.America, 1995,P

١٩٨- القشيري: الرسالة القشيرية ص ٢٧٧

١٩٩- د. عبد الستار عز الدين الراوي: التصوف والبارسايكولوجي، مقدمة أولى فى الكرامات الصوفية والظواهر النفسية الفائقة ص١٠٤

٢٠٠- د.عبد الحليم محمود: أبوالبركات سيدى أحمد الدردير ص ١٤٦ ط.دار الكتب الحديثة، القاهرة،١٩٧٤؛ مجموع الأوراد الكبير ص٣٦ وقد نسبها إلى " محمد الجزولى صاحب دلائل الخيرات، وجاز أن يكون رواها عن الخضر عليه السلام." ص١٢ ط. الشمرلي،١٩٨٦.وقد فسرها الشيخ أحمد الصاوي: "انصرنا دنيا وأخرى بالكرامات: جمع كرامة تطلق على الأمر الخارق للعادة على يد ظاهر الصلاح." الصاوى (أحمد): الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية على الصلوات الدرديرية ص٥٩ ط. صبيح، القاهرة، د.ت

٢٠١- د. على زيعور: الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، القطاع اللّاواعى فى الذات العربية ص٣١ الطبعة الثانية،ط دار الأندلس، بيروت ١٩٨٤م

٢٠٢- ابن حجر: (أحمد بن حجر الهيثمى المكى): كتاب المنح المكّيّة فى شرح الهمزة ص ٣

مخطوط بمكتبة جامعة بون بألمانيا تحت رقم 124.So.

٢٠٣- ابن العربي: شرح فصوص الحكم ص ١٩.كما ذكر ذلك فى مقدمة كتابه " مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم " حيث ذكر أنه " وافق المنام الإلهام، ونظم عقد الحكم فى هذا الكتاب أبدع نظام ...الخ " ورقة ٤ أ، مخطوط Tuebingen Ma VI 267

٢٠٤- محمد علا الدين بن الشيخ على الإمام بجامع بنى أمية بدمشق: كتاب الدر المختار شرح تنوير الأبصار، ورقة ١٣ (مخطوط بمكتبة جامعة بون تحت رقم So.(279 .

٢٠٥- د.الطاهر أحمد مكي: مقدمة فى الأدب الإسلامى المقارن ص ١٤٨ ط.عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

٢٠٦- التليلي، محسن:زاوية الشيخ أحمد التليلى بفريانة ص ١٠٤ ط.العلم، تونس ١٩٩٨

٢٠٧- أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال ص ٣٧٥ ٣٩٣ تحقيق د. عبد الحليم محمود
الطبعة الثالثة، ط. دار المعارف، القاهرة ١٩٨٨ م.

٢٠٨- محمد أفندى الكواكبى: كون حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم حيًا بجسده الشريف.

(مخطوط بمكتبة جامعة بون تحت رقم So.(201 .وقريب من ذلك ما ذكره الدكتور محمد عبدالسلام كفافى فى شرحه لعبارة جلال الدين الرومى فى مقدمة "المثنوي" عن الشيخ أبو الوفا بن عقيل الكردى "أمسيت كرديًا وأصبحت عربيًا" أنه دُعى لإلقاء خطبة وعظية، ولم يكن يعرف العربية، فنام ليلته داعيًا ربّه متفكرًا، ورأى الرسول فى المنام، فأمره الرسول أن يجعل خطابه عن أسرار القرآن، وفى الصباح صعد المنبر وجرى لسانه بالعربية." الرومي:مثنوى جلال الدين الرومى جـ ١ص٧١ ترجمة وشرح ودراسة الكتور محمد عبد السلام كفافي، ط.المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٦م.

٢٠٩ - بوطالب المكى (ت ٣٨٦هـ): قوت القلوب جـ١ ص ٣١ ٣٢ تحقيق د.عبدالمنعم الحفني، ط. دار الرشيد، القاهرة، ١٤١٢هـ=١٩٩١م.

٢١٠- أبو طالب المكي: قوت القلوب ص ٣١

211- Albrecht Hofheinz: Internalising Islam, Shaykh Muhammad Majdhub Scriptural Islam and Local Cotext in the Early Nine-602.II, P.teenth- Century Sudan, V

٢١٢- إضافة منّي.

٢١٣- فى الأصل واخافت

٢١٤- د.عبد الحليم محمود:أبو البركات سيدى أحمد الدردير ص ٥٦ ط. دار الكتب الحديثة،
القاهرة د.ت.

٢١٥- تودوروف (تزفيتن):مدخل إلى الأدب العجائبى ص ١٤٧ ترجمة الصديق بوعلام، ط.دار شرقيات، القاهرة١٩٩٤
٢١٦- حمد الله الداجوى: البصائر لمنكرى التوسل بأهل المقابر ص ٦٦ ط. وقف الإخلاص
استانبول، تركيا، ١٩٩١.
217- Julia Gonella: Islamische Heiligenverehrung im urbanen Kontext am Beispiel von Aleppo (Syrien), Klaus Schwarz
67.S., Berlin 1995. Verlg
٢١٨- تيساً
٢١٩- كرامة ١٢
٢٢٠- اليافعي:مختصر روض الرياحين في مناقب الصالحين ص١٥٠
٢٢١- فريد ماهر:كرامات الأولياء١٨١
٢٢٢- ماهر جرار: مصارع العشاق، دراسة فى أحاديث الجهاد والحور العين" مقال بمجلة الأبحاث ص ٦٥ الناشر:الجامعة الأمريكية بيروت، السنة ٤١/١٩٩٣
٢٢٣- ابن عربي: الفتوحات المكية ج١ ص ١٣٩
٢٢٤- ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون ص ٢٩٨تحقيق حُجر عاصي، ط. دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٣
٢٢٥- د.عبدالحليم محمود: قضية التصوف المدرسة الشاذلية ص ١٨٦ الطبعة الثانية،ط.دار المعارف، القاهرة ١٩٨٨
٢٢٦- السبكي: طبقات الشافعية ج٢ص٣٤٣ ٣٤٤
٢٢٧- لؤى فتحى وشذى الدركزلّى وجمال نصار (دكاترة): علم خوارق العادات البارانورمالوجيا Paranormalogyص٢٣ ط.الشركة العالمية للكتاب، بيروت ١٩٩٩
٢٢٨- لؤى فتحى وشذى الدركزلّى وجمال نصار (دكاترة): علم خوارق العادات البارانورمالوجيا Paranormalogyص٢٨ ط.الشركة العالمية للكتاب، بيروت ١٩٩٩

٢٢٩- السابق ص ٣٠
٢٣٠- أبونعيم الأصفهاني: حلية الأولياء ج١٠ص٣٣٠
٢٣١- د. عبد الستار عز الدين الراوي: التصوف والبارسايكولوجي، مقدمة أولى فى الكرامات الصوفية والظواهر النفسية الفائقة ص٧١
٢٣٢ - سورة الأعراف:١٧١
٢٣٤- الترمذي:سيرة الأولياء ص٦٢
٢٣٥- ابن الزيات:التشوف إلى رجال التصوف ص ٤٠٢
٢٣٦- كتاب مناقب سيدنا أبى يزيد ص١٥٧ ـ ١٥٨
٢٣٧- ابن الزيات:(أبو يعقوب يوسف بن يحيى التّادلى ت ٦١٧هـ): التشوّف إلى رجال التصوف وأخبار أبى العباس السَّبْتى ص٢٢٨، تحقيق أحمد التوفيق ط.جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.
٢٣٨- اليافعي:مختصر روض الرياحين فى مناقب الصالحين ص ١٥٦
٢٣٩- أحمد حمدي:نظرة هادئة على الطرق الصوفية ص٥١، مقال بمجلة الهلال، يونيو ١٩٨٥.
٢٤٠- ابن الزيات:(أبو يعقوب يوسف بن يحيى التّادلى ت ٦١٧هـ): التشوّف إلى رجال التصوف وأخبار أبى العباس السَّبْتى ص٢٣٢، تحقيق أحمد التوفيق ط.جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.
٢٤١- اليافعي:مختصر روض الرياحين فى مناقب الصالحين ص ٤ ٥ على هامش قصص الأنبياء للثعلبي، ط. البهية المصرية، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٣٧١هـ=١٩٥١م.
٢٤٢- اليافعي:مختصر روض الرياحين في مناقب الصالحين١٥٦
٢٤٣- الكلاباذي:التعرف ص١٧٦
٢٤٤- القشيري: الرسالة القشيرية ص ٥٩
٢٤٥- القشيري:الرسالة القشيرية ص١٧
٢٤٦- الشيخ محمد محمد أبوخليل:المربّى ص٣٠
٢٤٧- ابن عربي:الولاية والنبوة، تحقيق د.حامد طاهر، مقال بمجلة ألف ص٢٤

العدد الخامس، ربيع ١٩٨٥

٢٤٨- الشيخ محمد محمد أبوخليل:المُربِّي، سيرة ومناقب العارف الربانى شيخنا أبى خليل وسموه الروحى ص ٢٤ ط.القاهرة،١٩٧٦

٢٤٩- كتاب مناقب سيدنا أبى زيد ص١٤٤

٢٥٠- كاسيت ٥/٧

٢٥١- فتحى ضوان:السيد أحمد البدوى قطب التصوف فى مصر ص٦٩ مقال بمجلة الهلال، يونيو ١٩٨٥

٢٥٢- ت ٦٥١هـ.

٢٥٣- اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان جـ ٤ ص ١٢٢، ط. مؤسسة العلمي، الطبعة الثانية، بيروت ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م.

٢٥٤- ابن كثير (أبو الفداء الحافظ الدمشقى ت ٧٧٤هـ): البداية والنهاية ج٦ص١٦١.

٢٥٥- يراجع فى ذلك على سبيل المثال:عيون المعجزات ص ٨،١٠،١٢،١٣،٢٠،٢١،٢٩،٣٩ الخ.

٢٥٦- دفنوا؛ غطُّوا

٢٥٧- الكلاباذي:التعرف ص١٧٧

٢٥٨- الهجويري(أبوالحسن على بن عثمان بن أبى على الجلابى):كَشْفُ المَحْجوب ص٣٥٨.

٢٥٩- السابق.

٢٦٠ - ابن الجوزى: (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن البغدادى ت ٥٩٧هـ) تلبيس ابليس ص ١٩٤ ١٩٥تحقيق آدم سنيه،ط دار الفكر الأردن د.ت

٢٦١- أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء ج١٠ ص٣٢٠ ٣٢١؛ وذكر القشيرى من قبل فى رسالته أن المخلّص سبع.

٢٦٢- الدميرى: (كمال الدين محمد بن موسى الدميرى ٧٤٢ ٨٠٨هـ) حياة الحيوان الكبرى ح١ص٥ الطبعة الثالثة / ط الحلبى، القاهرة ١٣٠٧٦هـ= ١٩٥٦م.

وبعد: فهذا كتاب لم يسألني أحد تصنيفه.

٢٦٣- الكلاباذي:التعرف ص ١٨٨

٢٦٤- ابن عربي:الفتوحات المكية، السفر السابع ص ١٩٦

٢٦٥- القشيري:الرسالة القشيرية ص ٤١

٢٦٦- اليافعي:مختصر روض الرياحين في مناقب الصالحين ص١٥٠ ١٥١؛ السيوطى (جلال الدين): المكنون فى مناقب ذى النون ص٢٣٠ ٢٣١ تحقيق عبد الرحمن حسن محمود، ط. مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٩٢.

٢٦٧- القشيري:الرسالة القشيرية ص ٢٨٧

٢٦٨- كتاب مناقب سيدنا أبي يزيد البسطامي ص ٧٥ ـ ٧٦ تحقيق د.عبد الرحمن بدوي،ط.وكالة المطبوعات، الطبعة الثالثة،الكويت،١٩٧٨

٢٦٩- د.غريب محمد علي:مقدمة تحقيق "الدرة اليتيمة في نسب ورحلة سيدى أبي الحجاج الأقصرى " ص ٤ ط.مكتبة الساهر بقنا، ١٩٨٨.

٢٧٠- القشيري:الرسالة القشيرية ص ٢٨٩

٢٧١- أبو الذبيح إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ت ٥٧٦هـ.

٢٧٢ - اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان جـ ٤ ص١٧٨.

٢٧٣- ابن عطاء الله السكندرى (ت٧٠٩هـ): لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبوالعباس المرسى وشيخه الشاذلى أبوالحسن ص٨٠ ٨١

٢٧٤- أكرم قانصو(دكتور):التصوير الشعبى العربى ص ٨٧ ٨٨ ط.عالم المعرفة، الكويت نوفمبر١٩٩٥

٢٧٥- كرامة رقم ١١

٢٧٦- يقصد منظومة الإمام يأحمد الدردير فى أسماء الله الحسنى التى تبدأ بقوله

تبـاركت يالله ربي لك الثنا   فحَمداً لمولانا وشكراً لربنا

بأسمائك الحسنىَ وأسرارها التى   أقمت بها الأكوان من حضرة الفنا

(...)

٢٧٧- الصوصي، أحمد حفنى الطاهر:عَلَمُ الشريعة والحقيقة العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ محمد الطيب الحسانى ص ٣٠، ط.مطابع الحرمين، قوص ١٩٩٣

٢٧٨- الكيلاني،د.عبدالرزاق:الشيخ عبدالقادر الجيلانى ص٢٦٠ ط.دار القلم، دمشق ١٩٩٤

٢٧٩- ابن خلكان (أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر ٦٠٨ ٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج٢ ص١٤١ تحقيق دزاحسان عباس، ط.دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠.

٢٨٠- د. عبد الستار عز الدين الراوي: التصوف والبارسايكولوجى، مقدمة أولى فى الكرامات الصوفية والظواهر النفسية الفائقة ص٨٠

٢٨١- قرية تقع غرب الأقصر وتبعد عن قرية الشيخية موطن الراوى قرابة ٥٠كم.

٢٨٢- يجئ

٢٨٣- شريط ٤ كرامة ١١

٢٨٤- السابق.

٢٨٥- ابن خلدون: المقدمة ص٢٩٦

٢٨٦- محمد عبده الحجاجي:أبو المعارف أحمد بن شرقاوى ص٨٥ ط.دار التضامن، القاهرة، ١٩٦٩.

٢٨٧- الصوصي، أحمد حفنى الطاهر:عَلَمُ الشريعة والحقيقة العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ محمد الطيب الحسانى ص ٣٦، ط.مطابع الحرمين، قوص ١٩٩٣

٢٨٨- التليلي، محسن:زاوية الشيخ أحمد التليلى بفريانة ص ١٠٩ ط.العلم، تونس ١٩٩٨

٢٨٩- د.عبدالحميد السيد: سيدى عبدالرحيم القناوى ص١٨٦ ١٨٧ ط.دار التأليف، القاهرة ؟

٢٩٠- أى ضاقت عن احتمالها.

٢٩١- السُّهروردي:(شهاب الدين أبوحفص عمر ٥٣٩ ٦٣٢هـ):عوارف المعارف جـ١ص٩٧ تحقيق د.عبدالحليم محمود و د.محمود بن الشريف، ط.دار المعارف، القاهرة،١٩٩٣

٢٩٢- ابن عربي:الولاية والنبوة، تحقيق د.حامد طاهر، مقال بمجلة ألف ص٢١،العدد الخامس، ربيع ١٩٨٥

٢٩٣- ابن عربى "الفتوحات المكية ج ١ ص ١٤٠

٢٩٤- د.أحمد الطيب:مقدمة كتاب الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيى الدين بن العربى لعلى شود كيفيتس ص ج ط. دار القبة الزرقاء، المغرب ١٩٩٩

٢٩٥- د.عامر النجار: الطرق الصوفية في مصر، نشأتها ونظمها وروادها.الرفاعى الجيلانى البدوى الشاذلى الدسوقى ص١٥٥ الطبعة الخامسة، ط. دار المعارف، ١٩٩٢.

٢٩٦- ابن عربي:شرح فصوص الحِكم من كلام الشيخ محيى الدين ابن العربى ص ٢٨ تحقيق محمود محمود الغراب،ط.زيدبن ثابت،دمشق ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

٢٩٧- السبكي: طبقات الشافعية ج٢ص٣٤٢

٢٩٨- كتاب مناقب سيدنا أبييزيد البسطامى ص١١٤

٢٩٩- عبدالمقصود محمد سالم: راحة الأرواح ص ٥٦ ط.شركة الشمرلي، الطبعة السادسة، القاهرة١٩٩٩

٣٠٠- أحمد حامد عبد الكريم: أبوالحسن الشاذلى ص٥٠

٣٠١- المقدسى (أبوحامد محب الدين محمد بن خليل ت ٨٨٨هـ =١٤٨٣):كتاب دول الإسلام الشريفة البهية ص ١ ٢ hg Subhi Habib und Ulrich Haarmann, Orient-Institut der DMG Beirut 1997

٣٠٢- آخر ورقة من مخطوط تنبيه الغافلين للفقيه "أبوالليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندى " مخطوط بجامعة Tuebingen

٣٠٣- د.عبدالحليم محمود: أبومدين الغوث ص٣٣ ط.دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥

٣٠٤- دكتور
٣٠٥- الدرقاوي:مجموعة رسائل ص٣١٩
٣٠٦- محمود عبد الوهاب أحمد، شريط رقم ٤، كرامة رقم ٦ (تسجيل ٢٧/ ١٢/ ١٩٩٥).
٣٠٧- يعنى أباالعباس المرسي
٣٠٨- د.عبدالحليم محمود: قضية التصوف المدرسة الشاذلية ص ١٨٦ الطبعة الثانية،ط.دارالمعارف، القاهرة ١٩٨٨
٣٠٩- أبونعيم الأصفهاني:حلية الأولياء ج٨ص٢١٧.
310-Richard Gramlich: Die Wunder der Freunde Gottes, Franz 420 .Steiner Verlag Wiesbaden GMBH, 1987 ,S
٣١١- السبكي: طبقات الشافعية ج٢ص٣٤١
٣١٢- اليافعي: نشر المحاسن ص١٦
٣١٣- ابن كثير (أبو الفداء الحافظ الدمشقى ت ٧٧٤هـ): البداية والنهاية ج٦ص١٦٢.
٣١٤- اليافعي:نشر المحاسن ص ١٥
٣١٥- القشيري:الرسالة القشيرية ص ٥١
٣١٦- أبونعيم الأصفهاني: حلية الأولياء ٩ص٢١٨
٣١٧- اليافعي: نشر المحاسن ص١٥
٣١٨- يُنظر:فريد ماهر:كرامات الأولياء ص١٣٩
٣١٩- عبدالحميد يونس(دكتور):الحكاية الشعبية ص ٣٧ ط. الهيئة العامة لقصور الثقافة، مايو١٩٩٧
٣٢٠- أبونعيم الأصفهاني: حلية الأولياء ج١٠ص٣٧٠
321- Julia Gonnella: Islamische Heiligenverehrung im urbanen . 45.Kontext am Beispiel von Aleppo (Syrien), S
٣٢٢- الشيخ طه الولي، "ابن عراق، شافعى المذهب شاذلى الطريقة"، صحيفة اللواء، بيروت ٢٠ آيار ١٩٩٢؛ ومن عجب أن الشيخ طه الولى قد أثبت فى

مقاله أن ابن عراق توفي في الحجاز وليس في بيروت التي عاش فيها.
٣٢٣- د.حسان حلاق "زاوية ابن عراق في الأسواق تظل أثرا لن يهدم"، صحيفة النهار، بيروت ٣٠/ ٤/ ١٩٩٢.
٣٢٤- البلدوزر الكبير
٣٢٥- ش٥/١١
٣٢٦- مقبرة
٣٢٧- ولا تبالِ
٣٢٨- شهر يزداد فيه البرد بمصر حسب التقويم المصرى القديم.
٣٢٩- ش٢/١١
٣٣٠- الكلاباذي:التعرف ص١٨٦
٣٣١- فى الأصل إذا
٣٣٢- الكلاباذي:التعرف ص١٨٧
٣٣٣- القشيري: الرسالة القشيرية ص ٣٩كما يحكى عن سماع أم لابنها بعد أن دفنته إذ صاح بها:"انصرفى ياأماه فقد قدمت على رب كريم" ص ١٠٩
٣٣٤- الكلاباذي: النعرف ص١٨٦
٣٣٥- النويرى (محمد بن قاسم بن محمد الإسكندرانى ت٧٧٥هـ=١٣٧٢م):الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية فى وقعة الإسكندرية جـ٥ص٢٢٢ ٢٢٣ ط.وزارة المعارف للحكومة الهندية، حيدر آباد، الهند ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.
٣٣٦- حمد الله الداجوي:البصائر ص١٧
٣٣٧- د.عبدالرحيم تمام أبوكريشة: دراسة أنثروبولوجية لملامح الطب الشعبى فى الريف العربى ص ١٢٦ ١٢٧
٣السابق
٣٣٨- د. عبد الوهاب عزام: إقبال ص ٢٦ط. دار القلم، القاهرة ١٩٥٤
339- . Annemarie Schimme, Mystische Dimensionen des Islam, S
٣٤٠- ناصر جويدة، الأهرام ٢٩/ ١/ ١٩٩٤

٣٤١- الشيخ حسين بن عبدالوهاب (من علماء القرن الخامس الهجري): عيون المعجزات ص ٩٥ ط. مكتبة الداورى قم، إيران ١٣٩٥هـ.

٣٤٢- ديوان عبد القادر الجيلاني ص ١٧٣

٣٤٣- فاروق شاكر جاهين: السيد عبدالرحيم القناوى ص١١ ط.قنا ١٩٨٥.

٣٤٤- كتاب مناقب سيدنا أبى يزيد البسطامى ص١٧٩

٣٤٥- لطفى عيسى:أخبار المناقب ص ٣١

٣٤٦- محمد عبده الحجاجي:أبو المعارف أحمد بن شرقاوى ص٤٤ ط.دار التضامن، القاهرة، ١٩٦٩.وقد نقلها عن مخطوط "مناقب ابن شرقاوى " لمحمد بن محمد المراغي،مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٠٠ تاريخ؛ وقد ذكرت الباحثة Hoffman.Valerie J هذه الكرامة في كتابها 279..Sufism, Mystics and Saints in Modern Egypt , p

٣٤٧- د.صابر عبدالدايم : الأدب الصوفي، اتجاهاته وخصائصه ص ٢١ ط.دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤.

٣٤٨- حسن محمد عواد شريط رقم ٤، كرامة رقم ٩، تسجيل ٢٨/ ١٢/ ١٩٩٥)

٣٤٩- أبونعيم الأصفهاني:حلية الأولياء ج٩ص٣٦٦ ومعروف الكرخى يرد ابنًا غائبًا إلى أبويه من مسافة بعيدة، السابق خ٨ ص٣٦٢

٣٥٠- فريد ماهر:كرامات الأولياء ص ١٥٠ ١٥١

٣٥١- د.عبدالحميد السيد: سيدى عبدالرحيم القناوى ص١٨٧ ط.دار التأليف، القاهرة ؟

٣٥٢- أبونعيم الأصفهاني:حلية الأولياء ج٨ص٣

٣٥٣- كتاب أخبار الحلاج أو مناجيات الحلاج وهو من أقدم الأصول الباقية فى سيرة الحسين بن منصور الحلاّج البيضاوى البغدادى ص ٢٥ ٢٦ تحقيق ل. ماسنيون وب. كراوس، ط. منشورات الجمل، ألمانيا ١٩٩٩ ونجد هذه الكرامة مذكورة مع شيء من التحوير في::تراث الحلاج ، أخباره ديوانه طواسينه ص ٣٤ ٣٥ قرأه وأعده وحققه عبداللطيف الراوي(دكتور) و عبد الإله نبهان (دكتور) ط.دار الذاكرة، حمص ١٩٩٦

٣٥٤ – الصوصي، أحمد حفنى الطاهر:عَلَمُ الشريعة والحقيقة العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ محمد الطيب الحسانى ص ٢٨ ٢٩، ط.مطابع الحرمين، قوص ١٩٩٣

٣٥٥– فريد ماهر:كرامات الأولياء ١٦١

٣٥٦ – أحمد حامد عبد الكريم: أبوالحسن الشاذلى ص٥٥

٣٥٧ – القرآن الكريم، سورة يوسف١٢/٢٤

٣٥٨ – ش ١١/٦

٣٥٩ – الإبريز الذى تلقاه نجم العرفان الحافظ سيدى أحمد بن المبارك عن قطب الواصلين سيدى عبد العزيز الدباغ ص ١٦ ط. محمد على صبيح، القاهرة،د.ت.

٣٦٠ – د.عبدالرحيم تمام أبوكريشة: دراسة أنثروبولوجية لملامح الطب الشعبى فى الريف العربى ص ٦٣ ط.مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٩٤.

٣٦١ – اليافعي:مختصر روض الرياحين في مناقب الصالحين ص ٢٠ على هامش قصص الأنبياء للثعلبي، ط. البهية المصرية، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٣٧١هـ=١٩٥١م.

٣٦٢ – السابق ص٢١

٣٦٣– السابق.

٣٦٤– السابق.

٣٦٥– سبط ابن الفارض: ديباجة ديوان ابن الفارض ص١٥٦ ١٥٧ تحقيق د. عبدالخالق محمود، ط. عين، القاهرة ١٩٩٥

٣٦٦– يقصد الرئيس السادات فى ذلك الوقت

٣٦٧– ش٧/ ١٤

٣٦٨– اليافعي:(أبومحمد عبدالله بن أسعد ٦٩٨ـ ٧٦٨هـ):نشر المحاسن الغالية فى فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية الملقب كفاية المعتقد ونكاية المنتقد ص ٢٦٢ تحقيق إبراهيم عطوة عوض، ط.الحلبي،القاهرة ١٣٨١هـ ١٩٦١م.

٣٦٩- طيفور(الإمام أبوالفضل أحمد بن أبى طاهر٢٠٤ ٢٨٠هـ):كتاب بلاغات النساء ص٢٤٤ ط.قم (د.ت)

٣٧٠- نصر بن إبراهيم السمرقندي: تنبيه الغافلين ورقة ٢٠٤ أ ب ٢٠٥ أ،مخطوط بجامعة Tuebingen

٣٧١- محمد عبده الحجاجي:أبو المعارف أحمد بن شرقاوى ص٣٧ ط.دار التضامن، القاهرة، ١٩٦٩.

٣٧٢- القفطى (نور علي):القطب الجليل شيث القفطى ص ٤٣ ط.أخبار قنا ١٩٩٩

٣٧٣- أبونعيم الأصفهاني:حلية الأولياء ج٩ص٣٦٣

٣٧٤- أبونعيم الأصفهاني:حلية الأولياء ج٩ص٣٦٣

٣٧٥ - شريط رقم ١٠/٢

٣٧٦ - محمد بن ابراهيم الشيباني:عجائب من عصور متفرقة ج١ ص ٧٦ ط.مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت ١٩٩٢

377-Hoffman, Sufism, Mystics and Saints in Modern.Valerie J Egypt, the University of South Carolina , United States of 299.America, 1995,P

٣٧٨- عمر عبدالعزيز(دكتور):الصوفية والتشكيل ص ٩٦ ط.مؤسسة عمون،الأردن

٣٧٩ - جلال الدين الرومي:المثنوى جـ٢ ص٣٤٠

٣٨٠ - السابق.

381- Hoffman, Sufism, Mystics and Saints in Modern.Valerie J Egypt, the University of South Carolina , United States of 308.America, 1995,P

٣٨٢- السابق، كرامة رقم ١٠.

٣٨٣ - أبونعيم الأصفهاني:حلية الأولياء ج٨ص٣

٣٨٤ - كتاب أخبار الحلاج ص ٨٩

٣٨٥ – التِّرمُذي:(أبوعبدالله محمدبن علي بن الحسن بن بشر)كتاب سيرة الأولياء ص٥٧تحقيق Bernd Radtke بيروت ١٩٩٢.

٣٨٦ – اليافعي:(أبو محمد عبدالله بن أسعد اليافعى):نشر المحاسن الغالية فى فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية الملقب كفاية المعتقد ونكاية المنتقد ص٣٩٦

٣٨٧ – يُنظر فى ذلك:محمد خير رمضان يوسف:الخضر بين الواقع والتهويل ص٢٩٢ ٣٤٣ ط.دار المصحف، دمشق، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م. حيث أورد فصلاً كاملاً عن اجتماع الخضر بالصحابة والخلفاء والأمراء والعلماء والأولياء والعارفين والعامة.

٣٨٨ – ابن عربي: الفتوحات المكية،السفر الثالث ص١٨٠ ـ ١٨٧

٣٨٩ – الشيخ محمد محمد أبوخليل:المربى ص ٣١

٣٩٠ – محمد عبده الحجاجي:أبو المعارف أحمد بن شرقاوى ص٧٦ ط.دار التضامن، القاهرة، ١٩٦٩.

٣٩١– النبهاني:جامع كرامات الأولياء جـ٢ ص ١٢٣،١٢ وغير ذلك.

٣٩٢ – الكهف ١٨/٦٥

٣٩٣ – الشيخ محمد محمد أبوخليل:المربى ص ١٠٨

٣٩٤– الشيخ محمد محمد أبوخليل:المربى ص ٣٦

٣٩٥– انظر الإبريز الذى تلقاه نجم العرفان الحافظ سيدى أحمد بن المبارك عن قطب الواصلين سيدى عبد العزيز الدباغ ص ٢٢ ط. محمد على صبيح، القاهرة،د.ت.

٣٩٦– يوسف بن إسماعيل النبهاني: (١٢٦٥ ١٣٥٠ هـ): جامع كرامات الأولياء جـ٢ ص٢٩٨، الطبعة الثالثة، ط. البابى الحلبي، القاهرة ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م.

٣٩٧– اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان جـ ٤ ص١٢٢.

٣٩٨ – ديوان عبد القادر الجيلانى ص١١٦

٣٩٩ – ابن خلدون:المقدمة ص٢٩٦

٤٠٠ – السبكي(تاج الدين أبونصر عبد الوهاب بن على بن عبدالكافى ٧٢٧ ٧٧١هـ):طبقات الشافعية الكبرى جـ ٢ص٣١٤ تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي، ط.عيسى البابى الحلبي، القاهرة، ١٣٨٣هـ=١٩٦٤م.

٤٠١– ولذا يرى Menching أن الكرامات تحدث في ماض أسطورى أوما يسمى فى الهند akala أى اللازمن " ٤٠١

وينظر فى ذلك: ابن كثير (أبو الفداء الحافظ الدمشقى ت ٧٧٤هـ): البداية والنهاية ج١٠ص٣٥٧، تحقيق د.أحمد أبو ملحم، د.على نجيب، فؤاد السيد، مهدى ناصر الدين، على عبدالساتر، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

٤٠٢ – وقد اهتم العرب بشكل خاص بالرؤيا ونقلوا ما كُتب عنها فى التراث اليوناني مثلاً، يُنظر فى ذلك مثلاً:أرطميدوس الإفسي: كتاب تعبير الرؤيا أول وأهم الكتب فى تفسير الأحلام، نقله من اليونانية حُنين بن إسحق (ت٢٦٠هـ=٨٧٣م.)تحقيق د.عبد المنعم الحفني، ط. دار الرشيد، القاهرة ١٩٩١. وهذا الإهتمام المبكر بتراث تفسير الأحلام يشير إلى خوف الإنسان من المستقبل ومحاولاته المستميتة للتنبؤ بما سيحدث،ولم يقتصر ذلك على العرب بل اهتم الأدباء ولا سيما السرياليون بالحلم؛ وقد ذكر الشاعر الفرنسى جيرار دى نرفال Gerard de Nerval أن "الحلم هو حياة ثانية" دولت العرب:جيرار دى نرفال والحلم المنذر بالموت، مقال بمجلة ألف ص ٧٣،العدد الخامس، ربيع ١٩٨٥بينما الرؤيا لدى المتصوفة تأخذ شكل اليقين.

٤٠٣ – د.حامد طاهر: الولاية والنبوة عند محيى الدين بن عربي، مقال بمجلة ألف ص٢١، العدد الخامس، ربيع ١٩٨٥

٤٠٤ – الوهراني(ركن الدين محمد بن محمد بن محرز ت ١٥٧٥م): منامات الوهرانى ومقاماته ورسائله ص ١٧ تحقيق ابراهيم شعلان ومحمد نغش، منشورات الجمل، كولونيا ١٩٩٨

٤٠٥ – ابن عربي:الولاية والنبوة، تحقيق د.حامد طاهر، مقال بمجلة ألف ص٢٠،العدد الخامس، ربيع ١٩٨٥

٤٠٦ – د.حامد طاهر: الولاية والنبوة عند محيي الدين بن عربي، مقال بمجلة ألف ص٢١، العدد الخامس، ربيع ١٩٨٥ .

٤٠٧ – ابن عربي:الولاية والنبوة، تحقيق د.حامد طاهر، مقال بمجلة ألف ص٢٢ العدد الخامس، ربيع ١٩٨٥

٤٠٨– أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال ص ٣٧٩ تحقيق د. عبد الحليم محمود، الطبعة الثالثة، ط. دار المعارف، القاهرة ١٩٨٨ م.

٤٠٩ – كتاب أخبار الحلاج أو مناجيات الحلاج وهو من أقدم الأصول الباقية في سيرة الحسين بن منصور الحلاّج البيضاوى البغدادى ص ١٩ تحقيق ل. ماسنيون وب. كراوس، ط. منشورات الجمل، ألمانيا ١٩٩٩

٤١٠ – على شود كيفيتس: الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيى الدينْ بن العربى ص ٤٧ ترجمة د.أحمد الطيب،ط. دار القبة الزرقاء، المغرب ١٩٩٩

٤١١ – شاه ولى الله (قطب الدين أحمد بن وجيه الدين ١٧٠٣ ١٧٦٢): فيوض الحرمين ص ٥٢ ط. المطبع الأحمدي، متعلق مدرسة عزيزى دهلي، ١٣٠٨هـ، ١٣٠٨هـ. ؟

٤١٢ – السابق ص ٦٥

٤١٣ – أدونيس:الصوفية والسوريالية ص٦٢ ط.دار الساقي،بيروت،١٩٩٢.

٤١٤ – مناقب سيدنا أبى يزيد البسطامى ص١٥٢

٤١٥ – القشيري:الرسالة القشيرية ص١٨

٤١٦– كتاب مناقب سيدنا أبي يزيد البسطامى ص٨٤ تحقيق د.عبدالرحمن بدوي، ط.وكالة المطبوعات، الكويت،الطبعة الثالثة، ١٩٧٨

٤١٧ – الهجويري(أبوالحسن على بن عثمان بن أبى على الجلابى) كَشْفُ المَحْجوب جـ١ص٢٩٧،ترجمة وتحقيق د.اسعاد عبد الهادى قنديل، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٧٤.

٤١٨– يُنظر: ج.١٠ص٣١٢

٤١٩ – اليافعي:مختصر روض الرياحين في مناقب الصالحين ص ٩٦

٤٢٠ – ابن سيرين:خلاصة الكلام في تأويل الأحلام المسمى بالمنتخب ورقة ٦ أ ب، مخطوط بجامعة توبنجن.

٤٢١ – ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون ص ٢٩٩تحقيق حُجر عاصي، ط. دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٣

٤٢٢- ابن الزيات:التشوف إلى أهل التصوف ص٢٤١

٤٢٣ – عبد القادر الجيلاني:ديوان عبد القادر الجيلاني ص٩٠، تحقيق د.يوسف زيدان.

٤٢٤ – النفري:(محمد بن عبدالجبار بن الحسن) كتاب المواقف وكتاب المخاطبات ص١٠٠، تحقيق أرثر يوحنا أربري، ط.مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت.

٤٢٥ – اليافعي:مختصر روض الرياحين في مناقب الصالحين ص ٩٠

٤٢٦ – أرجعَ المستشرق الألماني Gerhard Endress ".Dr.Prof إطلاق العرب مصطلح الهاتف على التليفون إلى شيوع مصطلح الهاتف في التصوف ولقرابة المعنى فالتليفون صوت بلا حضور جسدي وكذلك الهاتف عند الصوفيين"Bochumer Orientalischen Kolloquiums, 28.11. 1995

٤٢٧– السُلَمي:(أبوعبدالرحمن ٣٣٠؟ ٤١٢هـ):طبقات الصوفية ص ١٢ تحقيق أحمد الشرباصي، ط. الشعب، القاهرة، ١٣٨٠هـ.

٤٢٨ – الهجويري(أبوالحسن على بن عثمان بن أبي على الجلابي) كَشْفُ المَحْجوب جـ١ص٢٥١،ترجمة وتحقيق د.اسعاد عبد الهادي قنديل، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٧٤.

٤٢٩– السُلَمي:(أبوعبدالرحمن ٣٣٠؟ ٤١٢هـ):طبقات الصوفية ص ١٩ تحقيق أحمد الشرباصي، ط. الشعب، القاهرة، ١٣٨٠هـ.

٤٣٠– في الأصل: الصلحا.

٤٣١– محمد بن أحمد المقري: بلوغ الآراب في لطايف العتاب، مخطوط بجامعة توبنجن Ma VI 88

٤٣٢- أبونعيم الأصفهاني: حلية الأولياء ج١٠ص٣٢٤

٤٣٣ - ترجمة الشاعرأحمد رامي؛ وقد ترجمها Edward Fitzgerald على النحو التالي:

Dreaming when dawn`s left hand was in the sky,"

I heard a voice within the tavern cry,

{Awake, my Little ones, and fill the Cup

Before Life`s Liquor in its Cup be dry}"

Edward Fitzgerald: Rubaiyat of Omar Khayyam, Illusted by Willy .Pogany, Great Britain 1984

٤٣٤- الكرامة في: اليافعي:مختصر روض الرياحين في مناقب الصالحين ص٢١ ٢٧

٤٣٥- أبونعيم الأصفهانى (الحافظ أحمدبن عبد الله ت ٤٣٠هـ): حلية الأولياء جـ١٠ ص ٢١٦ ط.دار الكتاب العربي، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

٤٣٦- محمد أفندى الكواكبي: كون حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم حياً بجسده الشريف، (مخطوط بمكتبة جامعة بون، تحت رقم So.(201 .

٤٣٧- الهجويري (أبوالحسن على بن عثمان بن أبي على الجلابى) كَشْفُ المَحْجوب جـ١ص٢٤٣،ترجمة وتحقيق د.إسعاد عبد الهادى قنديل، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٧٤.؛ كما يروى شاه ولى الله أحاديث منسوبة للنبى صلعم فى محاسن المذهب الحنفي. ويذكر أنه "تراءى لى أن فى هذا المذهب الحنفي سرًا غامضًا" شاه ولى الله (قطب الدين أحمد بن وجيه الدين ١٧٠٣ ١٧٦٢): فيوض الحرمين ص ٣٨، ١٠٥.

٤٣٨- ابن كثير (أبو الفداء الحافظ الدمشقى ت ٧٧٤هـ): البداية والنهاية ج١٠ص٣٥٧

٤٣٩- شاه ولى الله (قطب الدين أحمد بن وجيه الدين ١٧٠٣ ١٧٦٢): فيوض الحرمين ص ٢٨ط. المطبع الأحمدي، متعلق مدرسة عزيزى دهلي، ١٣٠٨هـ.

٤٤٠- السابق ص ٣٣
٤٤١- أبونعيم الأصفهاني: حلية الأولياء ج٩ص٣٢٢
٤٤٢- فريد ماهر:كرامات الأولياءص١٥٥
٤٤٣ - أحمد حامد عبد الكريم: أبوالحسن الشاذلى ص٢٩ ط.مكتبة جمهورية مصر ، القاهرة ١٩٧٧
٤٤٤ - أحمد حامد عبد الكريم: أبوالحسن الشاذلى ص٣٥، ويروى النبهانى هذه المقولة على لسان أبى العباس المرسي: النبهانى (يوسف بن اسماعيل ١٢٦٥ . ١٣٥٠هـ):جامع كرامات الأولياء جـ١ص٥٢٠.
٤٤٥ - اليافعي:مختصر روض الرياحين فى مناقب الصالحين ص ١٢٧
٤٤٦ - الدكتورة قمر النساء:العلامة فضل حق الخير أبادي،حياته ومآثره مع تحقيق كتابه الثورة الهندية ص ١٠٦ ط. المكتبة القادرية بالجامعة النظامية الرضوية، لاهور،باكستان،١٣٩٩هـ ١٩٧٩م
٤٤٧ - د.محمد عبدالمنعم خفاجي: الأدب فى التراث الصوفى ص٢٢٢ط.مكتبة غريب،١٩٨٠.
٤٤٨ - اليافعي:نشر المحاسن الغالية ص٢٦٣
٤٤٩ - الشيخ محمد محمد أبوخليل:المربّى ص٣٤
٤٥٠ - حمد الله الداجوي: البصائر ص ٣٧١
٤٥١ - محمد عبده الحجاجي:أبو المعارف أحمد بن شرقاوى ص٢٨ ط.دار التضامن، القاهرة، ١٩٦٩.

452- Hoffman, Sufism, Mystics and Saints in Modern.Valerie J Egypt, the University of South Carolina , United States of 268.America, 1995,P

453- Albrecht Hofheinz: Internalising Islam, Shaykh Muhammad Majdhub Scriptural Islam and Local Cotext in the Early Nine- 597.II, P.teenth- Century Sudan, , V

600.454 ibid, P

٤٥٥- مكفرسون :Joseph William Mcpherson الموالد فى مصر ص١٦٦ ترجمة د.عبدالوهاب بكر، ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨

٤٥٦- تختلف وحدة العملة النقدية حسب البلد التى توزع فيه.

457- Hoffman, Sufism, Mystics and Saints in Modern.Valerie J 139.Egypt, P

وتروى أن محمد الفرشوطى قد حكى لها أنه رأى السيدة زينب فى الرؤيا وبصحبتها الشيخ محمد الطيب ولم يكن قد رآه من قبل وعندما ذهب لزيارته ألفاه مماثلاً تماما للشيخ الذى رآه فى الرؤيا.

٤٥٨- محمد عبده الحجاجي: شخصيات صوفية في صعيد مصر فى العصر الإسلامى ص ٣٢ ط.الأقصر ١٩٩٠

459- Hoffman, Sufism, Mystics and Saints in Modern.Valerie J Egypt, , the University of South Carolina , United States of 274.America, 1995,P

460- Hoffman, Sufism, Mystics and Saints in Mod-.460 Valerie J 274.ern Egypt, ,P

٤٦١- د.عبدالحليم محمود: السيد البدوى ص٥٢ ط.دار الشعب، القاهرة، د.ت.

462Hoffman, Sufism, Mystics and Saints in Modern.Valerie J 304.Egypt,P

.463 Ibid

464 Hoffman, Sufism, Mystics and Saints in Modern.464 Valerie J Egypt, the University of South Carolina , United States of 298.America, 1995,P

٤٦٥- الغزالي:المنقذ من الضلال ص ١٣٣

٤٦٦ - اليافعي:مختصر روض الرياحين في مناقب الصالحين ص ١٤ ١٨على هامش قصص الأنبياء للثعلبي، ط. البهية المصرية، الطبعة الثالثة، القاهرة،

١٣٧١هـ=١٩٥١م.

٤٦٧- السابق

٤٦٨- اليافعي:مختصر روض الرياحين فى مناقب الصالحين ص٧٧

٤٦٩- فريد ماهر:كرامات الأولياء ص١٥٢

٤٧٠- فريد ماهر:كرامات الأولياء ص١٥٢

٤٧١- القرآن الكريم سورة الإسراء ١٧ / ٦٥.

٤٧٢ - فريد ماهر:كرامات الأولياء ص١٣٦

٤٧٣ - ابن الجوزى: (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن البغدادى ت ٥٩٧هـ) تلبيس ابليس ص ٤٢٣تحقيق آدم سنيه،ط دار الفكر الأردن د.ت

٤٧٤- ابن الجوزى: (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن البغدادى ت ٥٩٧هـ) تلبيس ابليس ص٤٢٧تحقيق آدم سنيه،ط دار الفكر الأردن د.ت

٤٧٥- الدرقاوى الحسني(مولاى العربى ت ١٢٣٩هـ): مجموعة رسائل ص ٢٦٣ ٢٦٤ تحقيق بسام محمد بارود، ط. المجمع الثقافي،أبوظبى ١٩٩٩

٤٧٦- الهجويري(أبوالحسن على بن عثمان بن أبى على الجلابى):كَشْفُ المَحْجوب ص٣٤٢

٤٧٧- حققه وطبعه ماسينيون، باريس ١٩١٣. كما حققه بولس نويًا اليسوعى ط. جامعة سان جوزيف، بيروت،١٩٧٢.

٤٧٨- الحلاج (أبو المغيث الحسين بن منصور ت ٩٢٢م.): كتاب الطواسين ص ١٩، Al-Kamel Verlag, Koeln, 1987

٤٧٩- الحلاج : كتاب الطواسين ص ٢١

٤٨٠- اليافعي:مختصر روض الرياحين فى مناقب الصالحين ص١٦٤

٤٨١- ابن كثير (أبو الفداء الحافظ الدمشقى ت ٧٧٤هـ): البداية والنهاية ج٦ص٢٩٤.

٤٨٢- فريد ماهر:كرامات الأولياء ص ١٣٧ ١٣٨

٤٨٣- فريد ماهر:كرامات الأولياء ص ١٣٨

٤٨٤- اليافعي:مختصر روض الرياحين فى مناقب الصالحين ص٧٠

٤٨٥- يُنظر: د.عبدالحليم محمود: السيد البدوى ص ٢٤ ٢٩ ط.دار الشعب، القاهرة، د.ت.

٤٨٦- أبونعيم الأصفهاني:حلية الأولياء ج٩ص٣٤٠

٤٨٧- أبونعيم الأصفهاني:حلية الأولياء ج ٩ص٣٤١

٤٨٨ - أبونعيم الأصفهاني:حلية الأولياء ج ٩ص٣٤٤

٤٨٩ - أبونعيم الأصفهاني:حلية الأولياء ج٩ص٣٥٤

٤٩٠ - أبونعيم الأصفهاني:حلية الأولياء ج٩ص٣٤٨

٤٩١ - أبونعيم الأصفهاني:حلية الأولياء ج٩ص٣٥٤

٤٩٢ - اليافعي:مختصر روض الرياحين فى مناقب الصالحين ص ٥ ١٠على هامش قصص الأنبياء للثعلبي، ط. البهية المصرية، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٣٧١هـ=١٩٥١م.

٤٩٣ - اليافعي:مختصر روض الرياحين فى مناقب الصالحين ص ٢٩

٤٩٤ - اليافعي:مختصر روض الرياحين فى مناقب الصالحين ص ٤٩ ٥١

٤٩٥ - اليافعي:مختصر روض الرياحين فى مناقب الصالحين ص ٥٢

٤٩٦ - ابن الزيات:(أبو يعقوب يوسف بن يحيى التّادلى ت ٦١٧هـ): التشوّف إلى رجال التصوف وأخبار أبى العباس السبْتى ص٣٨٧، ٣١٦،٣٢١،٧،١١٢،٢٠٧، تحقيق أحمد التوفيق ط.جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

٤٩٧ - اليافعي:مختصر روض الرياحين فى مناقب الصالحين ص ١٨١ ١٨٢

498- Hoffman, Sufism, Mystics and Saints in Modern.Valerie J Egypt, the University of South Carolina , United States of 296.America, 1995,P

499- Hoffman, Sufism, Mystics and Saints in Mod-.499 Valerie J 297.ern Egypt, ,P

٥٠٠- اليافعي:مختصر روض الرياحين فى مناقب الصالحين ص٥٣ ٦٥

٥٠١ - اليافعي:مختصر روض الرياحين فى مناقب الصالحين ص٦٥

٥٠٢ – اليافعي:مختصر روض الرياحين فى مناقب الصالحين ص٩١

٥٠٣ – اليافعي:مختصر روض الرياحين فى مناقب الصالحين ص ١٠٩

٥٠٤ – اليافعي:مختصر روض الرياحين فى مناقب الصالحين ص١٤١

505- Hans Daiber, "Literarische Prozess zwischen Fiktion und Wirklichkeit -Ein Beispiel aus der Klassisch-arabischen Er-58.zaehlliteratur", S

٥٠٦– الدخان ٥٤/٤٤؛ الطور ٢٠/٥٢؛ الرحمن ٧٢/٥٥ 74؛ الواقعة ٢٢/٥٦ ٢٣

٥٠٧ – د.عبدالله صابر: السيد البدوى دراسة نقدية ص١١ (مع مجلة التوحيد ١١ ١٩٩١)

٥٠٨ – أبونعيم الأصفهاني:حلية الأولياء ج ١٠ص٣٢٢

٥٠٩ – الواقعة ٢٢/٥٦ ٢٣

٥١٠ – أبونعيم الأصفهاني: حلية الأولياء ج٩ص٣٢٦

٥١١ – ماهر جرار: "مصارع العشاق، دراسة في أحاديث الجهاد والحور العين" مقال بمجلة الأبحاث ص ٦٢ الناشر:الجامعة الأمريكية ببيروت، السنة ٤١/١٩٩٣

٥١٢ – اليافعي:مختصر روض الرياحين فى مناقب الصالحين ص٧٨

٥١٣ – اليافعي:مختصر روض الرياحين فى مناقب الصالحين ص١٤٨ ١٤٩

٥١٤ – اليافعي:مختصر روض الرياحين فى مناقب الصالحين ص١٧٨

٥١٥ – اليافعي:مختصر روض الرياحين فى مناقب الصالحين ص١٨٠

٥١٦ – ابن عربي: محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيارج١ ص٢٢٦، تحقيق محمد مرسى الخولي، ط.دار الكتاب الجديد، القاهرة، ١٩٧٢.

٥١٧– أحمد الرفاعي: البرهان المؤيد ص ١١٤ تحقيق إبراهيم الرفاعي، ط.دار التراث العربي، القاهرة ١٩٩١.

٥١٨ – البوصيري

٥١٩– على شود كيفيتس: الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيى الدين بن

العربي ص٤٨ ترجمة د.أحمد الطيب،ط. دار القبة الزرقاء، المغرب ١٩٩٩

٥٢٠- ابن الفارض: ديوان ابن الفارض ١٦٧ تحقيق د.عبدالخالق محمود، ط.عين، القاهرة، ١٩٩٥.

٥٢١- صوّب الدكتور يوسف زيدان البيت إلى النحو التالي:

"ضريحيَ بيتُ اللـــهِ مَن جاء زارهُ   بهرولةٍ يحظَ بعـــــزٍّ ورفـعةِ "

د.يوسف زيدان:مقدمة تحقيق "ديوان عبد القادر الجيلاني " ص١٠٦ ط.أخبار اليوم، القاهرة،١٩٩٠

٥٢٢- انظر: محمد سعيد القادري: الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية ص ٤٨ ـ٤٩ القاهرة د.ت.

٥٢٣- الكلاباذي:التعرف ص١٧٨ ونسب أبونعيم هذه الحكاية إلى رجل؛ وزاد "فإذا بهاتف يهتف من وراء الجبل" أبونعيم الأصفهاني:حلية الأولياء ج ٨ص٣٣٦

٥٢٤- فريد ماهر:كرامات الأولياء ص ١٣٤ ط. المطبعة العالمية، القاهرة ١٣٩١هـ=١٩٧١م؛ إبراهيم الرفاعي: البرهان المؤيد لسيدى أحمد الرفاعى ص ١٩ ط.دار التراث العربي، القاهرة ١٩٩١.

٥٢٥- شوقي بشير(دكتور):نقد ابن تيمية للتصوف ص ٣٦، ط. دار الفكر، الخرطوم ١٩٨٧

٥٢٦- البغدادي(أبوبكر أحمد بن على الخطيب ت ٤٦٣هـ):تاريخ بغداد ج ٥ص١٣٦ط.الخانجي، القاهرة، ١٣٤٩هـ

٥٢٧- ابن العماد الحنبلى (عبدالحى ت١٠٨٩):شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ج١ ص ١٠٧، ط. بيروت (د.ت)

٥٢٨- ابن تيمية::السلوك ص ٧٨ وينظر في ذلك مقال شوقى بشير "الفناء عن شهود السوى وما يحدث فيه من شطحات "مجلة القسطاس ص ص ٣٢ ،٥٧، الخرطوم، يونيو ١٩٩٨

٥٢٩- نبهان، عبدالإله (دكتور):شرح بيتى الرقمتين للأمير عبدالقادر الجزائري،

مقال بمجلة ثقافة الهند، المجلد ٤٣، العدد ٣ ص ٣٨، نيودلهي، ١٩٩٢
٥٣٠- ذكى مبارك (دكتور): التصوف الإسلامى ج٢ ص ٢٢١،ط.القاهرة ١٩٥٤
٥٣١- ابن كثير: البداية والنهاية ج١١ص ١١٤
٥٣٢- ابن الفارض: ديوان ابن الفارض ص ٢٧٣ ٣٧٤ تحقيق د. عبدالخالق محمود، ط. عين، القاهرة ١٩٩٥
٥٣٣- السابق
٥٣٤- نبهان، عبدالإله (دكتور):شرح بيتى الرقمتين للأمير عبدالقادر الجزائري، مقال بمجلة ثقافة الهند، المجلد ٤٣، العدد ٣ ص ٤٠ ٤٣، نيودلهي، ١٩٩٢
٥٣٥- د.أحمد عبدالجواد "ازدواجية الوجود " مقال بصحيفة الأهرام، ٢٣/ ٢/ ١٩٩٦.
٥٣٦- أبونعيم الأصفهانى (الحافظ أحمدبن عبد الله ت ٤٣٠هـ): حلية الأولياء جـ١٠ ص ٣١٩ ط.دار الكتاب العربي، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
٥٣٧- فريد ماهر:كرامات الأولياء ص١٦٠
٥٣٨- اليافعي: نشر المحاسن ص ٢٥
539- Hoffman, Sufism, Mystics and Saints in Modern.Valcrie J Egypt, the University of South Carolina , United States of 297.America, 1995,P
٥٤٠- اليافعي:مختصر روض الرياحين فى مناقب الصالحين ص١٧٢
٥٤١ – ديوان عبد القادر الجيلانى ص١٢١
٥٤٢- ابن عطاء الله السكندرى (ت٧٠٩هـ): لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبوالعباس المرسى وشيخه الشاذلى أبوالحسن ص٧٢ ط. مكتبة عالم الفكر، القاهرة ١٩٩٣.
٥٤٣ – اليافعي:مختصر روض الرياحين في مناقب الصالحين ص٢١٦
٥٤٤ – جمال الغيطاني: رؤية أدبية: كرامات الأولياء، ص ٩٥ مقال بمجلة الهلال، يونيو ١٩٨٥

٥٤٥- لطفي عيسى:أخبار المناقب ص٢١[نقلاً عن مخطوط:مناقب السيدة الجليلة العارفة بالله السيدة عائشة المنوبية، لمؤلف مجهول مخطوطة رقم ٨٩٠٦ رصيد المكتبة الوطنية]

٥٤٦- النبهاني:جامع كرامات الأولياء جـ٢ص ١١٦

٥٤٧- الترمذي:كتاب سيرة الأولياء ص ٤٥ ٤٦

٥٤٨- ابن عربي:شرح فصوص الحكم ص ٢١٨

٥٤٩- كتاب أخبار الحلاج أو مناجيات الحلاج وهو من أقدم الأصول الباقية فى سيرة الحسين بن منصور الحلاّج البيضاوى البغدادى ص ٢٥ ٢٦تحقيق ل. ماسنيون وب. كراوس، ط. منشورات الجمل، ألمانيا ١٩٩٩

٥٥٠- على شود كيفيتس: الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيى الدين بن العربى ص٤٨ ترجمة د.أحمد الطيب،ط. دار القبة الزرقاء، المغرب ١٩٩٩

٥٥١ - ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون ص ٢٩٨

٥٥٢ - رواه أبوداود، والحاكم، والبيهقي.

٥٥٣ - أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال ص ٣٧٧تحقيق د. عبد الحليم محمود، الطبعة الثالثة، ط. دار المعارف، القاهرة ١٩٨٨ م.

٥٥٤ - أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال ص ٣٩٢، ٣٩٣

٥٥٥- ابن عربي:الفتوحات المكية ج٣ص٥٧٣ ومابعدها

٥٥٦ - د.مصطفى غالب:مقدمة تحقيق كتاب "تفسير القرآن الكريم لابن عربي، ط.دار الأندلس، بيروت، ١٩٩٣م.

٥٥٧ - د.عامر النجار: الطرق الصوفية فى مصر، نشأتها ونظمها وروادها:الرفاعى الجيلانى البدوى الشاذلى الدسوقى ص٨٥

٥٥٨ - د.عامر النجار: الطرق الصوفية فى مصر ص١٢٦

٥٥٩ - عقب يوسف زيدان أنه"من المؤكد أن قوله علم الله يراد به القرآن الكريم وإلا فلا يصح ادعاء مخلوق بأنه يحيط بمطلق علم الله؛ وقوله عقب ذلك 'أحصى حروفه' يوضح بما لايدع للشك مجالاً أن المراد بالعلم هنا:القرآن." حاشية:ديوان عبد القادر الجيلانى ص ٩١

٥٦٠- ديوان عبد القادر الجيلانى ص٩١ ٩٢

٥٦١- ديوان عبد القادر الجيلانى ص٩٦

٥٦٢- ديوان عبد القادر الجيلانى ص١٤٩ ويبالغ الجيلانى فى دوره ومكانته مبالغة لايجدى فيها الدفاع عنه إلا أن تكون هذه الأشعار مدسوسةً عليه.

٥٦٣- ديوان عبد القادر الجيلاني ص١٦٠ وقد عقب يوسف زيدان على هذه الأبيات فى الحاشية قائلاً:"ولما كانت هذه الأقوال معبرة عن مشاهد ذوقية خاصة كل الخصوصية، فإننا نريأفضل الأحوال معها التوقف عن القبول والرفض؛ وذلك خشية قبولها قبل تذوق معانيها فتكون فتنة؛ أورفضها مع صحة مقام قائلها فيكون اعتراضًا" وهو موقف اللاموقف وهذا لاينبغىَ أن يكون لباحث تجاه قضية خطيرة كهذه ، فالصوفيون أنفسهم رفضوا مثل هذه الشطحات.

٥٦٤ - ديوان عبد القادر الجيلانى ص ١٦٩

٥٦٥ - ديوان عبد القادر الجيلانى ص ١٩٩

٥٦٦ - ديوان عبد القادر الجيلانى ص ١٩٨ ٢٠٢

٥٦٧ - ديوان عبد القادر الجيلانى ص ص٢١٨

٥٦٨ - الشيخ محمد محمد أبوخليل:المربى ص٢٩

٥٦٩ - الشيخ محمد محمد أبوخليل:المربى ص ٢٦ ٢٧ وبالقصيدة ضرورات شعرية واضحة لاداعى لذكرها.

٥٧٠ - محمد عبده الحجاجي:أبو المعارف أحمد بن شرقاوى ص٢٨ ط.دار التضامن، القاهرة، ١٩٦٩.

٥٧١ - د. عبد الستار عز الدين الراوي: التصوف والبارسايكولوجى، مقدمة أولى فى الكرامات الصوفية والظواهر النفسية الفائقة ص٤٢ ٤٣،ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٤.

٥٧٢ - نجيب محفوظ:أصداء السيرة الذاتية ص٥٧ ٥٨

٥٧٣ - سعد الدين وهبة:يا سلام سلّمْ..الحيطة بتتكلمْ ص٧١.

٥٧٤ - يحيى الطاهر عبدالله: الكتابات الكاملة ص٤٠

٥٧٥ - الطيب صالح: عُرس الزين ص ٦٨
٥٧٦ - عبدالحكيم قاسم:أيام الإنسان السبعة ص ٨٩
٥٧٧ ا- لحضرمي(أبوبكر بن محسن باعبود الحضرمي):المقامات النظرية ص ٤٥ تحقيق عبدالله محمد الحبشي، ط. المجمع الثقافي، أبوظبى ١٩٩٩
578-Reuven Snir:" Neo-Sufism in Modern Arabic Poetry", Is-
23.sue,Autumn 1995,S
24.579 Ibid, S
٥٨٠- د.أحمد السعدني:دراسات فى القصة والرواية، منظور مجيد طوبيا بين الحلم والواقع ص ٨ القاهرة،١٩٨٦.
581- Wielandt, Rotraud
"Die Bewertung islamischen Volksglaubens in Aegyptischer Er-
23-. Jahrhunderts", Die Welt des Islam, Nr.zahlliteratur des 20
.24 (1984): 244
.582 ibid
. 246.583 ibid, S
. 258., S.584 ibid
٥٨٥- د.شفيع السيد:اتجاهات الرواية المصرية منذ الحرب العالمية الثانية إلى سنة ١٩٦٧ص ٩٦، ط.دار المعارف، القاهرة ١٩٧٨.
٥٨٦- د.طه وادي: صورة المرأة فى الرواية المعاصرة ص ١٢٤ ط. دار المعارف، الطبعة الثالثة،القاهرة، ١٩٨٤.
٥٨٧- أبوتمام:ديوان أبوتمام
٥٨٨- على أحمد باكثير: وا إسلاماه، دار مصر، القاهرة ١٩٦٥، ص ١٢ ١٩.
٥٨٩- على أحمد باكثير: وا إسلاماه، ص ١٣٦ دار مصر، القاهرة ١٩٦٥.
٥٩٠- محمد لبيب البوهي: عين جالوت، ص ٦ ٧ ط وزارة التربية والتعليم القاهرة ١٩٧٢.
٥٩١- د.شفيع السيد:اتجاهات الرواية المصرية منذ الحرب العالمية الثانية إلى

سنة ١٩٦٧ص١٥ط.مكتبة الشباب، القاهرة،١٩٨٨.

٥٩٢- د.عبدالمحسن طه بدر:تطور الرواية العربية الحديثة فى مصر (١٨٧٠-١٩٣٨)ص١٦٣ ط.دار المعارف، الطبعة الثالثة،القاهرة،١٩٧٧

٥٩٣- إدوار الخراط: أصلاع الصحراء، ص ١٣٧ ١٣٨ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧.

٥٩٤- إدوار الخراط: أضلاع الصحراء، ص ١٣٩، ١٤١ ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧

٥٩٥- يحيى الطاهر عبدالله: الكتابات الكاملة ص٣٩٥، الطبعة الثانية،ط.دارالمستقبل العربي، القاهرة، ١٩٩٤.

٥٩٦- يحيى الطاهر عبدالله: الكتابات الكاملة ص٣٩٥

٥٩٧- د. على زيعور: الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، القطاع اللّاواعى فى الذات العربية ص٨٧

٥٩٨- د. على زيعور: الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، القطاع اللّاواعى فى الذات العربية ص٢٩٦

٥٩٩- عبد الحكيم قاسم: أيام الإنسان السبعة، ص ٢٤، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٨.

٦٠٠- عبد الحكيم قاسم: أيام الإنسان السبعة ص٣٤. ؛ كما عالج قاسم قضية الأضرحة فى قصته القصيرة "عن المقام"فى "الديوان الأخير" سلسلة فصول، ط.الهيئة العامة للكتاب. حيث كشف فيها على حد قول عبد الرحمن عوف "عن أسطورة وميثيولوجيا منشأة وأصول أضرحة الأولياء" الأهالى ١٠/ ١/ ١٩٩٦.

٦٠١- عبدالحكيم قاسم:أيام الإنسان السبعة ص ٨٩

٦٠٢- السابق ١٧١ـ ١٧٢

٦٠٣- عبدالحكيم قاسم:أيام الإنسان السبعة ص١٧١ ١٧٢

٦٠٤- روجر ألن: الرواية العربية، مقدمة تاريخية ونقدية ص١٣٢ ترجمة حصة منيف، ط. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٦.

٦٠٥- عبدالحكيم قاسم:أيام الإنسان السبعة ص ١٢٢

606- Hilary Kilpatrick: "Abd al-Hakim Qasim and the search for Brill,.J.liberation, Journal of Arabic Literature, XXVI, E 54.1995,P

٦٠٧- يحيى حقي:قنديل أم هاشم ص ١٠ ١١

٦٠٨ - الهواري،أحمد ابراهيم (دكتور) البطل المعاصر ص ٢٧٣ ط.دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩

٦٠٩ - الحجاجي،أحمد شمس الدين (دكتور):صانع الأسطورة الطيب صالح ص ٧٧ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٠

٦١٠ - الطيب صالح: عُرس الزين ص ١١ ط.دار العودة، بيروت ١٩٨٨.

٦١١ - الطيب صالح: عُرس الزين ص ٢٥ ط.دار العودة، بيروت ١٩٨٨.

٦١٢- الطيب صالح: عُرس الزين ص ٤٧ .دار العودة، بيروت ١٩٨٨.

٦١٣- الطيب صالح: عُرس الزين ص ٦١

٦١٤ - الطيب صالح: عُرس الزين ص٦٧

٦١٥ - الطيب صالح: عُرس الزين ص ٦٨

٦١٦ - الطيب صالح: عُرس الزين ص٧٩

٦١٧ - أى تزوجيه

٦١٨ - الطيب صالح: عُرس الزين ص٩٢

٦١٩ - الحجاجي،أحمد شمس الدين (دكتور):صانع الأسطورة الطيب صالح ص ٦ ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٠

٦٢٠- للطيب صالح:مريود ص ٤٨ ٤٩ ط. دار العودة، بيروت ١٩٧٨ وقد أشار إلى هذا أحمد شمس الدين الحجاجى فى كتابه "صانع الأسطورة الطيب صالح" ص٦١ ومابعدها.

٦٢١ - جمال الغيطاني: هاتف المغيب، طبعة دار الهلال، القاهرة مايو ١٩٩٢.

٦٢٢ السابق ص ٦٦.

٦٢٣ - جمال الغيطاني:خطط الغيطانى ص ٧٩ ط.مكتبة مدبولي، الطبعة

الثانية، القاهرة، ١٩٩١

٦٢٤ – جمال الغيطاني: هاتف المغيب ص ١٧٦ـ ١٧٧

٦٢٥ – السابق ص١١

٦٢٦ – السابق ص ١٦

٦٢٧ – السابق ص ٢٣

٦٢٨ – السابق ص ٢٤

٦٢٩ – السابق ص ١٧

٦٣٠ – السابق ص ٢٣

٦٣١ – السابق ص ٤٨ ٤٩

٦٣٢ السابق ص ٧٥

٦٣٣ عبدالرحمن فهمي:رحيل شيخ طريقة ص٦ ٧ ط. أبوللو للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣. وقد نُشرت هذه الرواية فى الأهرام (مايو ويونيو١٩٩٢).

٦٣٤ عبدالرحمن فهمي:رحيل شيخ طريقة ص٢٥

٦٣٥ عبدالرحمن فهمي:رحيل شيخ طريقة ص٤٥ ٤٦، ٤٧

٦٣٦ عبدالرحمن فهمي:رحيل شيخ طريقة ص٥٤،٥٦ ٥٧

٦٣٧ عبدالرحمن فهمي:رحيل شيخ طريقة ص٥٨

٦٣٨ عبدالرحمن فهمي:رحيل شيخ طريقة١٣٤ ١٣٦

٦٣٩ عبدالرحمن بن هدوقة:الجازية والدراويش، ط. دار الآداب، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٩١.

٦٤٠ سالم حميش: العلاّمة، ط. دار الآداب، بيروت ١٩٩٧.

٦٤١ السابق ص ٣٠.

٦٤٢ السابق ص ٨١.

٦٤٣ السابق ص ٩٠

٦٤٤ السابق ص ٩٠.

٦٤٥ ابن خلدون: التعريف

٦٤٦ ابن عربشاه (أبومحمد أحمد بن عبدالله الدمشقى ٧٩١ ٨٥٤هـ): عجائب

المقدرور فى أخبار تيمور ص ١٥٦ ١٥٧ تحقيق د.على محمد عمر، ط. مكتبة الأنجلو ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩.

٦٤٧ السابق ص ١٩٥

٦٤٨ السابق ص ١٩٦

٦٤٩ السابق ص ١٩٦

٦٥٠ إدريس علي: دنقلة ص ٢٤ ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣.

٦٥١ السابق ص٥٠

٦٥٢ السابق ص٦٧

٦٥٣– إدريس علي: انفجار جمجمة ص ٢٤٥ ط. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٧.

٦٥٤– إلهامى عمارة:الساكن والمسكون، ط.خطاب، القاهرة ١٩٩٥

٦٥٥ صلاح عبد الصبور: مأساة الحلاج (الأعمال الكاملة جـ٢، ص ٤٨٢ ط.دار العودة، بيروت، ١٩٨٦م

٦٥٦– عبدالوهاب البياتي: بكائية إلى حافظ الشيرازى ص ١٩،١٢ ط.دار الكنوز، بيروت ١٩٩٩

٦٥٧ – ماجد السامرائي: رسائل السياب ص ٢٣٦ ، والرسالة مؤرخة فى ٢٤/ ١٢/ ١٩٦٣، ط.المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٩٤.

٦٥٨ – محمد بنيس:مقدمة ديوان عبدالوهاب المؤدب "قبر ابن عربي" ص٧ ط.المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٩

٦٥٩ – السابق ص ٨

٦٦٠ – عبدالوهاب المؤدب "قبر ابن عربي" ص ٧١ ترجمة محمد بنيس، ط.المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٩

٦٦١ – السابق ص ٥٤

٦٦٢ – محمد الصباحي: "حول فشل لقاء الشعر والفلسفة بالتصوف" مقال

بمجلة فكر ونقد ص ١٢٢، السنة الأولى /العدد السادس، الدار البيضاء، فبراير ١٩٩٨

٦٦٣ – محمود تيمور: قصة مصرية:وليّ الله، مجلة الهلال، العدد الخامس، السنة ٥٣، أكتوبر ١٩٤٥

664- Hilary Kilpatrick: "Abd al-Hakim Qasim and the search for Brill,.J.liberation, Journal of Arabic Literature, XXVI, E 62.1995,p

٦٦٥– يحيى الطاهر عبدالله: الكتابات الكاملة ص٣٦، الطبعة الثانية،ط.دارالمستقبل العربي، القاهرة، ١٩٩٤.

٦٦٦ – يحيى الطاهر عبدالله: الكتابات الكاملة ص٣٦

٦٦٧ – يحيى الطاهر عبدالله: الكتابات الكاملة ص٣٨

٦٦٨ – يحيى الطاهر عبدالله: الكتابات الكاملة ص٣٨

٦٦٩ – يحيى الطاهر عبدالله: الكتابات الكاملة ص ٣٩

٦٧٠ – يحيى الطاهر عبدالله: الكتابات الكاملة ص٤٠

٦٧١ – يحيى مختار:عروس النيل، قصص من النوبة ص ٢٠ ٢١ ط. أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٠

٦٧٢ – يحيى مختار:عروس النيل، قصص من النوبة ص ٢١

٦٧٣– يحيى مختار:عروس النيل، قصص من النوبة ص٢٢

٦٧٤– يحيى مختار:عروس النيل، قصص من النوبة ص٢٥

٦٧٥– إبراهيم فهمي:القمر بُوبًا ص١٨ ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩.

٦٧٦ – يحيى حقي: قنديل أم هاشم

٦٧٧ – إبراهيم فهمي:"صباح العشق، كلام فى الخال فاروق عبدالقادر" مجلة أدب ونقد ص١٠٧ ١١٢، العدد ١٠٤ ابريل ١٩٩٤.

٦٧٨ – السلُمي:(أبوعبدالرحمن ٣٣٠؟ ٤١٢هـ):طبقات الصوفية ص ١٢ تحقيق أحمد الشرباصي، ط. الشعب، القاهرة، ١٣٨٠هـ؛ الهجويري(أبوالحسن

على بن عثمان بن أبى على الجلابى):كَشْفُ المَحْجوب،ترجمة وتحقيق د.إسعاد عبد الهادى قنديل، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٧٤.

٦٧٩- إبراهيم فهمي:"صباح العشق، كلام فى الخال فاروق عبدالقادر" مجلة أدب ونقد ص١٠٨

٦٨٠ - فى الأصل أبى القمصان

٦٨١- سيد على شعبان: لغز أبو القمصان، صحيفة الأهرام،٩ أغسطس ١٩٩٦

٦٨٢- سعد الدين وهبة:يا سلام سلّمْ..الحيطة بتتكلمْ،ط.الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة١٩٧١.

٦٨٣ - سعد مكاوي: السائرون نيامًا

٦٨٤ - سعد الدين وهبة:يا سلام سلّمْ..الحيطة بتتكلمْ ص٦٨

٦٨٥ - سعد الدين وهبة:يا سلام سلّمْ..الحيطة بتتكلمْ ص٧١.

٦٨٦ - سعد الدين وهبة:يا سلام سلّمْ..الحيطة بتتكلمْ ص٧٤.

٦٨٧ - سعد الدين وهبة:يا سلام سلّمْ..الحيطة بتتكلمْ ص١١٤.

٦٨٨ - سعد الدين وهبة:يا سلام سلّمْ..الحيطة بتتكلمْ ص١١٧.

٦٨٩ - سعد الله ونوس: منمنمات تاريخية ص١٨، ط. دار الهلال، القاهرة، مارس ١٩٩٤.

٦٩٠ - السابق ص٩١.

٦٩١ - يوسف عوف: مولد سيدى المرعب،ط. الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٦

٦٩٢ - سيرة الظاهر بيبرس جـ ١ص ١٩ ومابعدها،ط.مطبعة المعاهد، الطبعة الثانية، القاهرة،١٣٤١هـ-١٩٢٣/م

٦٩٣- الدكتور أحمد شمس الدين الحجاجى :النبوءة أو قدر البطل فى السيرة الشعبية ص ٣٥ ومابعدها،ط.الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٤

٦٩٤ - ملحمة أبو زيد الهلالى (من الفلكلور المصري) يرويها عبد الرحمن الأبنودي، غناء جابر أبو حسين، إنتاج صوت القاهرة، كاسيت ١.

٦٩٥ – العظام

٦٩٦ – قصة فتوح اليمن الكبرى الشهيرة برأس الغول وماجرى للإمام على الفارس الكرار والبطل المغوار كرم الله وجهه مع عدوالله رأس الغول والبطل المهول،ط.مكتبة الجمهورية العربية، القاهرة د.ت

(١) ابن فضلان (أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد): رسالة ابن فضلان فى وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، تحقيق د. سامى الدهان، ط. مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٩=١٩٨٨

٦٩٧– ابن بطوطة (أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم ت ٧٧٩هـ = ١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة ص ٢٧٤ تحقيق كرم البستاني، بيروت د.ت

٦٩٨ – السابق ص ٢٥

٦٩٩ – ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص ٢٩ ٣٠

٧٠٠ – د.حمدى السكوت: نجيب محفوظ والحل الصوفي، مقال بمجلة ألف ص٤٠،العدد الخامس، ربيع ١٩٨٥.

٧٠١– نجيب محفوظ: "من أصداء السيرة الذاتية"، أخبار الأدب، العدد ٨٥، ٢٦ رمضان ١٤١٥؛ نجيب محفوظ: أصداء السيرة الذاتية ص ٥٧ ٥٨ ط.مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٩٦.

٧٠٢ – الجوع والفقر.

٧٠٣ – الكلاباذي: (أبو بكر محمد ت ٣٨٠ هـ) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٨١ ١٨٢، تحقيق محمود أمين النواوي، ط. مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٩٢. وقد ذُكرت كرامة مشابهة رواها الشيخ أحمد رضوان قال:" رأيته صلى الله عليه وسلم وكان سنى إحدى عشرة سنة جالساً على كرسى بين السماء والأرض، وأعطانى زجاجة بها لبن، وقال لي:اشرب، فشربت منها جزءًا واستيقظت فإذا الزجاجة بيدى " فريد ماهر:كرامات الأولياء ص١٧٥

٧٠٤ – نجيب محفوظ فى حوار مع د.مصطفى عبدالغني، الأهرام،ديسمبر ١٩٩٥.

٧٠٥ – د.حمدى السكوت: نجيب محفوظ والحل الصوفي، مقال بمجلة ألف ص٤٨ ،العدد الخامس، ربيع ١٩٨٥

٧٠٦ – نجيب محفوظ: أصداء السيرة الذاتية ص ٤٠ ط.مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٩٦.

٧٠٧ – الشيخ محمد متولى الشعراوي: مذكرات، (الأهرام ٢٢/ ٩/ ١٩٩٥)

٧٠٨ – فى ذلك يُنظر:الشيخ حسين بن عبدالوهاب:عيون المعجزات،ط.مكتبة الداوري، قم، إيران،١٣٩٥هـ وغير ذلك من كتب الشيعة حول أئمتهم.

٧٠٩ – الشيخ محمد متولى الشعراوي: مذكرات، (الأهرام ٢٢/ ٩/ ١٩٩٥)

٧١٠– عبدالفتاح كيليطو:الحكاية والتأويل دراسات فى السرد العربى ص ٧٨ ط. دار توبقال، المغرب، ١٩٨٨

٧١١ – إحسان عباس:غربة الراعي:سيرة ذاتية لمثقف فلسطيني،صحيفة الحياة ص٢٠، العدد١٢٠٨٦،لندن،٢٨/ ٣/ ١٩٩٦

٧١٢ – إحسان عباس:غربة الراعي:سيرة ذاتية لمثقف فلسطيني،صحيفة الحياة ص٢٠

٧١٣ – إحسان عباس:غربة الراعي:سيرة ذاتية لمثقف فلسطيني،صحيفة الحياة ص٢٠

٧١٤ – إحسان عباس:غربة الراعي:سيرة ذاتية لمثقف فلسطيني،صحيفة الحياة ص٢٠

٧١٥ – إحسان عباس:غربة الراعي:سيرة ذاتية لمثقف فلسطيني،صحيفة الحياة ص٢٠

٧١٦ – سيد قطب: طفل من القرية ص١٠ ط.الجمل، ألمانيا ١٩٩٩

٧١٧– السابق ص ١٥

٧١٨– السابق ص ١١

٧١٩– من صعيد مصر

٧٢٠– ابن الزيات: (ابو يعقوب يوسف بن يحيى التادلى ت ٦١٧ هـ: التشوّف إلى رجال التصوف وأخبار أبى عباس السبتى ص ٢٧٥ تحقيق أحمد

التوفيق، ط. جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م.

721.Das Orginal ist in deutscher Sprache

.722 Annemarie Schimmel, Mystische Dimensionen des Islam, S .296

.723 Annemarie Schimmel, Mystische Dimensionen des Islam, S .297

724 Annemarie Schimme, Mystische Dimensi2onen des Islam, .297.S

٧٢٥- القرآن الكريم، سورة يونس(١٠)، الآية ٦٢.

٧٢٦ – أخرجه الطبراني فى المعجم الأوسط رقم ٢٩٣٥

٧٢٧- أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال ص ٣٧٩ تحقيق د. عبد الحليم محمود، الطبعة الثالثة، ط. دار المعارف، القاهرة ١٩٨٨ م.

٧٢٨- فى سنة روايته للكرامة وهو تحديد تقريبى مالم يذكره تحديداً.

المصادر والمراجع

٩- المصادر والمراجع:

٩-١ العربية

- أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، تحقيق د. عبد الحليم محمود، الطبعة الثالثة، ط. دار المعارف، القاهرة ١٩٨٨ م.
- أبوخليل، الشيخ محمد محمد:المُربِّي، سيرة ومناقب العارف الربانى شيخنا أبى خليل وسموه الروحى ط.القاهرة،١٩٧٦
- أبوطالب المكى (ت ٣٨٦هـ): قوت القلوب تحقيق د.عبدالمنعم الحفني، ط. دار الرشيد، القاهرة، ١٤١٢هـ=١٩٩١م.
- أبوكريشة، عبدالرحيم تمام (دكتور): دراسة أنثروبولوجية لملامح الطب الشعبى فى الريف العربى ط.مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٩٤.
- أبونعيم الأصفهانى (الحافظ أحمدبن عبد الله ت ٤٣٠هـ): حلية الأولياء ط.دار الكتاب العربي، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.
- إحسان عباس: غربة الراعي:سيرة ذاتية لمثقف فلسطيني،صحيفة الحياة، العدد١٢٠٨٦،لندن،٢٨/ ٣/ ١٩٩٦
- أحمد حامد عبد الكريم: أبوالحسن الشاذلى ط.مكتبة جمهورية مصر ، القاهرة ١٩٧٧
- أحمد حمدي:نظرة هادئة على الطرق الصوفية، مقال بمجلة الهلال، يونيو ١٩٨٥.
- أحمد عبدالجواد "ازدواجية الوجود " مقال بصحيفة الأهرام، ٢٣/ ٢/ ١٩٩٦.

- إدوار الخراط: أضلاع الصحراء ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧.
- آدونيس:أبجدية ثانية ط. دار النشر توبقال،١٩٩٤.
- أدونيس:الصوفية والسوريالية ط.دار الساقي،بيروت،١٩٩٢.
- أرطميدوس الإفسي: كتاب تعبير الرؤيا أول وأهم الكتب فى تفسير الأحلام، نقله من اليونانية حُنين بن إسحق (ت٢٦٠هـ=٨٧٣م.)تحقيق د.عبد المنعم الحفني، ط. دار الرشيد، القاهرة ١٩٩١
- الأشعرى (أبوبكر محمد بن الطيب):كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجيات (مخطوط بجامعة توبنجن Ma VI 93).Universitaetsbibliothek Tuebingen Nr
- أكرم قانصو(دكتور):التصوير الشعبى العربي، ط.عالم المعرفة، الكويت نوفمبر١٩٩٥
- ألن ، روجر: الرواية العربية، مقدمة تاريخية ونقدية ترجمة حصة منيف، ط. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٦.
- ابراهيم فهمي:"صباح العشق، كلام فى الخال فاروق عبدالقادر" مجلة أدب ونقد، العدد ١٠٤ ابريل ١٩٩٤.
- ابراهيم فهمي:القمر بُوِيّاً ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩.
- ابن أبى الدنيا،أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشى المعروف بابن أبي الدنيا: الأولياء، تحقيق أبوهاجر محمد السعيد بن بسيوني، ط.مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٩٩٣
- ابن الجوزى: (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن البغدادى ت ٥٩٧هـ) تلبيس ابليس ص ٤٢٩تحقيق آدم سنيه،ط دار الفكر الأردن د.ت
- ابن الزيات: (ابو يعقوب يوسف بن يحيى التادلى ت ٦١٧ هـ: التشوّف إلى رجال التصوف وأخبار أبي عباس السبتى ص ٣٧٥ تحقيق أحمد التوفيق، ط. جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م.
- ابن الزيات:(أبو يعقوب يوسف بن يحيى التّادلى ت ٦١٧هـ): التشوّف الى

رجال التصوف وأخبار أبي العباس السَّبْتي، تحقيق أحمد التوفيق ط.جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

- ابن العماد الحنبلى (عبدالحى ت١٠٨٩):شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ط. بيروت (د.ت)

- ابن المنور، محمد بن المنور:أسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبى سعيد ((فضل الله بن أبوالخير ٣٥٧ ٤٤٠هـ) تحقيق د.عبدالكريم سعود ط.دار الحصاد، دمشق ١٩٩٩

- ابن بشكوال،الإمام الحافظ أبوالقاسم خلف بن عبدالملك بن مسعود: كتاب المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات ص ٣٢ ٣٣ تحقيق غنيم بن عباس ط.القاهرة ١٩٩٤

- ابن بطوطة (أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم ت ٧٧٩هـ = ١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة، تحقيق كرم البستاني، بيروت د.ت

- ابن تيمية: مجموعة الرسائل والمسائل، نشر لجنة التراث العربي، القاهرة (د.ت)

- ابن حجر: (أحمد بن حجر الهيثمى المكى): كتاب المنح المكيَّة فى شرح الهمزة

- مخطوط بمكتبة جامعة بون بألمانيا تحت رقم 124.So.

- ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق حُجر عاصي، ط. دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٣

- ابن خلكان (أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر ٦٠٨ ٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق د.احسان عباس، ط.دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠.

- ابن سيد الناس:المقامات العلية فى الكرامات الجلية لبعض الصحابة رضوان الله عليهم، تحقيق عفت وصال حمزة ، القاهرة ١٩٨٦

- ابن سيرين:خلاصة الكلام فى تأويل الأحلام المسمى بالمُنتخب، مخطوط بجامعة توبنجن بألمانيا.

- ابن عربشاه (أبومحمد أحمد بن عبدالله الدمشقي ٧٩١ ٨٥٤هـ): عجائب المقدرور فى أخبار تيمور، تحقيق د.على محمد عمر، ط. مكتبة الأنجلو ١٣٩٩هـ

- ابن عربى ، محيى الدين الأندلسى (١١٦٥ ١٢٤٠م.): *الفتوحات* المكية،السفر الثالث تحقيق وتقديم د.عثمان يحيى، تصدير ومراجعة د.ابراهيم مدكور، ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

- ابن عربي: شرح فصوص الحكم ؛" مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم، مخطوط Tuebingen Ma VI 267

- ابن عربي:الولاية والنبوة، تحقيق د.حامد طاهر، مقال بمجلة ألف،العدد الخامس، ربيع ١٩٨٥

- ابن عربي:شرح فصوص الحكم من كلام الشيخ محيى الدين ابن العربى تحقيق محمود محمود الغراب،ط.زيدبن ثابت،دمشق ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

- ابن عربي: محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، تحقيق محمد مرسى الخولي، ط.دار الكتاب الجديد، القاهرة، ١٩٧٢.

- ابن عربي:(الشيخ محيى الدين ابن العربى الحاتمى الطائي):كتاب مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم،ورقة ٩٦ مخطوط بجامعة Tuebingen تحت رقم Ma VI 267

- ابن عطاء الله السكندرى (ت٧٠٩هـ): لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبوالعباس المرسى وشيخه الشاذلى أبوالحسن ط. مكتبة عالم الفكر، القاهرة ١٩٩٣.

- ابن فضلان (أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد): رسالة ابن فضلان فى وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، تحقيق د. سامى الدهان، ط. مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٩=١٩٨٨

- ابن كثير (أبو الفداء الحافظ الدمشقى ت ٧٧٤هـ): البداية والنهاية تحقيق د.أحمد أبو ملحم، د.على نجيب، فؤاد السيد، مهدى ناصر الدين، على عبدالساتر، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

- ابن كثير (أبو الفداء الحافظ الدمشقى ت ٧٧٤هـ): البداية والنهاية،

تحقيق د.أحمد أبو ملحم، د.على نجيب، فؤاد السيد، مهدى ناصر الدين، على عبدالساتر، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

– ابو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال ،تحقيق د. عبد الحليم محمود الطبعة الثالثة، ط. دار المعارف، القاهرة ١٩٨٨ م.

– احمد الرفاعي: البرهان المؤيد، تحقيق ابراهيم الرفاعي، ط.دار التراث العربي، القاهرة ١٩٩١.

– الاصبهاني:(الحافظ أبى نعيم أحمد بن عبدالله ت ٤٣٠هـ):حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،ط.دار الكتاب العربي، الطبعة الخامسة، بيروت،١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

– باكثير، علي أحمد: وا إسلاماه، دار مصر، القاهرة ١٩٦٥.

– البخاري:الجامع الصغير فى حديث البشير النذير للشيخ عمر بن خليل بن شمس الدين ٨٤٩ ـ ٩٢١، [مخطوط بجامعة توبنجن]؛ صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع.

– بدر، عبدالمحسن طه (دكتور):تطور الرواية العربية الحديثة فى مصر (١٨٧٠ ١٩٣٨) ط.دار المعارف، الطبعة الثالثة،القاهرة،١٩٧٧

– بروب، فلاديمير: مورفولوجيا الحكاية الخرافية ترجمة أبوبكر أحمد باقادر وأحمد عبدالرحيم نصر،ط.النادى الأدبى الثقافى بجدة، ١٤٠٩هـ =١٩٨٩

–.البغدادي(أبوبكر أحمد بن على الخطيب ت ٤٦٣هـ):تاريخ بغداد ج ٥ص١٣٦ط.الخانجي، القاهرة، ١٣٤٩هـ

– البنا،حسن : مذكرة الدعوة والداعية، ط.دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٦.

– البوصيري: البردة

– البوهي، محمد لبيب: عين جالوت، ط وزارة التربية والتعليم القاهرة ١٩٧٢.

– البياتي، عبدالوهاب : بكائية إلى حافظ الشيرازي، ط.دار الكنوز، بيروت ١٩٩٩

- البيضاوى (ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي):أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط. مؤسسة شعبان،بيروت د.ت
- تراث الحلاج ، أخباره ديوانه طواسينه، قرأه وأعده وحققه عبداللطيف الراوي(دكتور) و عبد الإله نبهان (دكتور) ط.دار الذاكرة، حمص ١٩٩٦
- التِّرمُزي:(أبوعبدالله محمدبن على بن الحسن بن بشر)كتاب سيرة الأولياء،تحقيق Bernd Radtke بيروت ١٩٩٢.
- التليدي، الشيخ عبدالله:المطرب فى مشاهير أولياء المغرب،ط.مؤسسة الطباعة والنشر والتوزيع،الطبعة الثانية،طنجة،١٩٨٧
- التليلي، محسن:زاوية الشيخ أحمد التليلى بفريانة، ط.العلم، تونس ١٩٩٨
- تودوروف (تزفيتن):مدخل إلى الأدب العجائبي، ترجمة الصديق بوعلام، ط.دار شرقيات، القاهرة١٩٩٤
- تيمور، محمود: قصة مصرية:وليّ الله، مجلة الهلال، العدد الخامس، السنة ٥٣، أكتوبر ١٩٤٥
- الجازولي، سالم جابر : رسائل صوفية،ط.القاهرة ١٩٩٣.
- جاهين، فاروق شاكر : السيد عبدالرحيم القناوي، ط.قنا ١٩٨٥.
- جرّار:، ماهر: "مصارع العشاق، دراسة فى أحاديث الجهاد والحور العين" مقال بمجلة الأبحاث، الناشر:الجامعة الأمريكية بيروت، السنة ١٩٩٣/٤١
- الجوبري(زين الدين عبدالرحيم بن عمر الدمشقى المعروف بالجوبرى ت ١٣١٦م؟): المختار فى كشف الأسرار ص ١٦ ط.أحمد أفندى الكتبي.د.ت.
- الجيلاني، عبد القادر :ديوان عبد القادر الجيلاني، تحقيق د.يوسف زيدان.
- حامد طاهر (دكتور): الولاية والنبوة عند محيى الدين بن عربي، مقال بمجلة ألف، العدد الخامس، ربيع ١٩٨٥
- الحجاجى ، أحمد شمس الدين (دكتور):النبوءة أو قدر البطل فى السيرة الشعبية ص ٣٥ ومابعدها،ط.الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٤
- الحجاجي، محمد عبده : شخصيات صوفية فى صعيد مصر فى العصر

الإسلامى ص ٣٢ ط.الأقصر ١٩٩٠

– الحجاجي، محمد عبده :أبو المعارف أحمد بن شرقاوي، ط.دار التضامن، القاهرة، ١٩٦٩.

– الحجاجي أحمد شمس الدين (دكتور):صانع الأسطورة الطيب صالح، ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٠

– حسان حلاق(دكتور) "زاوية ابن عراق فى الأسواق تظل أثرا لن يهدم"، صحيفة النهار، بيروت ٣٠/ ٤/ ١٩٩٢.

– الحضرمي(أبوبكر بن محسن باعبود الحضرمي):المقامات النظرية ص ٤٥ تحقيق عبدالله محمد الحبشي، ط. المجمع الثقافي، أبوظبي

– الحلاج (أبو المغيث الحسين بن منصور ت ٩٢٢م.): كتاب الطواسين ،-Al Kamel Verlag, Koeln, 1987

– حمدى السكوت(دكتور): نجيب محفوظ والحل الصوفي، مقال بمجلة ألف،العدد الخامس، ربيع ١٩٨٥.

– خفاجي، محمد عبدالمنعم (دكتور) : الأدب فى التراث الصوفي، ط.مكتبة غريب،١٩٨٠.

– الداجوي،حمد الله: البصائر لمنكرى التوسل بأهل المقابر ، ط.وقف الإخلاص، استانبول، تركيا،١٩٩١.

– الدباغ، عبد العزيز:الإبريز الذى تلقاه نجم العرفان الحافظ سيدى أحمد بن المبارك عن قطب الواصلين سيدى عبد العزيز الدباغ ط. محمد على صبيح، القاهرة،د.ت.

– الدرقاوى الحسني(مولاى العربى ت ١٢٣٩هـ): مجموعة رسائل تحقيق بسام محمد بارود، ط. المجمع الثقافي،أبوظبى ١٩٩٩

– دولت العرب:"جيرار دى نرفال والحلم المنذر بالموت "، مقال بمجلة ألف، العدد الخامس، ربيع ١٩٨٥

– الراوي،عبد الستار عز الدين (دكتور): التصوف والبارسايكولوجى، مقدمة أولى فى الكرامات الصوفية والظواهر النفسية الفائقة،ط. المؤسسة

العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٤.

- رضوان، فتحي: السيد احمد البدوى قطب التصوف فى مصر، مقال بمجلة الهلال، يونيو ١٩٨٥

- الرفاعي، ابراهيم : البرهان المؤيد لسيدى أحمد الرفاعي، ط.دار التراث العربي، القاهرة ١٩٩١.

- الرومي(جلال الدين):مثنوى جلال الدين الرومي، ترجمة وشرح ودراسة الكتور محمد عبد السلام كفافي، ط.المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٦م.

- الزمخشرى (الإمام محمود بن عمر ت ٥٢٨هـ):الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، تحقيق مصطفى حسين أحمد، ط. الاستقامة، القاهرة ١٣٦٥=١٩٤٦

- الزمخشري(أبوالقاسم جارالله محمود بن عمر الخوارزمى ٤٦٧ ٥٢٨هـ):الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، تحقيق محمد مرسى عامر، ط.دار المصحف، القاهرة،١٩٨٨.

- زيدان، يوسف (دكتور) : "القصة عند الصوفية " مقال بمجلة الهلال، مايو ١٩٩٢

- زيدان، يوسف (دكتور): "كرامات الأولياء نص أدبى مضاد للتصوف " مقال بمجلة فصول (٢٢٣ ٢٣٣) المجلد الثالث عشر، العدد الثالث، القاهرة، خريف ١٩٩٤.

- زيدان، يوسف (دكتور): القصة عند الصوفية، مقال بمجلة الهلال، مايو ١٩٩٢

- زيدان، يوسف (دكتور):مقدمة تحقيق "ديوان عبد القادر الجيلانى " ط.أخبار اليوم، القاهرة،١٩٩٠

- زيدان، يوسف(يدكتور):المتواليات، دراسات فى التصوف، ط.الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٨.

- زيعور، على (دكتور): الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، القطاع اللاواعى فى الذات العربية، الطبعة الثانية،ط دار الأندلس، بيروت ١٩٨٤م

– السامرائي، ماجد : رسائل السياب ، ط.المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٩٤.

– السبكي(تاج الدين أبونصر عبد الوهاب بن على بن عبدالكافى ٧٢٧ ٧٧١هـ):طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي، ط.عيسى البابى الحلبي، القاهرة، ١٣٨٣هـ=١٩٦٤م.

– سعد الدين وهبة:يا سلام سلّمْ..الحيطة بتتكلمْ.

– السعدني،أحمد (دكتور):دراسات فى القصة والرواية، منظور مجيد طوبيا بين الحلم والواقع، القاهرة،١٩٨٦.

– سفر التكوين: (الإصحاح السادس عشر)

– السلُمي:(أبوعبدالرحمن ٣٣٠؟ ٤١٢هـ):طبقات الصوفية ، تحقيق أحمد الشرباصي، ط. الشعب، القاهرة، ١٣٨٠هـ.

– السمرقندي، أبوالليث نصر بن محمد بن ابراهيم: تنبيه الغافلين ، مخطوط بجامعة Tuebingen

– السهُروردي:(شهاب الدين أبوحفص عمر ٥٣٩ ٦٣٢هـ):عوارف المعارف، تحقيق د.عبدالحليم محمود و د.محمود بن الشريف، ط.دار المعارف، القاهرة،١٩٩٣

– السوسي، محمد مختار: المعسول، ط.فضالة، المغرب، ١٣٨٠هـ=١٩٦٠م.

– سيد قطب: طفل من القرية، ط. منشورات الجمل، ألمانيا ١٩٩٩

– سيرة الظاهر بيبرس،ط.مطبعة المعاهد، الطبعة الثانية، القاهرة،١٣٤١هـ١٩٢٣/م

– السيوطى (جلال الدين): المكنون فى مناقب ذى النون، تحقيق عبد الرحمن حسن محمود، ط. مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٩٢.

– شاه ولى الله (قطب الدين أحمد بن وجيه الدين ١٧٠٣ ١٧٦٢): فيوض الحرمين، ط. المطبع الأحمدي، متعلق مدرسة عزيزى دهلي، ١٣٠٨هـ. ؟

– الشرقاوي، عبدالله بن حجازى المشهور بـ:تعليق لطيف على ورد الستار فى طريق السادة الخلوتية، مخطوط بمكتبة جامعة بون تحت رقم 204.So

– الشعراوي، الشيخ محمد متولي: مذكرات، (الأهرام ١٩٩٥/٩/٢٢)
– شفيع السيد(دكتور):اتجاهات الرواية المصرية منذ الحرب العالمية الثانية إلى سنة ١٩٦٧، ط.دار المعارف، القاهرة ١٩٧.
– شوقى بشير "الفناء عن شهود السوى وما يحدث فيه من شطحات " مقال بمجلة القسطاس ص ص ٣٢ ٥٧، الخرطوم، يونيو ١٩٩٨
– شوقى بشير(دكتور):نقد ابن تيمية للتصوف، ط. دار الفكر، الخرطوم ١٩٨٧
– الشيباني(محمد بن ابراهيم):عجائب من عصور متفرقة، ط.مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت ١٩٩٣
– صابر ، عبدالله (دكتور): السيد البدوى دراسة نقدية (مع مجلة التوحيد ١١ ١٩٩١)
– صابر عبدالدايم(دكتور): الأدب الصوفي، اتجاهاته وخصائصه، ط.دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤.
– صالح، الطيب: عُرس الزين،دار العودة، بيروت ١٩٨٨.
– صالح، الطيب:مريود، ط. دار العودة، بيروت ١٩٧٨
– الصاوى (أحمد): الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية على الصلوات الدرديرية، ط. صبيح، القاهرة،د.ت
– الصباحي، محمد: "حول فشل لقاء الشعر والفلسفة بالتصوف" مقال بمجلة فكر ونقد ، السنة الأولى /العدد السادس، الدار البيضاء، فبراير ١٩٩٨
– الصوصي، أحمد حفنى الطاهر:عَلَمُ الشريعة والحقيقة العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ محمد الطيب الحساني، ط.مطابع الحرمين، قوص ١٩٩٣
– الطبرسى (أبوعلى الفضل بن الحسن ت١١٥٣م)مجمع البيان فى تفسير القرآن، ط.مكتبة آية الله العُظمى المرعشى النجفي، قم، إيران ١٣٥٥هـ=١٩٣٦م.
– الطعمي، محيى الدين بن محمد بن على : معجم كرامات الصحابة ويليه الإصابة فى تمييز رجال الصحابة، ط.دار ابن زيدون، بيروت، ١٤٠٦هـ
– طه وادي(دكتور): صورة المرأة فى الرواية المعاصرة، ط. دار المعارف،

الطبعة الثالثة،القاهرة، ١٩٨٤.
- الطيب،أحمد (دكتور): مقدمة كتاب الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربى لعلى شود كيفيتس، ترجمة د.أحمد الطيب،ط. دار القبة الزرقاء، المغرب ١٩٩٩
- طيفور(الإمام أبوالفضل أحمد بن أبى طاهر٢٠٤ ٢٨٠هـ):كتاب بلاغات النساء ص٢٤٤ ط.قم (د.ت)
- عامر النجار(دكتور): الطرق الصوفية فى مصر، نشأتها ونظمها وروادها:الرفاعي الجيلانى البدوى الشاذلى الدسوقي، الطبعة الخامسة، ط. دار المعارف، ١٩٩٢.
- عبد الحليم محمود(دكتور):أبوالبركات سيدى أحمد الدردير، ط.دار الكتب الحديثة، القاهرة،١٩٧٤.
- عبد الصبور،صلاح: مأساة الحلاج (الأعمال الكاملة، ط.دار العودة، بيروت، ١٩٨٦م
- عبدالحليم محمود (دكتور): أبوبكر الشبلي، ط.دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥.
- عبدالحليم محمود (دكتور): أبومدين الغوث، ط.دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥
- عبدالحليم محمود (دكتور): السيد البدوي، ط.دار الشعب، القاهرة، د.ت.
- عبدالحليم محمود (دكتور): السيد البدوي، ط.دار الشعب، القاهرة، د.ت.
- عبدالحليم محمود (دكتور): قضية التصوف المدرسة الشاذلية،الطبعة الثانية،ط.دارالمعارف، القاهرة ١٩٨٨.
- عبدالحليم محمود(دكتور): العارف بالله ابراهيم بن أدهم شيخ الصوفية، ط.دار المعارف، القاهرة ١٩٩٢.
- عبدالحليم محمود(دكتور): قضية التصوف المدرسة الشاذلية، الطبعة الثانية،ط.دارالمعارف، القاهرة ١٩٨٨.
- عبدالحميد السيد (دكتور): سيدى عبدالرحيم القناوي، ط.دار التأليف، القاهرة ؟
- عبدالفتاح كيليطو:الحكاية والتأويل دراسات فى السرد العربي، ط. دار توبقال، المغرب، ١٩٨٨.

- عبدالله، يحيى الطاهر:الكتابات الكاملة، الطبعة الثانية،ط.دارالمستقبل العربي، القاهرة، ١٩٩٤.

- عبدالمقصود محمد سالم: راحة الأرواح ط.شركة الشمرلي، الطبعة السادسة، القاهرة١٩٩٩.

- عبدالوهاب، الشيخ حسين بن: (من علماء القرن الخامس الهجري): عيون المعجزات، ط. مكتبة الداورى قم، إيران ١٣٩٥هـ.

- عثمان، محمد فتحى (دكتور) :"حسن البنا متصوفاً" مقال بمجلة الهلال، يونيو ١٩٨٥

- علاالدين،الشيخ على محمد بن الإمام بجامع بنى أمية بدمشق: كتاب الدر المختار شرح

- تنوير الأبصار، (مخطوط بمكتبة جامعة بون تحت رقم So.(279 .)

- علي، غريب محمد (دكتور):مقدمة تحقيق "الدرة اليتيمة فى نسب ورحلة سيدى أبى الحجاج الأقصرى " ط.مكتبة الساهر بقنا، ١٩٨٨.

- على شود كيفيتس: الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيى الدين بن العربي، ترجمة د.أحمد الطيب،ط. دار القبة الزرقاء، المغرب ١٩٩٩

- عمر عبدالعزيز(دكتور):الصوفية والتشكيل ط.مؤسسة عمون،الأردن.

- عوف، عبد الرحمن "عن أسطورة وميثيولوجيا منشأة وأصول أضرحة الأولياء" الأهالى ١٠/ ١/ ١٩٩٦.

- عوف، يوسف : مولد سيدى المرعب،ط. الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩٦

- عويس،سيد: دراسته الجادة حول "الإبداع الثقافى على الطريقة المصرية؛دراسة عن بعض القديسين والأولياء فى مصر، طز دار الطباعة الحديثة، القاهرة ١٩٨١

- عيسى، لطفي:أخبار المناقب فى المعجزة والكرامة والتاريخ،ط.دار سراس للنشر،تونس، ١٩٩٣.

- غالب، مصطفى (دكتور):مقدمة تحقيق كتاب "تفسير القرآن الكريم لابن عربي، ط.دار الأندلس، بيروت، ١٩٩٣م.

– الغزالي:المنقذ من الضلال.
– الغيطاني، جمال : "رؤية أدبية: كرامات الأولياء"، مقال بمجلة الهلال، يونيو ١٩٨٥
– الغيطاني،جمال: هاتف المغيب، طبعة دار الهلال، القاهرة مايو ١٩٩٢.
– الغيطاني،جمال:خطط الغيطاني، ط.مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩١
– فهمي، عبدالرحمن:رحيل شيخ طريقة ط. ابوللو للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣. وقد نُشرت هذه الرواية فى الأهرام (مايو ويونيو١٩٩٣).
– القادري، محمد سعيد: الفيوضات الربانية فى المآثر والأوراد القادرية،القاهرة د.ت.
– قاسم، عبد الحكيم : أيام الإنسان السبعة، "الديوان الأخير" سلسلة فصول، ط.الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٨.
– القرطبي(أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصارى): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أبواسحق ابراهيم اطفيش، ط.دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٥.
– القشيري:(عبد الكريم بن هوازن ٣٧٦ـ ٤٦٥هـ): الرسالة القشيرية فى علم التصوف، ط.مكتبة صبيح، القاهرة،١٩٦٦.
– قصة فتوح اليمن الكبرى الشهيرة برأس الغول وماجرى للإمام على الفارس الكرار والبطل المغوار كرم الله وجهه مع عدوالله رأس الغول والبطل المهول،ط.مكتبة الجمهورية العربية، القاهرة د.ت
– القفطى (نور علي):القطب الجليل شيث القفطي، ط.أخبار قنا ١٩٩٩ .
– قمر النساء (دكتورة):العلامة فضل حق الخير أبادي،حياته ومآثره مع تحقيق كتابه الثورة الهندية، ط. المكتبة القادرية بالجامعة النظامية الرضوية، لاهور،باكستان،١٣٩٩هـ ١٩٧٩م
– كتاب أخبار الحلاج أو مناجيات الحلاج وهو من أقدم الأصول الباقية فى سيرة الحسين بن منصور الحلاّج البيضاوى البغدادي، تحقيق ل. ماسنيون وب. كراوس، ط. منشورات الجمل، ألمانيا ١٩٩٩

- كتاب مناقب سيدنا أبا يريد البسطامي، تحقيق د.عبد الرحمن بدوي،ط.وكالة المطبوعات، الطبعة الثالثة،الكويت،١٩٧٨

- الكلاباذي:(أبوبكر محمد ت ٣٨٠هـ)التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق محمد أمين النواوي، ط. مكتبة الكليات الإزهرية،الطبعة الثالثة،القاهرة، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م

- كلود ليفي ستروس وفلاديمير بروب:مساجلة بصدد "علم تشكل الحكاية" ترجمة محمد معتصم، ط.عيون،الدار البيضاء ١٩٨٨

- الكواكبي،محمد أفندي: كون حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم حياً بجسده الشريف، (مخطوط بمكتبة جامعة بون، تحت رقم So.(201 .

- الكيلاني،د.عبدالرزاق:الشيخ عبدالقادر الجيلاني ص٢٦٠ ط.دار القلم، دمشق ١٩٩٤

- لؤى فتحي وشذى الدركزلّي وجمال نصار (دكاترة): علم خوارق العادات البارانورمالوجيا Paranormalogyط.الشركة العالمية للكتاب، بيروت ١٩٩٩

- اللقاني:جوهرة التوحيد

- المؤدب، عبدالوهاب "قبر ابن عربي" ص ٧١ ترجمة محمد بنيس، ط.المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٩

- ماسينيون، باريس ١٩١٣. كما حققه بولس نويّا اليسوعى ط. جامعة سان جوزيف، بيروت،١٩٧٢.

- ماهر، فريد:كرامات الأولياء، ط. المطبعة العالمية، القاهرة ١٣٩١هـ=١٩٧١م

- مبارك، ذكى (دكتور): التصوف الإسلامي،ط.القاهرة ١٩٥٤

- مجدى محمد الشهاوي: دراسة تحليلية عن خوارق العادات: المعجزة، الكرامة، السحر، ط. مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٩٢.

- مجموع الأوراد الكبير، ط. الشمرلي، القاهرة ١٩٨٦.

- محفوظ، نجيب : أصداء السيرة الذاتية ط.مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٩٦.

- محفوظ، نجيب: "من أصداء السيرة الذاتية"، أخبار الأدب، العدد ٨٥، ٢٦ رمضان ١٤١٥

– مختار، يحيى:عروس النيل، قصص من النوبة ط. أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٠.

– مصطفى عبدالغنى (دكتور): "حوار مع نجيب محفوظ"، الأهرام،ديسمبر ١٩٩٥.

– المعري، ابوالعلاء: رسالة الغفران، تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، ط. دار المعارف، الطبعة التاسعة، القاهرة،١٩٩٣

– المقري، محمد بن أحمد : بلوغ الآراب فى لطايف العتاب، مخطوط بجامعة توبنجن Ma VI 88

– مكفرسون Joseph William Mcpherson: الموالد فى مصر، ترجمة د.عبدالوهاب بكر، ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨

– مكي،الطاهر أحمد(دكتور): مقدمة فى الأدب الإسلامى المقارن، ط.عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، القاهرة، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

– ملحمة أبو زيد الهلالى (من الفلكلور المصري) يرويها عبد الرحمن الأبنودي، غناء جابر أبو حسين، إنتاج صوت القاهرة، كاسيت ١.

– من قصيدة لعزالدين المقدسى (ت ٦٦٠هـ=١٢٦٢م) أوردها د.عبدالرحمن بدوى فى كتابه شطحات الصوفية، ط.وكالة المطبوعات، الكويت،الطبعة الثالثة،١٩٧٨.

– مناقب سيدنا أبايزيد البسطامي

– ناصر جويدة، الأهرام ٢٩/ ١/ ١٩٩٤

– نبهان، عبدالإله (دكتور):شرح بيتى الرقمتين للأمير عبدالقادر الجزائري، مقال بمجلة ثقافة الهند، المجلد ٤٣، العدد ٣ ، نيودلهي،١٩٩٢

النبهاني:(يوسف بن اسماعيل ١٢٦٥ ١٣٥٠هـ):جامع كرامات الأولياء، تحقيق ابراهيم عطوة عوض،ط.الحلبي، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٤٠٤هـ =١٩٨٤م.

– نبيل، مصطفي: "رائد الفكر العربى الحديث الإمام محمد عبده ورحلته مع التصوف" مقال بمجلة الهلال، يونيو ١٩٨٥

– نبيلة ابراهيم (دكتورة) أشكال التعبير فى الأدب الشعبى ص ١٠٢ الطبعة الثالثة،ط.دار المعارف، القاهرة١٩٨١

– نبيلة ابراهيم (دكتورة) من نماذج البطولة الشعبية فى الوعى العربي، ط.ندوة الثقافة والعلوم،دبى ١٩٩٣

– نبيلة ابراهيم (دكتورة) المقومات الجمالية للتعبير الشعبي، ط.الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة يونيو١٩٩٦

– نبيلة ابراهيم (دكتورة):أشكال التعبير فى الأدب الشعبي، الطبعة الثالثة،ط.دار المعارف، القاهرة١٩٨١

– النفري:(محمد بن عبدالجبار بن الحسن) كتاب المواقف وكتاب المخاطبات ص١٠٠، تحقيق أرثر يوحنا أربري، ط.مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت.

– النويري(محمد بن قاسم بن محمد النويرى الإسكندرانى ت٧٧٥هـ=١٣٧٢م): الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية فى وقعة الإسكندرية جـ٥ ص٢١٦ ط.وزارة المعارف للحكومة الهندية، حيدر آباد، الهند ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م

– الهامى عمارة:الساكن والمسكون، ط.خطاب، القاهرة ١٩٩٥

– الهجويري(أبوالحسن على بن عثمان بن أبى على الجلابى):كَشْفُ المَحْجوب،ترجمة وتحقيق د.اسعاد عبد الهادى قنديل، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٧٤.

– الهواري،أحمد ابراهيم (دكتور) البطل المعاصر، ط.دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩

– الولي، الشيخ طه: "ابن عراق، شافعى المذهب شاذلى الطريقة"، صحيفة اللواء، بيروت ٢٠ آيار ١٩٩٢

– وهبة ، سعد الدين :يا سلام سلّمْ..الحيطة بتتكلمْ،ط.الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة١٩٧١.

– الوهراني(ركن الدين محمد بن محمد بن محرز ت ١٥٧٥م): منامات

الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق ابراهيم شعلان ومحمد نغش، منشورات الجمل، كولونيا

– اليافعي: (عفيف الدين، أبو السعادات عبد الله أسعد ٦٧٨ ٧٦٨ هـ): روض الرياحين في حكايات الصالحين الملقب نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواضر في حكايات الصالحين والأولياء والأكابر ص ٣٠٩، الطبعة الثانية، ط. الحلبي، القاهرة ١٩٥٥م.

– اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان، ط. مؤسسة العلمي، الطبعة الثانية، بيروت ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م.

– اليافعي:مختصر روض الرياحين في مناقب الصالحين على هامش قصص الأنبياء للثعلبي، ط. البهية المصرية، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٣٧١هـ=١٩٥١م.

– اليافعي:(أبو محمد عبدالله بن أسعد اليافعي):نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية الملقب كفاية المعتقد ونكاية المنتقد، تحقيق ابراهيم عطوة عوض، ط. الحلبي،القاهرة،١٣٨١هـ=١٩٦١م.

– اليافعي:(أبو محمد عبدالله بن أسعد اليافعي ٦٩٨؟ـ٧٦٨هـ): روض الرياحين في حكايات الصالحين الملقب نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواضر في حكايات الصالحين والأولياء والأكابر، ط. الحلبي، الطبعة الثالثة،القاهرة، ١٣٧٤هـ=١٩٥٥م.

– يحيى حقي: قنديل أم هاشم

– يوسف، محمد خير رمضان :الخضر بين الواقع والتهويل ص٢٩٢ ٢٤٣ ط.دار المصحف، دمشق، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

– يونس، عبدالحميد(دكتور):الحكاية الشعبية ص ٣٧ ط. الهيئة العامة لقصور الثقافة، مايو١٩٩٧

Bibliographie englisch- und deutschprachiger Quellen

* Antes, Peter

Prophetenwunder in der Asariya bis al-Gazali (Algazel), Klaus Schwarz
Verlag, 2. Ausgabe, Freiburg,1970.
* Bülow, Gabriele von
Hadithe über Wunder des Propheten Muhammad, Bonn,1964.
* Daiber, Hans
"Literarische Prozesse zwischen Fiktion und Wirklichkeit -Ein Beispiel aus
der Klassisch-arabischen Erzaehlliteratur," JAMES, Annals of Japan,
Association for Middle East Studies, Bd. 10(1995), S.27-67
* Enzyklopaedie des Islam.
* Encyklopaedia of Islam.
* Fitzgeald, Edward
Rubaiyat of Omar Khayyam, England 1984.
* Goethe Johann Wolfgang von
Faust 1, Nacht I, Faust Vs 766, 5, 167; Richard Dobel: Lexikon
der Goethe Zitate, Artemis, Zuerich und Stuttgart 1986, S. 1076.
* Gonnella, Julia
Islamische Heiligenverehrung im urbanen Kontext am Beispiel von Aleppo
(Syrien), Klaus Schwarz Verlg., Berlin 1995.

* Gramlich, Richard
Die Wunder der Freunde Gottes, Franz Steiner Verlag Wiesbaden GMBH, 1987.
* Haarmann, Harald
Die Gegenwart der Magie, Campus Verlag, Frankfurt/ New York, 1992
* Hermansen, M.K.
"Miracles, Language and Power in a 19th Century Islamic Hagiographic Text",
Arabica, Bd. 38(1991), S. 329.
* Hoffman, Valerie J.,
Sufism, Mystics and Saints in Modern Egypt, the University of South
Carolina, USA 1995
* Kilpatrick, Hilary
"Abd al-Hakim Qasim and the Search for Liberation, Journal of Arabic
Literature, 26(1995), S. 62ff.
* Majjhima-Nikaya 12, Rel. Les. II
* Menching, Gustav
Das Wunder im Glauben und Aberglauben der V?lker, E.J. Brill, Leiden 1957.
* Pellat, Charles
"Manaqib" in EI 2, Bd.6 E.J.Brill, Leiden,1991 S. 257.
* Propp, Vladimir
Morphologie des Maerchen, hg. von Karl Eimermach-

er, Carl Hanser
Verlag, München,1972.
* Schimmel, Annemarie
Mystische Dimensionen des Islam: Geschichte des Sufismus, Insel Taschenbuch
Verlag, 1. Auflage, Frankfurt, Leipzig, 1995.
* Schimmel, Annemarie
G?rten der Erkenntnis, 2. Auflage, Eugen Diederichs
Verlag, K?ln, 1985
* Schimmel, Annemarie
Rumi, Ich bin Wind und du bist Feuer: Leben und
Werk des grossen Mystikers,
4. Auflage, Eugen Diederichs Verlag, K?ln, 1984.
* Snir, Reuven
"Neo-Sufism in Modern Arabic Poetry", (Herbst) 1995,
S.23ff
* Wielandt, Rotraud
* "Die Bewertung islamischen Volksglaubens in
?gyptischer Erz?hlliteratur
des 20. Jahrhunderts" in Der Islam im Spiegel zeitgen?ssischer Literatur der
islamischen Welt: Vortr?ge eines Internationalen Symposiums an der
Universit?t Bern 11.-14. Juli 1983, hg. J.C. Bürgel,
E.J. Brill, Leiden
1985, S. 244-258.

الرواة الشفهيون:

الاسم	العمر	البلدة
حجاج مغيربي	٥٢	قفط
حسن محمد عواد	٢٠	نجع حمادي
شاذلى بكري	٢٢	الكلاحين
شوقى بشير	٥٠	السودان
عبداللطيف الطيب	٦٥	الشيخية
عبدالناصر عبدالظاهر عارف	٣٧	دندرة
عبدالنعيم عثمان	٣٦	قفط
فاطمة سليمان طه	٧١	العويضات
فتحى الشعراني	٥٥	قوص
مبارك اسماعيل	٧٠	كوم المؤمنين
مصطفى محمد الطيب	١٩	الأقصر
نصر محمد الغنام	٥٠	العويضات

Annemarie Schimmel 81 Germany
Jamal Malik 40 Pakestan &Germany
Cristian Szyska 38 Germany

للنشر فى السلسلة :

* يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء. ويفضل أن يرفق معه أسطوانة (C.D) أو ديسك مسجلاً عليه العمل إن أمكن.
* يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تضم بياناته الشخصية وأعماله المطبوعة .
* السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طُبع الكتاب أم لم يطبع .

صدر مؤخراً في سلسلة
كتابات نقدية

207- الشعر والسرد.................. د. سامي سليمان

208- البلاغة عبر الثقافات.......... د. كمال عبد اللطيف

209- قراءة النص .... أ.د. عبد الرحيم الكردى

210- أم كلثوم فى الشعر العربى ... د. إبراهيم عبد العزيز

شركة الأمل للطباعة والنشر
(موافيتلى سابقاً)
ت: 23904096 - 23952496